محمد بن محمد الأسطل

سراج الغرباء

إلى منازل السعداء

سياحة ماتعة في روائع فقه السنن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سراج الغرباء

إِلَى مَنَازِلِ السُّعَدَاءِ

سِيَاحَةٌ مَاتِعَةٌ فِي رَوَائِعِ فِقْهِ السُّنَن

مُحَمَّد بن مُحَمَّد الأَسْطَل

شبكة الألوكة - قسم الكتب

اسم الكتاب

سراج الغرباء إلى منازل السعداء

المؤلف

محمد بن محمد الأسطل

عدد الصفحات

٣٦٨

النـــاشـــر

طيبة للنشر والتوزيع

٤٥ شارع حيدر حلوان القاهرة

٠١٠٠ ١٣٩٠٢٩٣ - ٠٢/٢٩٧٣٣٢٦٦

E-Mail: Tibaadv@yahoo.com

حقوق الطبع محفوظة

للمؤلف برقم الإيداع

٨١٣٥ / ٢٠١٢

إهـــداء

إلى رِجَال السَّلفِ الشَّاهِقِين!!

إلى غُرباء هذا الزَّمَان حُرَّاسِ السنَّةِ الرَّبَّانيِّين!!

إلى أهل العِلْمِ والعَمَلِ والدَّعوةِ وَالجهَادِ القابضينَ عَلى جمْرَةِ الدِّين!!

الافتتاحيّة

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ..

لكَ الحَمدُ ربِّي فِي السماواتِ والأَرضِ، وَلكَ الحمدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ، أعُوذُ بِرضَاكَ مِن سَخَطِكَ، وبِمُعَافَاتِكَ مِن عقوبتك، وأَعُوذُ بِكَ مِنكَ، لا أُحصِي ثَناءً عَليكَ، أنتَ كَمَا أثنيتَ عَلَى نَفسِكَ..

والصَّلاةُ والسَّلامُ الأكمَلانِ الأتمَّانِ عَلى مَن أَتَانَا بالعِلمِ والرِّسَالةِ، فَكَشَفَ ربُّنَا بِهِ ظُلَماتِ الجَهلِ والضَّلالةِ، وعَلَى آلِهِ وصَحبه نَبارِيسِ الدُّجُنَّاتِ، وقَوامِيسِ العُلومِ الزَّاخِرَاتِ، وسلَّم تَسلِيمًا كَثِيرًا..

أمَّا بَعدُ..

فَهَذا الكتابُ أشواقٌ قلبيةٌ، ونسائم إيمانيةٌ، أبثُّ عبيرَها إلى من أَرهَقَتْهُ الحياةُ الدنيا؛ فانصَهَرَ في أَشغَالها وَزِحَامِهَا، فَمَا عَاد يَلتَذُّ بِعِبَادةٍ، أو يَشعُرُ بِسَعادةٍ، فَإِنْ صَلَّى فَبِلا خُشوعٍ، وَإِن تَهَجَّدَ فَبِلا دُمُوعٍ، أثقَلَتْهُ تكاليفُ الحَياة، وَقرَّر أخيرًا الفِرار إلى الله؛ لِيَجد قلبَهُ مَوصُولاً كلَّه بالله، ويتمنى ألَّو سار بِحَركةِ الإيمان الممتدة من لحظة خَلْقِ أبيه آدم، وَإِلَى أن يَرِثَ اللهُ الأرضَ ومن عليها!!

فَكَلامِي هُنَا إِلَيكَ، وَأَقْلامُ التَّرغِيبِ تَعرِضُ نَفسَهَا عَليكَ!!

وَمِن هُنَا كَانت البِدَايَة!!!

خَلقَ اللهُ آدم بِيَدِيه، وَنَفخَ فيه من رُوحِه، ثم أَمَر الملائكة أن تسجُدَ له، فَسَجَدُوا إلا إبليس كان من الجِنِّ، فَفَسَقَ عن أمر ربه، وقال: أنا خيرٌ منه، فَطَرَدَهُ الله من رحمته، وقال:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يا آدم اسكن أنت وزوجك الجَنَّة، وَأباح له الأكل من شَجَرِهَا كله إلا واحدة، فأقبل إبليس يوسوس له؛ لِيَنزِعَ عنه لِبَاسَه، وقال: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠]!!

فَتَدبَّر بِعَينَي قَلبِكَ:

أَبَى إبليسُ السجودَ لآدم؛ حِرَاسةً لِرُتبته، وَحِفظًا لقيمته، فَجُوزِيَ بِنَقِيضِ نيَّتِه؛ فَجعلَهُ الله صاغرًا مبتُورًا، مخذُولاً مَدحُورًا؛ ذلك أنَّ ترك سجوده في ميزان الرب يَستوجِبُ زَوالَ رفعتِه، وقِيَام ذِلَّتِه!!

أمَّا آدم الذي أكل من الشجرة؛ إيواء لِرُتبةِ المُلْكِ والخلود في الجَنَّة؛ فقد جُوزي أيضًا بِنَقِيضِ قصدِه؛ فَأَخرَجَهُ الله منها، وأنزله إلى أرضه؛ ذلك أن أَكْلَهُ منها في ميزان رب العباد؛ يقضي بِكَونِهَا شجرة الإخراج والإبعاد!!

فَذَاتُ السجدة التي ظَنَّهَا إبليسُ مَوضِعَ ذِلَّةٍ؛ كانت لمن فعلها معراجَ عِزَّةٍ، وذات الشجرة التي ظَنَّهَا آدم خُلُودًا وإسعادًا؛ كانت إخراجًا وإبعادًا!!

وَبِهذين الأُنمُوذَجينِ المُتقاربين تَنطلقُ فُصولُ قصة البداية في رحلة السنن الإلهية، والقوانين الربانية؛ لِنُدرِكَ أنَّ التكاليف الشرعية قد لا تنسجم في بادي صُورتها مع العقل الآدمي، وَلِنَعلَمَ أنَّهُ لا اجتهاد في موضع النصِّ الإلهي، وَأَنَّ العبدَ لابد وَأَنْ ينقاد لِمَعبُودِه؛ لِيَصِلَ إلى مَطلوبه ومقصوده!!

وَعَلى هذا سَرَى قانونُ الرحلة من أولها إلى مُنتَهاها!!!

فقد لاحت لنا آفاق الطريق، وعوامل الخذلان وطرائق التوفيق، وَبَانَ أَنَّ كَثِيرًا من التكاليف الإلهية قد تكون على خِلَافِ تَفكِيرنا؛ لِنَفِرَّ إلى رَبِّنَا؛ فَنستعين به، ونتوكل عليه، وهذا هو سِرُّ فَرَضِيَّةِ الدعاء الواجب الوحيد في شريعة الله رب العالمين، ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]!!

وَقد سَجَّلَ **ابنُ قيم الجوزية** استقراءً عجبًا للعقوبات الشرعية الموافقة لمسيرة السنن،

فقال:

ومن تَأَمَّلَ الشريعةَ ألفاها كَثيرًا ما تُعَكِّرُ على أصحاب الحِيَلِ صَفوَ أفعالهم؛ فَتُجازِيهِم بِنَقِيضِ مَقاصِدِهم، فمن ذلك:

أن قَاتِلَ مُورثه مَحرومٌ من الإرث، فَجُوزِيَ بنقيضِ قصده شرعًا وقدرًا، وعوقب أهل الجرائم بِضِدِّ مَا قصدوا؛ كأصحاب الجَنَّةِ لَمَّا نووا حرمان الفقراء نصيبهم من الثمرة حُرِمُوا منها كلها، وَصَائِد الحرم يَحْرُمُ عليه أكله، وجعل عقوبة الغَالّ من الغنيمة حرمانه منها، وإحراق متاعه، وَيُغَرَّم نظيره، كما وعاقب المُستكبرَ على عبوديته؛ أن صَيَّرَهُ عبدًا لأهل عبوديته وطاعته، وعاقب الزاني الذي التذ بَدَنُهُ كله بالحرام بإيلامه؛ لِيَصِلَ الألمُ إلى حيث وصلت اللذة، وكذا تُقْلَعُ عينُ النَّاظِرِ لِبَيتِ غَيرِه؛ إفسَادًا للعُضْوِ الذي خَان بِه!!

وهذا بابٌ واسعٌ عظيمُ النفع، فمن تَدَبَّرَهُ يجده مُتَضمِنًا لِمُعاقبة الربِّ سبحانه الخارجَ عن طاعته بأن يَعكِسَ عليه مَقصودَه شَرعًا وقدرًا، دُنيَا وأخرى، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣][1]!!

وعليه:

فَقَدْ انتَقيتُ إحدى عَشرةَ سُنَّة من سُنَنِ ربِّنَا، واقتصرت على ما اشتدت غُربَتُهَا، وطالت غَيبَتُهَا، وَكَثُرَ عمل الأنام بِخِلافِهَا، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا، وَزَلُّوا وَأَزَلُّوا؛ فَتَعِبُوا وَأَتْعَبُوا؛ ذلك أنَّ حَبْلَ النَّجاة فيها جميعًا على عكس ما يظنه العباد تمامًا، فَأَعرِنِي قَلبكَ اهتِمَامًا، وعقلك قبولاً للحقِّ واستسْلامًا!!

أخي..

إنَّ اللهَ جلَّ وعلا آتاك الجَنَّةَ كُلَّهَا، إلا شجرةً واحدةً اختبارًا وامتحانًا، أَيَلِيقُ بِكَ أن تَرجِعَ إليهَا مَحرُومًا من أَكثَرِهَا؟!! أَيُرضِيكَ أن تَستَقِرَّ فيها بِدَرَجَةٍ أَقَل، ثُمَّ تَنتَظِرُ من ذوي

(١) ابن القيم/ إغاثة اللهفان (١/ ٣٥٧- ٣٦٠) بتصرف شديد، والأمثلة التي ساقها أضعاف ما ذكر!!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العزائم النزول إليك لزيارتك؟!! بل لو ارتقيت إليهم فليس المَزُورُ كَالزَّائِرِ، ولا المُقِيمُ كَالمُسَافِرِ!!

فَأَتَيتُكَ أَصدَحُ بالحق في سَمْعِكَ بِهذه الرَّسائل؛ لِتكُونَ حقًا خلقًا آخر، فَأنتَ بِجَسدك مَعنا، فَتَستَطعم مِن طعامِنَا، وَتشرب من شرابنا، أما رُوحُكَ فَفِي مَوطِنكَ النَّفِيس، الذي أخرجك منه إبليسُ الخَسِيس، فَهَيَّا تَقَدَّم يَا هُمام؛ لِتَعْبُرَ الجَنَّةَ بِأَمانٍ وَسَلام!!!

فحيْهلا إنْ كُنْتَ ذا همـةٍ فقـد حَدَا بك حادي الشوقِ فَاطْوِ المرحـلا

لو تكلم الكتاب لقال:

إِذَا كَانَ الطَّعَامُ سبيلَ الشَّبع، والشَّرابُ سَبيلَ الرَيِّ، والعِلْمُ سَبيلَ التَّعَلُّم؛ فَإِنَّني رِسَالةٌ رُوحِيَّةٌ تُنَاقِشُكَ بِهُدوءٍ جَم، وَسُكُونٍ أَتَم؛ لِتَصِلَ مَعَكَ إلى النتائجِ المُذهِلةِ التَّالية:

إنَّ الصدقةَ سبيلُ تكثير مَالِك، أَمَّا الرِّبَا فَجَمْرَةُ عَذَابٍ تَمحَقُ مُمتَلَكَاتك، وإِنَّ تَرْكَ الدَّيْن وَهَجْرَ سُؤَالِ العِبَادِ سبيلُ غِنَاك، وَعَفوَكَ عن غَيرِكَ سَبيلُ عِزَّتِكَ، وَتَواضُعَكَ معراجُ جَلالِكَ وَرِفْعَتِكَ، أَمَّا التكَبُّر فَمآلهُ ذِلَّتُكَ وَصغَارك، وَصَلةَ الرَّحِم مَصدَرُ سَعَة وَقتك، وزيادة مالك، والجهاد في سبيل الله سبيل أَمْنِكَ، وطولِ حياتك، أما الفرار منه فمآله خوفك وهلاكك، والابتلاء سبيل نُضُوج إيمانك، وَصِلَتُكَ بِجَنَابِ الله تعالى سبيل أمنك ورشادك، والتصدي لخدمة دينك سبيلُ تَركِيع الدُّنْيَا تحت قدميك، وإرضاء الله -ولو سخط الناس- سبيل رضاه ورضاهم عنك، وإخفاء العمل لئلا يراه أحد سبيلُ ظهوره، وكأنك فعلته على رأس جبل أُحُد!!!

المُخَاطَبُون بِهَذا الكِتَاب

جعلت كتابي هذا رسالة أبث بها:

* إِلَى كُلِّ من أتعبته دنياه، وَقَرَّرَ الفرارَ إلى الله؛ فَهُنَا سعادةُ القلبِ التي يَنْشُد، وسرور الجوارح الذي يَقصِد!!

* إِلَى كُلِّ من طال عليه العهد بِسُنَنِ رَبِّه، وأراد الاصطلاح مَع نواميس الكون من

حوله!!

* إلى الخُطباء الربانيين، وعموم الدعاة والمربين؛ لِيكُونوا من أهلها، ثم يَتَصَدَّوْا لأَجْرِ تبليغها، فينتفعوا وَينفَعُوا بها، وقد زَيَّنْتُ الكتابَ كلَّهُ بِكَثِير الآيات، وعديد الأحاديث، وصحيح الروايات، فضلاً عن القصص والأخبار، والحِكَم والأقوال، وما طاب من الفوائد، ولذَّ من الفرائد، فيستريح الدعاة والمحاضرون من عناء التوسع، وَمَشقَّةِ التَّحضير!!

* إِلَى كُلِّ مُسلمٍ وَمُسلمة؛ ذلك أن العَمل بالسنن الكونيَّة واجبٌ شرعي، نُؤجَرُ بفعله، ونأثم بِتَركِه؛ لأنه يترتب عليها قوانين السعادة والشقاء، والعِز والذل، والقوة والضعف، والنصر والهزيمة، وغيرها!!

مَنهَجي في الكتَاب

١- جعلْتُ الحديث عن كل سُنَّةٍ في مَحاوِرَ عشرةٍ؛ لأصِلَ بِالقَارئ إلى تَمامِ الفائدة، وَيخرج الكتاب منظومة واحدة، وإليك بيانَ المحاور:

أولاً: بطاقة تعريف:

وفيها خلاصة القانون الرباني بكلماتٍ وجيزةٍ.

ثانيًا: نصوص الوحي تناديك:

وهذا عبارة عن جولة في مَكنُوناتِ كتاب الله، وتفسيره، مع ثُلَّةٍ من الشَّواهد المُرافقة.

ثالثًا: من غيث الرسالة:

وفيه تأصيل للسُنَّةِ من كتب السيرة والسُنَّة.

رابعًا: مآثر الأيام:

وفيه تسطير ثلةٍ من روائع القَصَص؛ لِيَحصُلَ مَزِيدُ يَقينٍ بِصِدقِ السُنَّةِ التي عنها نتكلم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خامسًا: ذخيرة الأسرار:

وقد جعلتُهُ لِبَيانِ أَسرار الشَّريعةِ التي من أجلها كَان القانونُ الرَّباني بِخِلافِ ظَاهر العقل، وبادي التفكير.

سادسًا: بشائر العافية:

وأذكر فيه ثُلةً من علائم النجاح، وأمارات سلامة العبد من مُخالفةِ سُنَّةِ الله.

سابعًا: مراقي الصعود:

وفيه بيان سُبُلِ الوُصول التي يسلكها العبدُ المُوفَّق؛ لِيَكُون من أئمَّةِ العَمَلِ بها.

ثامنًا: إشارةٌ حمراء:

وفيهِ علاجٌ لِلَوامع المَثالِب والأخطاء والأدواء التي تُعَكِّر على صَاحِبِهَا صَفوَ العَمل بِالسُنَّة المُرادَة.

تاسعًا: سحائبُ المِنَنِ الإلهية:

ويتضمن هذا طرفًا من الجَوائز الشرعيَّة، والحوافز المُعَدَّةِ لِصَاحبِ العَمَلِ بِالسُنَّة؛ فَمَن عَرَفَ أُجورَ الأعمال؛ هَانت عليهِ فِي كُلِّ الأَحوال.

عاشرًا: البيانُ الختامي:

وَهُوَ نِدَاءٌ أَصدَحُ بِهِ فِي أسماعِ كُلِّ مُسلِمٍ وَمُسلِمَةٍ، لئلا نَشِذَّ عن سُنَنِ ربنا، فَنكُونَ من الشاذِّين يَوم الدِّين، اللهُمَّ سَلِّم.. سلم.

٢- وقد زَيَّنتُ كل سُنَّةٍ بِجُملةٍ من «نسائم الروح»؛ كَإِشراقةٍ رُوحِيَّة، وَإطلالَةٍ قَلبِيَّة.

٣- وكذا بعدد «من فرائد الفوائد»، المستنبطة من أعماق النصوص القرآنية والنبوية.

٤- وقد ذَيَّلتُ جُلَّ النصوص القرآنية والنبوية، وطرفًا من الشواهد الرديفة بِرِسَالةٍ لو تَكَلمتِ النُّصوصُ والشواهد لَنَطَقَت بها.

٥- ردُّ الأحاديثِ النبويَّةِ إلى مَظانِّهَا، مَقرونَةً بالحُكمِ عليهَا مَا أمكنَ، باستثناءِ صَحيحِي

البُخارِي ومُسلم؛ لتلقِي الأمةِ لهُمَا بالقَبُولِ، أمَّا إن كَان في السُّننِ الأربَعَةِ أو أَحدِهَا فأكتفِي بِهِ عمَّا سِواهَا، ثمَّ توثيقُهَا بإثبَاتِ رقم الحَديثِ، ثُمَّ الجُزء وَالصَّفْحَة.

وَقبلَ إعلانِ البِدَاية، وافتتاحِ الكِتَابة، لابد من الوُقوف على سِعْرِ الذات أولاً، فأثبته بِتَرديدِ ما أَرجَزَهُ شاعرٌ فَحلٌ، فَأَقُول:

يظنون بي خيرًا، وما بي من خيرٍ ... ولكنني عبدٌ ظَلُومٌ كما تدري
سَتَرْتَ عيوبي كلَّها عن عيونهم ... وَأَلْبَسْتَنِي ثوبًا جميلاً من الستر
فأمسوا يحبوني، وما أنا بالذي ... يُحَبُّ، ولكن شبهوني بالغير
فلا تفضحني في القيامة بينهم ... وَكُن لِي يا مولاي في موقف الحشر

ولا يسعني خِتامًا إلا أن أتدبر قول الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]، فهذا ما أَنْجزَ الكاتبُ تأليفَهُ وترتيبَهُ، وجَمْعَهُ وتبويبَهُ، فَإِن أحسنَ فَهَذَا مَحْضُ فَضلِ الله عليه، وإن زَلَّ؛ فَالزَّلَلُ مَنسوبٌ إليه، وأعوذ بالله أن أذكركم به، وَإِنِّي مِنهُ بَراءٌ براء، وأستنصحكم بقول العلامة **الحريري** في خاتمة المُلحَةِ:

فَانظُرْ إليها نَظَرَ المُستَحسِنِ ... وأحسِنِ الظَّنَّ بها وحَسِّنِ
وإنْ تَجِدْ عَيبًا فَسُدَّ الخَلَلا ... فَجَلَّ مَنْ لا فيهِ عَيبٌ وَعَلا[1]

رَاجِي عَفْوَ الله وَرَحْمَتَه
مُحَمَّد بنِ مُحَمَّد الأَسْطَل
فلسطين – قطاع غزة – خان يونس
جوال رقم: ٠٠٩٧٢-٥٩٩٦٣٦٥٠٠
بريد إلكتروني: mastal2010@hotmail.com

(١) ملحة الإعراب (١/ ١٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَسلفتُ أنَّ التكاليف الشرعية في ظلال السُّنَنِ الإلهية قد لا تنسجِمُ في بادي صُورتها مع ظاهر العقل الآدمي، فَنَاسبَ أَن تُشْرِقَ شمسُ مَطلَعِ الكتاب عَلَى حقيقةِ السُّنَنِ وخَصائصها، وَسِرِّ عَدَمِ انسجام التَّكَاليف معها، مُرورًا بِثمراتِ النِّهَاية التي نَنشُدُهَا، خَاتِمًا بِمَا يَجْعَلُكَ معَ آخر صفحةٍ مِن كِتَابِنَا خَلْقًا آخرَ بِعَونِ الله تعَالى!!

حَقيقَةُ السُّنَنِ الربانيةِ وخصائصُهَا

١ـ حقيقة السنن الإلهية:

أفاد الدكتور **عبد الكريم زيدان** أنها: **الطَّرِيقةُ المُتَّبَعَةُ في مُعاملة الله تعالى للبشر؛ بناءً على سلوكهم وأفعالهم، وموقفهم من شرع الله وأنبيائه، وما يَترَتَّب على ذلك من نتائجَ في الدنيا والآخرة**[1].

وَصفـــوةُ القَـــول:

إنَّ السنن الإلهية هي قوانين تحكم حركات الفرد والمجتمع، كما تحكم سكنات الكون والطبيعة!

ومن السنن ما يستهدف مَجموعَ الأمة دخولاً أوليًا فيها، والفردُ جُزءٌ مِنهَا؛ كَسُنَنِ التدرج، والتغيير، والتداول، والتدافع بين الحق والباطل!!

وَمِنَ السنن ما يَتوجَّهُ إلى الأفراد، وَبِمَجْمُوعِهم تَتَكَوَّن الأُمَّة، وهذا نِطَاق كِتَابنا؛ فإنَّنا سنذكُرُ لوامعَ السنن الإلهية التي يُنَظِّمُ بها العبدُ شؤون دينه ودنياه، وَيُصلِحَ ما بينهُ وبين الله!!

(١) عبد الكريم زيدان/ السنن الإلهية ص (١٠).

٢ـ خصائصها:

إن أشهر تلك الخصائص ثلاث، إليك بيانها بلا إسهاب ولا إطناب:

أولاً: الثبات:

قال تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]

رسالة الآية:

إن السنن الإلهية ثابتةٌ لا تَتَبَدَّل، ولا تَتَغَيَّر أو تَتَحَوَّل؛ وهذه من علائم البشائر لنا؛ ذلك أنَّ أعمالنا تُصبِحُ كَمُقدماتٍ لِمُخرجَاتٍ لا تبديل فيها؛ كَأن تَزرع شجرة تُفَّاح فَلا تُثمِرُ موزًا أو تينًا، فهذه سنة الله تعالى في خلقه، ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۖ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥]!!

وهذا الذي دفع **الكيلاني** أن يَرفض مبدأ إعادة التاريخ نفسه، مُستندًا إلى أن ثمةَ قوانين تحكم الأحداث والظواهر، وأن الخُروجَ عليها كَالخُروج على قوانين التنفس والغذاء، وإن مَنْ أَتقَنَ فقهها استمَرَّ في الحياة، وتفوق في ميادينها، أما مُخَالِفُوهَا فَتَجري عليهم أحكام القانون؛ لِتَتكرَّر نتائجه لا أن يتكرر الحدث نفسه[1]!!

ولذا يقول د. **علي الصلابي**: **إنَّ السُّنَنَ لا تُجَامِل أحدًا، مُسلمًا كان أو كَافرًا، مُخْلِصًا كان أو منافقًا، اللهُمَّ إلا أن يكون استثناءً آتٍ لإعلانِ سُنَّةٍ خَارِقَةٍ لا جَارِية، كَنَارِ إبراهيمَ، وعصى موسى، وحوتِ يُونُسَ؛ فإنها جرت على خلاف القاعدةِ تَأييدًا من الله لأنبيائه!!**

ثانيًا: العموم والشمولية:

جعل الله تعالى سننه ماضيةً في أجزاءِ الكَون كله، دِقَّهُ وَجُلِّه، فَإليكَ الطوافَ مثلاً:

(١) د. ماجد عرسان الكيلاني/ هكذا ظهر جيل صلاح الدين، وهكذا عادت القدس ص (٢٩١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنَّ من علائمِ عُبودية المخلوقات لله تعالى؛ طوافها كلها طوعًا أو كرهًا، ولا يكون الطواف إلا يسارًا، وما الإنسان في الكون إلا حلقةً ضئيلةً في سلسلةٍ طَويلةٍ، وإنَّ أيَّ جسم يغادرُ نِطاقَ الجاذبية الأرضية يطوف تلقائيًا باتجاه اليسار؛ وفق سنن العزيز الغفار!!

بل إن كل من ابتغى طوافًا تجده يأخذ في الطواف يسارًا؛ بِحَرَكَةٍ قلبية لا يقصدها؛ لئلا يشذ أحدٌ عن عُموميَّةِ السنن الإلهية، والقوانين الربانية، ولك أن تَستَيقن بِمَا أقولُ بِمُلاحظة أهل الرياضة وهم يجرون في حلقة دائرية؛ فإنها لا تكون يمينًا قط!!

أخي..

إنَ عُمومَ السُّنن يجري على أَعلامِ الأنبياء والمرسلين؛ كما يجري على أقزامِ الإنس والشياطين، كَسُنَّةِ الله في الخَطايا والسيئات؛ فإنه ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾ [النساء: ١٢٣]!!

فهذا آدمُ لَمَّا أكل من الشجرة أخرجه الله من أُولِي العَزمِ من الرُّسُلِ بِقَولِهِ: ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا﴾ [طه: ١١٥]، مع أَنَّهُ أَبُوهم، وهو الذي شَرَّفه الله بِمَا لم يشرفْهُم به؛ فَإِنَّهُ خلقَهُ بِيَده، وَأَسجدَ له ملائكته، إلا أن الطَّاعةَ فَوَّقَتِ الأبناءَ على أَبيهم لِمَعصِيَتِه، وَعاقَبَتْهُ سُنَنُ رَبِّهِ بِعُقوباتٍ عَشرةٍ:

فقد كُشِفَت سوأتُه، وَأُخرج من الجَنَّة، وفُرِّقَ في موضع النزول بينه وبين زوجه؛ فَهُو بالصفا، وهي بِالمَروة[١]، ونزل إلى دارٍ فيها يشقى، وَجُعِلَت سجنًا له ولأولاده، وسُلِّطَ عليهِ إبليسُ وَكَذا على ذريته، وجعل الله بعضَهم لبعض عدوًا، وَقَرنَ اسمه بالمعصية؛ فقال: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]، وَصَيَّر جلدَهُ مُظلمًا بعد أن كان منيرًا[٢]، وعاتبه بِقَوله: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ

(١) ابن كثير/ قصص الأنبياء وتعليقاته ص (٢٨).. وقد جاء في المسألة آثار كثيرة، وهذا الأثر عن السدي، بإسناد لا بأس به.

(٢) ذكر أبو حيان الأندلسي قول ابن عباس وقتادة وابن جبير: أن ثياب آدم وحواء كانت الظُّفْر، فلما أكلا نزع منهما فبدت سوءاتهما، وبقي منه على أطراف الأصابع قدرًا قليلاً؛ ليتذكرا المخالفة؛ فيجددا الندم، خاصة أن أكثر ما يرى العبد من بدنه أطراف أصابعه!!
انظر: تفسير البحر المحيط (٤/ ٢٨٠)، وفي الآية أقوال عديدة!!

﴿مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢][(١)]!!!

وهذا يونُسُ عليه السلام لَمَّا خرج مُغاضِبًا من بلدةِ دَعوتِه نينَوَى العراقية، وَظَنَّ أنَّ اللهَ لن يُضَيِّقَ عليه؛ حُبِسَ في بطن الحوت، وجاء الأمر الإلهي لنبينا ﷺ: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨]!!

وقد هُزِمنَا يوم أُحُدٍ لَمَّا خالفْنَا، ويوم حُنينٍ في الجولة الأولى لَمَّا أعجَبْتَنَا كثرتُنَا، في حين نصرنا الله عَزَّوَجَلَّ يوم بدر على قِلَّتِنَا وَذِلَّتِنَا، فَهَذِه سُنَّةُ اللهِ فِي الخَلقِ، ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يفقهُون!!

ثالثًا: التدرج:

خُلِقَ الإنسانُ عجولاً، وعلى صفته هذه جُعِلَ مَفطُورًا مجبُولاً، لِيقضِيَ الله أمرًا كان مفعُولاً، وإنَّ الله أجرى سننه بما لا ينسجم مع تَعَجُّلِ المُكلَّفِين؛ فإنَّه سبحانه لا يستجيب لِعَجلةِ المُتَعَجِّلين؛ فَكُلُّ شيءٍ عندَهُ بِمقْدَار[(٢)]!!

ولهذا لما أراد نبيُّنا ﷺ وصحبه الكرام دخول مكة معتمرين، وتَعَذَّرَ الدخولُ عليهم؛ شَقَّ على بعضهم، حتى قال عمر رضي الله عنه: أليس قد أخبرنا رسول الله ﷺ أنَّا نَدخُلُ البيتَ، ونَطُوفُ به، فَوَفَّقَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الصِدِّيقَ إلى التيقُّظِ لِمَعالِمِ سُنَنِ الله في خلقه، فقال ﷺ: **إِنَّهُ لم يُخبر أَنَّا نفعل ذلك في سَنَتِنَا هَذِه، فَسَنَفْعَلُهُ فِي سَنَةٍ أُخرَى**[(٣)]!!!

ولعلك أدركت الآن سِرَّ غضَبِ النبي ﷺ لَمَّا جاءه بعض أصحابه في مَطلع المِحنةِ المَكِيَّةِ، وقالوا: «أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟»[(٤)]؛ فإنه ﷺ عَدَّ هذا خُروجًا جليًا على سنتي التدرج والابتلاء، قبل تمام نضوج الأمة المسلمة، ومن هنا عدَّ القرآنُ الصبرَ ضابطَ عدلٍ لكلتيهما، للوصول

---

(١) سعد يوسف أبو عزيز/ قصص القرآن ص (٢٤-٢٥).

(٢) ومن دقيق ما ينبغي للعبد تأمله؛ أن الله يجري سنة التدرج على عمر العبد قطعة واحدة، كما يجريها على ساعاته وأيامه، وشهوره وأعوامه؛ ذلك أن أثر الفعل الإنسي يأتي بعده غالبًا لا مقترنًا معه؛ كالغبار إذا انفصل عن الحائط حال سقوطه، فإنه يكون عقبه لا معه، ولهذا كان من ذكاء السلف أنهم تدبروا أعمالهم في كامل أعمارهم دفعة واحدة، كابن سيرين الذي قال: عَبَّرْتُ رجلاً بالفقر؛ فافتقرتُ بعد أربعين عامًا!!

(٣) تفسير الفخر الرازي (١/ ٢٨٢٤).

(٤) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٣٦١٢)، (٢/ ١٩٦) والحديث عن خبات بن الأرت رضي الله عنه، فراجعه بطوله؛ لغزير فوائده!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إلى مبتغانا بيقين، فجاء في بَيَانَيْنِ قُرآنيين كَسُنَّتَيْنِ جَارِيَتَين:

﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٠]

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].

أخي..

بِثَباتِ السنن الإلهية وعموميتها وتدرجها؛ يطمئن العبدُ المُوَحِّدُ إلى أن أفعاله سَتَؤُول إلى نتائجَ حَتْمِيَّةٍ، ومُخرَجاتٍ قَطعيةٍ؛ كَمَن تَصَدَّقَ؛ فَإِنَّ مَالاً مُضاعفًا سَيَأتيه، أَو عَفَا؛ فَإِنَّ عزةً سَتَعتَريه، أَو جَاهَدَ؛ فَإِنَّ اللهَ تعالى سَيُحييه!!

فَتَقَدَّم عَاملاً بِمُقتَضَى سُنَنِ ربنا، المَسطُورة فِي كتابنا، على أَنَّها مُسَلَّمَاتٌ لا رَيْبَ فِي صِدقِهَا، وَلا شَكَّ فِي ثُبوتِهَا؛ لِتَكُون من أهل السَّعْدِ بها؛ وتهزم الشيطان الذي يقتنص ثغرةً يَريبُكَ منها!!!

أسرارُ الحديث في سنن الأفراد؟!!

وهي ثلاث، ولا تقبل الاجتثاث، وسمتها الثبات، وبيانها في أسطرٍ معدودات:

١ـ لا ملجأ منك إلا إليك!!:

جعل الله جلَّ وعلا كونه منتظمًا بِنَسَقٍ ثابتٍ مَعلوم، وأناط به راحة العبد من الهموم والغموم، فَإِنْ خَالَفَهُ دَاهمتْهُ المَتَاعِبُ، وَسَربَلَتْهُ المَصاعِبُ، وأنا أَعِي جَيِّدًا أنَّ أُمَّتَنَا تَمُرُّ الآنَ بِغُربةٍ طالت جُلَّ الأحكام الشرعية، فكيف لو عَلِمْتَ ما صَرَّحَ بِهِ **أبو الدرداء** رضي الله عنه في زمن الفَضلِ والخيريَّةِ بقوله: **مَا أَعْرِفُ شَيْئًا مِمَّا كُنَّا عَلَيْهِ اليَوْمَ إِلَّا القِبْلَةَ**[1]؟!!!

فَدَخَلَت أُمَّتُنَا بذلك مرحلة التِّيه؛ لِيَختَلِطَ العاقلُ بالسفيه، حتى استحيا المُحِقُّون من الجهر بمَعَالم شريعتهم، وَتَصَدَّى المُبطِلُون لِبَثِّ دَسائسهم، بعد أن أحسنوا تلبيسَ باطلهم

(١) ابن الجوزي/ صيد الخاطر ص (١٠٧).. وقد عقب عليها ابن الجوزي بقوله: فقلت: واعجبًا كيف لو رآنا اليوم وما معنا من الشريعة إلا الرسم؟!!

ثوبَ الحق، وإيصاله إلى حيث ينبغي أن يَصِلَ الحَقُّ؛ لِيَستحكِمَ الدَّاء، وَيَعظُمَ البلاء، وَيشكُو العَبدُ مرارة الأشجان، وَحَميم الآلام والأحزان!!

فَإلى متى نُعَادي أَنفُسَنَا؟! وَنُعَارك قُلوبَنَا؟! وننتقم من ذَواتِنَا؟! وَنُدَمِّر أركَاننا؟!!

ألم يَأْنِ لَنَا أن نَخْرُجَ من مرحلة التِّيه والأَنِين؟! وَنجْأَرَ إلى ربِّ العالَمِين، مُتَبَتِّلِين مُنقَادِين قَائلين:

رَبَّنَا!! رَبَّنَا!! لا مَلجَأَ وَلا مَنْجَى مِنْكَ إلا إِلَيكَ!!!

وقد أُعجِبتُ بِمَا وَفَّقَ الله **سيد قطب** أن ينطق به بقوله:

إنَّ البشرية لا تَفتَحُ مَغاليق فطرتها إلا بِمَفَاتيح مِن صُنعِ الله، ولا تُعالِجُ أسقامها إلا بِأَدويةٍ من عند الله، وقد جعل الله تعالى في منهجه مَفاتيح كل مُغَلَّق؛ فقال: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩]، وَجَعلَ فيهِ الشفاء من كل داء فقال: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢]!!

لكنَّ البشرية بِجَهالتها أَبَتْ رَدَّ القُفْل إلى صانِعِه، والمريض إلى مبدعه، مع أنها تستدعِي لإصلاحِ أدنى جهازٍ إلكتروني مهندسًا خبيرًا به، ولا تُطَبِّق ذات القاعدة على الإنسان نفسه، فتعود مُسْتَفْتِيَةً من أنشأه؛ ذلك أنه لا يعلم أسراره إلا الذي أبدعه؛ فَإِنَّهُ عليمٌ بذات الصدور، ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤]!!

ولذا.. فَإِنَّ العبدَ لن يَخْرُجَ من شَقاوَتِه، ومتاعبه ومهانته، إلا إن رَدَّ فطرته إلى صانعها الكبير، كما يرد الجهاز الزهيد إلى صانعه الصغير[١]!!

وقد ضرب الشيخُ **سعيد بن مسفر** مثالاً توضيحيًا بقوله:

هَبْ أَنَّكَ ذهبت بالراديو إلى النَجَّارِ لِيصلحه، فَتَنَاول مسمارًا، وفيهِ غَرَسَه، أَلا يَتَعَطَّل؟!! ذلك أَنَّك لم تَعُد بِه إلى صَاحِبه الخَبير به، ومن هنا أَدْرِكْ أَنَّ معرفة ماهية المخلوق لا تكونُ

(١) سيد قطب/ في ظلال القرآن (١/ ١٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إلا بالرجوع إلى خَالقه؛ فَإِنَّهُ أدرى منَّا بِصَنعَتِه!!

٢ـ التناغم مع النسق الكوني، سبيل الراحة من العناء البشري:

يقول سيد قطب: **إنَّ العبد بِرُجوعه إلى الله؛ لَيَتَنَاسق مع النَّظْم الكوني كله، فَإِنْ تَصَادَمَ مَعهُ تَمَزَّقَ وانسَحَق؛ ذلك أَنَّه فَقَد أسرار الانتفاع به، بل إنه لَيَصطَدم مع فطرته التي بين جَنْبَيه، فَإِنَّ الإنسانَ وَصَل اليوم إلى انتصاراتٍ عِلميةٍ مُذهلةٍ، وتسهيلاتٍ حَضاريةٍ مُدهشة، لكنه ما زال يعيشُ في خواء رُوحي؛ لأَنَّه فَقَدَ المنهج الذي يُنَسِّق بينه وبين حركة الكون الذي يعيش فيه**[١]!!

وعليـه..

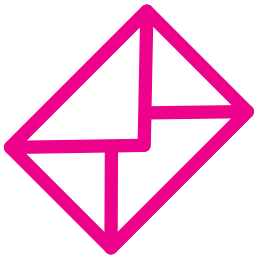

فإنَّ انحراف الفطرة اندفاعٌ مع النَّكسَة، وانقطاعٌ عن النفخة الإلهية، فَلَيسَ لَهَا من سبيلٍ إلا العَود لِقِيمةِ الإيمان الذي هو كَحَبْلٍ ممدودٍ بينها وبين بارِئِها، فيكشف لها مواقع خطاها في المرتقى الصاعد إلى حياة الخالدين، فإنِ انقطع الحبل طُفِئَ نُورُ العبد؛ لِيَرتَكِسَ فِي المُنحَدَرِ الهَابطِ إلى أسفلِ سافلين[٢]!!!

ولك أسوة بعموم الكائنات:

فإنَّ الله جلَّ وعلا جَعل كونه يُسَبِّح بِحَمدِه، ويقدس له، دون أن يُخالف ذلك أكثرُ المخلوقات؛ كَالحَيَوانات والنباتات والجمادات، التي لم تُؤْتَ عقلاً يُفَكِّر، أو لُبًا يُدَبِّر، لكنها بِخَشيَتِهَا من ربها لم تَخْرُج عن مسارِ الكون العظيم الذي أراده الله تعالى!!

وقد أمتعنا القرآن الكريم بِحَديثِه عن الإخاء الإيماني بيننا وبين النَّظمِ الكَوني؛ فَحَدَّثَنا عن الملائكةِ التي تَستَغفر للمؤمنين مِنَّا، وتدعو الله لنا، ولِمَن صَلح من آبائنا وأزواجنا

---

(١) المرجع السابق (/ ٤٢١-٤٢٢).

(٢) المرجع السابق (٦/ ٣٩٣٤)، مع الإشارة إلى أن الترقيم في الكتاب متواليًا في كل أجزائه.

وذرياتنا؛ بِأَدعية قلَّ أن ندعو بها لذواتنا[١]، وكيف قَاتَلَت يوم بدر معَنَا، وعن الرُّعْبِ كيف احتل قُلُوبَ عَدُوِّنَا، وهذا المطر الذي انهَمَر علينا يوم بَدْرٍ رحمةً من الله بِنَا، وتهذيبًا لأرضِنَا، وهَلَكةً لِعَدُوِّنَا، وكذا النُّعاس الذي أُنزِلَ علينا؛ أَمَنَةً من ربنا، فضلاً عن رِيحِ يوم الأحزاب التي داهمت عدوَّنَا دُونَنَا؛ فَصَيَّرت نتيجة الحَرب لِصَالِحِنَا!!

وقد أتحفتنا السُّنَّةُ شارحةً كتاب ربنا؛ بأنَّ غيرَنا من الكائنات يُحِبُّنَا، فهذا النبي ﷺ لما آبَ قافلاً من غزوة تبوك، وأشرف على المدينة، نظر لِجَبلِ أُحُدٍ، وقال: «**هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**»[٢]، فلما صعد هو **وأبو بكر وعمر وعثمان** عليه، ارتَجَفَ فرحًا بمن عليه، فقال النبي ﷺ: «**اثْبُتْ أُحُدُ؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ**»[٣]!!

وهذا جَمَلٌ منعَ أهلَهُ ظهرَه، فلما رأى النبي ﷺ أقبل نحوَه، حتَّى سجَدَ بين يديه[٤]، كما أنَّ جِذْعَ المسجد قد بكى حنينًا له، ولا عجب عندئذٍ أن تَبْكِيَ السماءُ والأرض علينا يوم موتنا، بِخِلافِ أعدائِنَا؛ ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩][٥]!!

وَمَن لَم تَبْكِ الدُّنيَا عَلَيهِ، لَم تَضْحَكِ الآخِرَةُ إِلَيهِ!!

٣ـ النجاة من الشذوذ عن الكون:

قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]

تباينت أقوال المفسرين في عدد العالمين، وهاك ألمعَ الأقوال فيها:

ذهب بعض العلماء إلى أنَّ عددها [١٠٠٠ عالَم]، وقال وهب بن منبه: هي [١٨٠٠٠]،

---

(١) والدعاء بطوله في أوائل سورة غافر، الآيات (٧-٩)، وقد استجابه الله في سورة الرعد (٢٣-٢٤)، فمثلًا: من منا دعا لذريته التي لم يرها بعد؟!!

(٢) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٢٨٨٩)، (٢/ ٣٧)، وصحيح مسلم، رقم الحديث: (٣٣٧٨)، (٤/ ١١٤)، والحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٣٦٧٥)، (٢/ ٢١٠) والحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) الألباني/ صحيح الترغيب والترهيب للمنذري، رقم الحديث (١٩٣٦)، (٢/ ١٩٧).

(٥) فصلت المسألة بزيادات قليلة في السنة الموسومة: بإتحاف الغرباء ب «كل سر تخفيه؛ فالله مبديه» «في محور: من غيث الرسالة، والسنة الموسومة ب» جناب الله آمن «في محور: ذخيرة الأسرار، فراجعها إن أردت أن يبسط لك في علمك!!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال **أبو سعيد الخدري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هي [٤٠٠٠٠]، وقال مقاتل: هي [٨٠٠٠٠][(١)]، وهناك من توقف وقال: الله أعلم بعددها!!

فهب أنها أوسط الأقوال [٤٠٠٠٠]، وقد سبق علمك بما أنزله رَبُّكَ عَزَّوَجَلَّ على نَبِيِّك ﷺ بقوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]؛ لِتُدرِكَ بهذا أنَّ الكَونَ كلَّهُ يَتَّجِهُ في مسيرةِ الوحدانية والطاعة المُطْلَقَةِ لله رب العالمين!!!

ولا يشذُّ عن هذه المسيرة الكونية، ويتجرأ بمعصيته على رب البرية؛ إلا عَالَمَا الإنس والجن، وَهُمَا العقلاء من الخلق؛ لِحِكَمٍ أَرادَها الحَقُّ عَزَّوَجَلَّ، وعلى هذا فتَكُون المعصيةُ شُذُوذًا في مَسَارِ الكون، كَمَن سَار بِعَكسِ مسيرةِ بشريةٍ تعدادها [٤٠٠٠٠ مشارك] فإنه يَشُقُّ طريقَهُ بِعَكسِ المَسَارِ الواجب، بل نظراتُ المَعتبَةِ تُحِيطُ بِهِ من كُلِّ جَانب، فَثَبتَ بِذَلك أَنَّ العقلَ كلَّ العقلِ في الأَوبةِ السعيدة إلى مسار المخلوقات كُلِّهَا في الفرار إلى الله تعالى وحده!!!

أَمْـــرٌ مَعِيب:

قال الله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥].

رسالة الآية:

أَفَاد **قتادة** أن كُلَّ مخلوق يسجدُ لله طوعًا أو كرهًا؛ فأما المؤمن فيسجد طائعًا، وأما الكافر فيسجد كارهًا، وقال مقاتل ومجاهد في قوله ﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ : إِنَّهُ ظِلُّ الكافر يُصَلِّي، وهو لا يُصَلِّي!!

وقال **الحسن البصري**: **ألا ترى إلى الكافر؟ فَإِنَّ ظِلالَهُ جَسَدُهُ كله، فأعضاؤه مطيعة**

(١) تفسير القرطبي (١/ ١٣٨)، وأنا يهمني العظة المستفادة من عدد العالمين بغض الطرف عن الترجيح بينها؛ إذ الأرقام الواردة لا برهان عليها.

لله، وقلبه كافرٌ شاردٌ عن طاعة الله تعالى[١]!!

فاصطلحْ مع نفسك، وانسجمْ مع الكون من حولك، وَأْتِ رَبَّكَ طَوعًا، قبل أن تُسَاق إليه كرهًا، فمن عمل صالحًا فَلِنَفسِه، ومن ضَلَّ فإنما يَضِلُّ عَليهَا!!

مُصارحةٌ عَلَنِيَّـة

أخي عديم الصبر:

إن عارًا عظيمًا يلحقك، وخسرانًا مبينًا ينتظرك، ذلك أنَّ الله تعالى رَزقَكَ جَنَّةً أنتَ فِيهَا من الخالدين، لا يَمَسُّكَ فيها نَصَبٌ، وما أنت منها من المُخْرَجِين، ثم آتاك الله فيهَا شرابًا طهورًا، وَرِزْقًا مَمْدُودًا، ومنَّ عليك بِنَسَبٍ ذَهبيٍّ نَفيس، فيه آدم وإدريس، ونوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب، وهارون وموسى، وزكريا ويحيى وعيسى، ومحمدٌ وصَحْبُه، ثم تَعجزُ أن تَصبرَ ساعة!!

أيُرضيك أنْ تشتري الغواية بالهداية؟!! سقوطًا عند شهوةٍ أو زيف دنيا؟!
أتستبدل في ساحة القيامة الشياطين بالمرسلين، والعُابة بالصحابة،
والفجار بالأخيار؟!!

فَعُدِ الآن إلى ربك قبل مرور لحظتك هذه؛ ففي لحظة واحدة قد أَفْلَح السَّحَرَة عندما أُلقوا ساجدين قائلين: آمنا برب موسى وهارون!!!

المجنون الحقيقي:

وتأسيسًا على مَا مَرَّ بِنَا؛ فَإِنَّ الذي يَهجر السُّنَنَ الإلهية، ويعصي ربَّ البرية؛ لهو مجنونٌ مجنون!!

فإذا كان المَجنون في لغة الفقهاء الذي غاب عقله؛ فإن المجنون في عُرْفِ كتابنا من عَرَف سبيلَ السَّعدِ، وأدرك مَسَار الرُّشْدِ، وَبَات على مَقرُبَةٍ من الوصول لِرَبِّه، ثم ألقى بالسنن

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٤٠٣-٤٠٤)، تفسير ابن كثير (٤/ ٤٤٦)، السيوطي/ الدر المنثور (٤/ ٦٣٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وراءه ظِهرِيًّا، وَقَبِلَ بِحَياةِ الذُّلِّ والضَنكِ والفتن والمحن خَيارًا أبديًا، فأخبرني بالله عليك، أيُّ عَقلٍ في فُؤادِ هذا؟!!

سِر مسار السنن !!

سؤالٌ ذكي:

لِمَ تَجْرِ السنن الإلهية في بادي صورتها على خلاف ظَنِّ عباد الله المكلفين؟!!

قُلت:

اعلم أولاً أنَّ اللهَ تعالى جَعَلَ الحياة الدنيا دارًا يَخْتَبِرُ فيها عباده أيُّهم أحسنُ عملاً، وخيرٌ أملاً، وَجَرت عادةُ البشر أن يجلس المُخْتَبَرُ في قاعةِ امتحانه ساعةً أو ساعتين، وعند التأمل نَجد أنَّ الله جعل أَمَدَ اختبار الدنيا كلِّه بِقَدَرِ امتحانات اليوم، وَبِأَعلى تقدير لا يزيد عن يومٍ أو بعض يوم!!

يؤيد هذا أن القرآن الكريم لما حدثنا عن أمد الدنيا أشار إلى أنها كَسَاعةِ تعارفٍ بيننا، فقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ [يونس: ٤٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ [الروم: ٥٥]، أو أنها كَمُفتَتَح النهار وَمُحْتَتَمِه؛ لقوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾ [النازعات: ٤٦]، بل إنَّ الله جعل الفترةَ البرزخيةَ التي يظنها العبادُ طويلةً دقائق معدودة؛ كَزِيَارةٍ عَابرةٍ محدودة؛ فإن هذا تعبير القرآن عنها بقوله ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾ [التكاثر: ١، ٢]!!

ولعلَّ المُتيَقِّظَ لِقُرب قيام الساعة يدرك سر المسألة؛ فقد ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ ﴾ [القمر:١]، وفي مسند **الإمام أحمد** من حديث **بريدة** رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ جَمِيعًا إِنْ كَادَتْ لَتَسْبِقُنِي**»[(١)]!!

(١) مسند أحمد، رقم الحديث (٢٢٩٤٧)، (٣٨/ ٣٦).

وأخرج أيضًا من حديث **زيد بن أرقم** رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخبر أن:

«صَاحِبَ الْقَرْنِ قَدْ الْتَقَمَ الْقَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ، وَأَصْغَى السَّمْعَ مَتَى يُؤْمَرُ»[(١)]!!

وأخرج **الحاكم** في مستدركه من حديث **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَلَا يَزْدَادُ النَّاسُ عَلَى الدُّنْيَا إِلَّا حِرْصًا، وَلَا يَزْدَادُونَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا»[(٢)]، وهذا مَا دَلَّ عليهِ قولُ الله تعالى:

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١]!!

وقد ذكر علماء الفيزياء أمرًا عجبًا مفاده:

أَنَّ الدُّنيا لو قَدَّرْنَا أمدها سنة كاملة؛ فإن آدم خُلِقَ قرابة الساعة الثالثة مساءً من آخر يومٍ فيها[(٣)]؛ لِتَكُون الدنيا كلها لا تزيد عن ساعاتٍ أربعٍ أو خمسٍ، يؤيد هذا قول الله تعالى:

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]!!!

وعليه:

لما كان الامتحانُ قصيرَ الأمدِ، كان لابد فيه من النَّصَبِ والكَبَد، وَمُلاقاة الصِّعَاب، وألوان الاغترابِ والاضطراب؛ لِيتميز الخبيث من الطيب، والرديء من الجيد، فكان من عَلائِمِ التَّمايُزِ بينهما أن تَجْرِيَ سننُ الله تعالى بِعَكسِ بَادِي الرَّأْي، وظاهرِ العقل!!

واسترسالاً في الإجابة أهديك قانونًا انبنى على قِصَرِ أمد اختبار الحياة الدنيا، وأقدمه إليك على هيئةٍ وَاحِدَةٍ..

---

(١) مسند أحمد، رقم الحديث: (١٩٣٤٥)، (٣٢/ ٩١) وقال الألباني: صحيح. في صحيح الجامع الصغير رقم الحديث: (٨٧٢١).

(٢) الحاكم/ المستدرك على الصحيحين (٤/ ٣٢٥).

(٣) علي الكيالي/ التحليل الفيزيائي ليوم القيامة، محاضرة مرئية منشورة على الانترنت.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من فرائد الفوائد

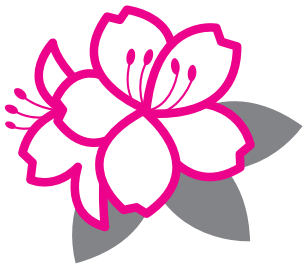

إِنَّ الجنَّةَ لَمَّا كانت أكبرَ دَرجاتٍ وَأكبرَ تفضيلاً؛ نَاسب أن يجري قانونٌ آخرُ في رحلة البشرية في هذه الحياة الدنيا، وقد أخرجه **مسلم** في صحيحه من حديث **أنس بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال فيه: «**حُفَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ**»[١]!!!

وَبِضَمِّ هذا القانون لأخيه من قَبْلِه؛ يتميز الصَّادق من المُنَافِق، وقد ازددتُ حبًا لابْنِ القَيِّم الذي دَلَّنَا علَى قَانُونِ التعامل مَعَ هذا القانون، فقال: **إنَّ العاقل الكَيِّسَ لَيَرَى المَنَاهِي كَطَعَامٍ لَذِيذٍ كَالعَسَل، قَد خُلِطَ فيه سُمٌّ قَاتل، فَكُلَّمَا دعتْهُ لَذَّتُهُ إلى تناولِهِ؛ نَهاهُ ما فيه من السُّم، وإنه لَيَرَى الأوامر كَدَواءٍ كَرِيهِ المَذاق، مُفْضٍ إلى العَافِيةِ والشِّفَاء، وَكُلَّمَا نَهاهُ كَراهةُ مَذاقِهِ عن تناوله؛ أمرهُ نفعُهُ بالتناول**[٢]!!!

ثمرة النهاية

١ـ كُنتُ من ذخائر الله:

تهدفُ الكتابةُ الإيمانيةُ في أعرافِ المؤلفين إلى بَثِّ أمورٍ أربعةٍ في قلب القارئ:

إحقاقُ التقوى فيما بينه وبين الله عَزَّوَجَلَّ، والتواضع فيما بينه وبين الناس، والزهد فيما بينه وبين الدنيا، والمجاهدة فيما بينه وبين نفسه!!

لَكِنِّي -والحق- أطمع من كتابتي إلى دَرَجةٍ إضافيَّةٍ، يَلتَحِقُ بها العبدُ المُوفَّقُ إلى رَكْبِ ذخائِرِ الله تعالى المَكنُونَةِ؛ لِيُصْطَفَى قلبُهُ من قُلوب العالمين حتى يرى بِعَينَي قلبه ورأسه الفَقْر غِنىً مع الله، والغِنَى فَقرًا دُون الله، والعز ذلاً دونه، والذل عزًا مَعَه، والنَّعيم عذابًا

(١) صحيح مسلم، رقم الحديث: (٧٣٠٨)، (٨/ ١٤٢).
(٢) ابن القيم/ الفوائد ص (١٣٧).

دونه، والعذاب نعيمًا معه!!

وَبِالجُملَةِ فَلَا يرى الحياة إلا به، فَإِن تَكَلَّم فَعَنِ الله، وَإن سَكَتَ فَمَع الله، وَإن سَارَ فَلِلَّه، فَهذا له جَنَّتَان، جَنَّةٌ في الدنيا مُعَجَّلَة، وَجَنَّةٌ يوم القيامة يجدها أمامه[1]!!!

أولئك الناس إن عُدُّوا وإن ذُكِرُوا ومن سواهم فَلَغْوٌ غيـر مَعـدُود

٢ـ وَالْتَحَقْتَ بِالْغُرَبَاءِ:

أخرج مسلمٌ في صحيحه من حديث **أبي هريرة** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**»[2].

فهؤلاء بشرى لهم بِعِظَمِ الثَّواب، وَطُوبَى لهم وحسن مآب، ولذا جَعلْتُهُم كما قال الشاعر:

هـم مرادي، وهم سُؤْلِي، وهم أَمَلِي وهم نهـاية مقصـودي وغايـاتـي
هم سروري، وهم سمعي، وهم بصري وهم نعيمي وروضاتي وجناتـي
هم حياتي، وهم أنسـي، وهم شرفـي وذكرهم لم يزل في القلب جلـواتي

وإن الله جلَّ وعلا حثَّ عباده أن يتصدوا لأجر رُتبةِ الغُرَبَاء؛ فقال في مُحكَمِ الكتاب: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [هود: ١١٦].

أخي..

لا يُبَطِّئَنَّكَ عن مَسلك الغُرباء المهتدين قِلَّة السالكين؛ فَإِنَّ النَّاجين قِلَّة، والغُرباء قِلَّةُ القِلَّة، وإن من أَشنعِ مَداخل الشيطان استشعار الغرباء بالنُّدْرَةِ، والضَّعف عنْدَ التَّفَرُّد بالسُنَّة، وَلِهَذا وَعَظهم سُفيان قائلاً: **اسْلُكُوا سُبُلَ الحَقِّ وَلَا تَسْتَوحِشُوا مِن قِلَّةِ أَهْلِهَا!!**

(١) ابن القيم/ الفوائد ص (١٩٦).
(٢) صحيح مسلم، رقم الحديث: (٣٨٩)، (١/ ٩٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَكُن أُخيَّ كَسَلمان الداراني الذي أعلنها بوضوح: **لَوْ شَكَّ النَّاسُ كُلُّهُم فِي الحَقِّ مَا شَكَكْتُ فِيْهِ، وَإِن كُنْتُ وَحْدِي!!**

فَليَستَقِمْ قَلبُكَ بِحَركة الجانب الذي يكون فيه الله ورسوله، ولو كانت الخلائق كلها في الجانب الآخر، فإن استغنى النَّاسُ بالدُّنيا فَاستَغْنِ أَنْتَ بالله، وإن فَرِحُوا بالدنيا فافرح أنت بالله، وإن أَنِسُوا بِأَحْبَابِهم فَاجعل أُنْسَكَ بالله؛ فَإِنَّكَ إِنْ ﴿تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦]!!

واعلَم أَنَّ الغُرباءَ هُمُ النزَّاع مِنَ القبائل، وَأَنَّهُم أعلام السُنَّةِ فِي زَمَنِ البَلايَا والرَّذَائِل، ثُمَّ إيَّاكَ ونسيان ما جَادت بِهِ قَريحةُ عبدُ الله بن مسعود رضي الله عنه بِقَولِه:

الْجَمَاعَةُ مَا وَافَقَ الحَق، وَلَو كُنْتَ وَحْدَكَ!!

فَأَنْتَ الجَمَاعَةُ، وَلَو كُنْتَ وَحْدَك!!

بل إني على طَمَعٍ أن تكون أنتَ أنت مَشَدَّ رِحَالِ الغرباء إليك؛ لِيُثَبِّتَهُم اللهُ علَى يديك؛ لِتَكُونَ كَابْنِ تيمية الذي قال عنهُ تلميذُهُ **ابنُ قَيِّم الجوزية**:

وَكُنَّا إذا اشْتَدَّ بِنَا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض؛ أتيناه، فَمَا هُوَ إلا أن نراه ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كله، وينقَلِبُ انشراحًا وَقُوةً ويقينًا وَطُمأنينة!!

فَسُبحان مَن أَشْهَد عبادَهُ جَنَّتَهُ قبل لقائِه، وَفتح لهم أبوابَها في دار العمل[1]، وَسُبحان سُبحان من أَوجَد في الأمة هؤلاء الربانيين، الذين تثبت بهم قلوبُ الصَّادِقين، فَكَانُوا كَشَجرةٍ طَيِّبَةٍ، أَصلُهَا ثَابتٌ، وَفَرعُهَا فِي السَّماء!!!

حتى تخرجَ بعد الكتاب خلقًا آخر

١ـ أعلن انقيادك لله:

إن من رَضِيَ عن ربه؛ رَضِيَ بما كَتبه عليه، واختاره له، فَفَرِحَ بِه، وَسُرَّ له؛ إذْ كيف يُنكِرُ

(١) ابن القيم/ الوابل الصيب (١/ ٦٧).

عقلٌ خلقه الله أمرًا على خالقه الذي فطره وَسَوَّاه؟!! ألا تعلم أن الخير مَكنونٌ لا يَعلَمُ مَوضِعَهُ إلا الله؟!!

واعلم -أخا الإسلام- أنَّ الله جلَّ وعلا ما أناطَنَا بِسُنُنٍ ثَابتاتٍ إلا لِنَعلم أَنَّه يُريدُ بنا خيرًا وَسَعْدًا، ومجدًا وَرُشدًا، حَتَّى لو تَقَاصَرت رُؤية العَبد، وَحَالت دُونها ضبابيةٌ شَوَّشَت صَفاءَ القلب!!

ألا ترى أنَّ فريقًا مِنَ الصحابةَ الأطهار لَمَّا خَرجُوا يوم بدر إلى مُصارعة المبطلين كَانوا كَارهين؟!، بل لَكَأَنَّهُم ﴿يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ [الأنفال: ٦]!! وما علموا حينها أن الخيرَ كُلَّ الخيرِ فيما اختاره الله سبحانه من النفير دون العِير؛ لِيَنضَمَّ كلُّ مُسلمٍ بَعدهم إلى يوم الدِّين فِي سِجلات محَاسِنِهم، وأرصدةِ أُجُورِهم، بَعد أَن سَجَلُّوا ألمع الانتصارات العسكرية في تاريخ الإسلام كُلِّه، فَخَيرِيَّةُ قَدَرِنَا فِيمَا اصطفاهُ اللهُ لَنَا؛ لِنَعلمَ بِيَقينٍ أَنَّهُ ليسَ للعَاطفةِ فِي دِينَنَا إِمَامة!!!

أخي..

لا يبطئنك عن تمام الانقياد لِرَبِّكَ عَجزُك عَن إدراك حِكمَتِهِ في كُلِّ تشريع، فما من قَضاءٍ ولا صَنِيع؛ إلا وَلِربِّنَا فيهُ سِرٌ رفيعٌ بديع، لا يدركه إلا التقي الصفي الوريع، بِفُتُوحاتٍ من البصير السميع!!

وإليك مثالاً فقهيًا يؤكد الحكمة الإلهية:

جعل اللهُ تعالى المَنِيَّ طَاهِرًا، فَمِنْهُ خُلِقَ البشر، وَفِي إمامتهم الأنبياء، وَتأبَى حكمتُهُ نجاستَه؛ إذْ كَيف يكونُ أصلُ الأنبياء نَجَسًا؟! وهذا هو المُنتَخب من أقوال العلماء، وهو مذهبُ الشَّافعية والحنابلة، ومعلومٌ أن المَنِيَّ يُوجِبُ غُسْلَ الجَسَدِ كُلِّه، فِي حين أنَّ البَولَ والغائط نَجِسَان بِإجماع الفقهاء، ويكفي فيهما الوضوء!!

فكيف نُؤمَرُ بِغُسْلِ الجسد كله إذا خرجَ منهُ طَاهِر، وغسل بعض مواضعَ في الجسد إذا خرج منهُ نَجِسٌ؟!!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قلت:

إن للمسألة أسرارها؛ كآلاف المسائل غيرها، وَإِنِّي بعد أَن تُسَجِّلَ انقيادك لله في كامل شرعِهِ، وَتُسَلِّمَ له تسليمًا؛ أبثُّ إليكَ أسرارًا أربعةً هَاكَهَا بين يديك:

أولاً: إنَّ لذةَ خُروجِ المَنِيِّ لَتعتَرِي الجَسدَ كُلَّه، فَنَاسب أن يَصِلَ الغُسْلُ لِكُلِّ موضعٍ وصلتْهُ اللذة، بِخِلافِ البَول والغائط، فاكتُفِي بِغَسلِ أكثر الجوارح اقترافًا لمعصية الجبار، وتَعَرُّضًا للغبار، جَمعًا بين الطهارة الحسية والمعنوية!!

ثانيًا: يَقِلُّ خروج المني في حين يكثر البول والغائط، فَناسبَ تيسيرُ الشريعة فيما كَثُر، لا فيما قَلَّ!!

ثالثًا: إنَّ كثيرَ المباحات من دواعي قسوة القلب؛ كَالأكل الكَثير، والنَّوم الكَثير، والكلام الكثير، والمزاح الكثير، وكذا الجِمَاع الكثير، فأراد ربنا ﷻ أن يَحفَظَ على عباده صَفاءَ قلوبهم، وَرِقَّةَ أفئدتهم؛ فَهَذَّبَهُم بِغُسْلِ الجسد كله؛ فَيَقِلَّ جِماعُ العبد لارتباطه به؛ لِكثرة انشغاله عنه، أو لعدم وفرة الماء، أو لبرودة الهواء، واختلاف الطقس، فَيَتَهَذَّبَ العبدُ بِوَاحدةٍ من علائمِ تَزكيةِ النَّفس[1]، والله عليمٌ حكيم!!

رابعًا: إن خروج المني قد يسبب الكسل والارتخاء الشديد، فَيَجِيءُ الغسل وَدَلْكُ الجسم لتنشيط الجهاز العصبي من جديد، ومن هنا كان استحباب الاغتسال عند الرغبة في المعاودة، أو الوضوء على الأقل عند تكرار الرفث والمراودة!!

ولـذا..

أَعلنْ انقيَادك لِرَبِّك، وَأَنَّهُ المَالِك الحكيم، وأنك المَملُوك السقِيم، وَللمَالِك الحُكم عَلَى مَملُوكِه؛ فَإِنَّهُ بِحِكمَتِه لا يُقَدِّر سُنَنَهُ عبثًا، بل إِنَّهُ ربُّنَا، يُرِيد أَن يُخَفِّفَ عنَّا، وَيتُوبَ علينَا، وَلَكِنَّ أكثرَ الناس لا يعقلون!!

---

(١) لكني أقول بجلاء ووضوح: إن العبد لئن يجامع ألف مرة أيسر من أن ينظر نظرة حرام واحدة؛ فإن كثرة الجماع تبقى في دائرة المباح، بل وأثبت النبي ﷺ قسطًا من الأجر لها، بينما قليل النظرات يخترق نطاق الحرام؛ الذي يؤجر بتركه، ويأثم بفعله، فتنبه!!

ثانيًا: وجاهد ذاتك لتنصر ذاتك:

إنَّ مُجَاراة السنن الإلهية في زمن الغربة الإسلامية؛ جهادٌ كبير، وَصِرَاعٌ مستطير، ويعلم الله تعالى أنه بِحَاجةٍ لِتَحَدٍّ وعزيمة، وَهِمَّةٍ كريمة، وَنَفْسٍ زَكِيَّةٍ مُستقيمة، ولهذا كان من أنفعِ الأدعية، وأجمعها، وأحسنها؛ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]!!

ولك أن تُدرِكَ عِظَمَ المُجاهدة، وحاجتها إلى نفسٍ طاهرةٍ صَامدة، لِرَبِّهَا عائدَة؛ بِتَأَمُّلِ مَا رَفعَهُ أَبُو يَزِيد عَلَى لافتةٍ كتب عَليهَا:

مَا زِلْتُ أَسُوقُ نَفسِي إِلَى اللهِ وَهِيَ تَبكِي، حَتَّى سُقتها وَهِي تَضحَك!!!

وإني أعظك بموعظة قتادة لك فأقول:

يا ابن آدم، إن كنت لا تريد أن تأتيَ الخيرَ إلا عن نشاطٍ؛ فإنَّ نفسك مائلة إلى الملل والسآمة، ولكنَّ المؤمن هو المُتحامِل، والمؤمن هو المُتَقَوِّي، والمؤمن هو المُتشدد، والله مَا يزال المؤمن يقول: ربنا.. ربنا في السر والعلانية؛ حتى استجاب الله له في السر والعلانية[1]!!

أخي..

اقهر شيطانك بِالمُبَادرة، وازجُرْهُ بِالمُجَاهدة؛ لِتكونَ من عباد الله تعالى الذين ليسَ للشيطانِ عليهم سُلطانٌ، وَلَيسَ لهُ عندهم حظٌّ وَلا نَصِيب، أولئك ذخائرُ الله الذين تَحَدَّثَ عنهُم **الرَّافِعي** فقال: **إنَّ عباد الله الصَّالِحين فِي تَاريخِ الشَّياطِين كَأَسماءِ المَواقِعِ التِّي تَنْهَزِمُ فِيهَا جُيوشُ المُقَاتِلِين**[2]!!!

ثالثًا: نَاطِح بِهِمَّتِكَ الغَمام!!:

إنَّ دناءة الهِمَّة من عَوائق السَّعْد، وَخَوارِم الرُّشْد، وإنَّ من أراد أن يكونَ خَلقًا آخَر؛ فَلابُدَّ أن تَحدُوهُ هِمَّةٌ ظَاهِرةٌ، وآمالٌ بين جَنبيهِ بَاهِرة، وَعَزِيمةٌ لنفسه قاهرة؛ ليَعملَ بما

---

(١) تفسير القرطبي (١/ ١٦٣).

(٢) وحي القلم (٢/ ١٥٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

انْدَرِسَ من الدِّين، ويُظْهِرَ ما خَفِيَ من دعوة سيد المرسلين؛ لِيَكونَ من ذوي الهمم، وصفوة الأمم، الذي طارت أرواحهم إلى مراقي الصعود، ومطالع السعود[١]!!

لا يدرك المجدَ إلا سَيِّدٌ فَطِنٌ ... لِمَا يَشُقُّ على السادات فعّال

لولا المشقةُ ساد الناسُ كلُّهم ... الجودُ يُفْقِرُ والإقدامُ قَتَّـال[٢]

أخي..

ألا تَسعَى فِي جَودة هِمَّتِك؟!! وَعُلُوِّ طموحاتك؟!! ألا تعلم أن ابن الجوزي قد جعل البكاءَ الحقيقي إنما يكون على خَسَاسةِ الهِمَم[٣]؟!!

فَشَمِّر عَن سواعد هِمَّتِكَ؛ لِتَكُون كَأبي مُسلم الخولاني الذي قال:

أَيَظُنُّ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ أَن يَسْبِقُونَا عَلَيْهِ؟!

والله لأُزَاحِمَنَّهُم حَتَّى يَعْلَمُوا أَنَّهُم خَلَّفُوا بَعدَهُم رِجَالاً!!!

أو كُن كَعَبدِ الله بن رواحة رضي الله عنه الذي قال:

والله لَا أَزالُ حَبِيسًا فِي سَبِيلِ الله حَتَّى أَمُوت!!

فكن رجلاً رِجْله في الثرى وهامة همته في الثريا

أما إن مَسَّكَ فُتورُ هِمَّة، فَلا أقل من استحضار النِيَّة؛ فَإِنَّ المَرء يبلغُ بِنِيَّتِه مَا لا يَبلُغُ بِعَمله كما قال ابن المبارك؛ عَلَّكَ أن تَلتَحِقَ بمن تناولهم ثناءُ ابن الجوزي بقوله:

إنَّ لله أقوامًا ما رَضُوا من الفضائل إلا بِتَحصيلِ جميعها، فَهُم يُبالِغُون في كل علمٍ، ويجتهدون في كل عملٍ، ويُثابرون على كل فضيلةٍ، فَإِذَا ضَعُفَت أَبدانُهم عن بعض ذلك؛

(١) مقامات القرني/ مقامة الهمة ص (٢١١).
(٢) دواوين الشعر العربي على مر العصور (٤٧/ ٣٦٥).
(٣) ابن الجوزي/ صيد الخاطر (١٠٠).

قَامت النِيَّاتُ نائبة وهم لها سابقون[١]!!!

أخي فاتر الهمة.. أناديك بصوت الشيخ سيد عفاني قائلاً:

لله درُّ أصحاب المعالي بِزَمانهم، مَا أقلَّ مَا تَعِبُوا، وما زالوا حتى نَالُوا مَا طَلَبُوا، شَمَّرُوا عن سُوقِ الجد في سوق العزائم، فأصبحوا في منزل النجاة وأنت نائم، فَمَتَى تسلك طريقهم يا ذا المآثم؟!! أين أنت من القوم؟!! والله ما قائم كَنَائِم[٢]!!

نسائم الروح

اعلم أنَّ الماءَ الراكد فاسد؛ لأنه لم يسافر ويجاهد، أما حين جرى الماء؛ صار مطلب الأحياء، وكذا تبقى على سطح البحر الجِيفَة؛ لأنها خفيفة، وسافر الدُّرُّ إلى قاع البحر، فَوُضِعَ من التَّكرِيم على النَّحر[٣]!!

رابعًا: أعلن يقينك بكلام ربك ورسولك:

لو شَقَّ اليقينُ شِغَافَ قُلوبِنَا؛ كَأَنْ نَطَّلِعَ على الجنَّةِ لحظة، أو ننال من النار نظرة، أو نَتَقَلَّب في ظُلمةِ القبر بُرهة؛ لَكَانَ الحالُ غيرَ الحال، لكن الشيطانَ زحف على رصيد فطرتنا، حتى هَزَّ الصورةَ في أذهاننا، فَصارَ النَّاس بما في يد البشرِ أوثق منهم مما في يد رب البشر، وانقلبت الدُّنيَا حقيقةً، لِتُصبِحَ الآخرة خيالاً!!

فَكَانَ لابُدَّ من إعلان يقينك، بِوَعد ربك ورسولك، فَبِهَذا سبقك أصحابُ مُحمدٍ ﷺ؛ فإنهم ما سَبَقُوكَ بِكَثرةِ صلاةٍ ولا صيامٍ، بل بهذا الرصيد الخَفِيِّ العزيز في زماننا هذا[٤]!!!

شرعنا للفـــرد مرقـــاة اليقيـن ... ترتقي منـه مقـــامـات اليقيـن
لك أُبْدِي نكتـــةَ الشرع المبيـــن ... أنت من في حكمة الدين أمين[٥]

(١) المرجع السابق ص (٩٠).
(٢) صلاح الأمة في علو الهمة.
(٣) عائض القرني/ مقامات القرني/ مقامة الهمة ص (٢١٢).
(٤) خالد أبو شادي/ رحلة البحث عن اليقين ص (٧-٨).
(٥) ديوان محمد إقبال (١/ ١٥١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذا سلفي لمَّا تَشَرَّبَ هذه الثقافة ألفيتهُ يقول في يقين:

واللهِ لَو كَانَ أَهْلُ مِصْرَ كُلُّهُم عِيَالِي مَا خَشِيتُ الفَقْر!!

إخوتاه..

قال **خالدُ بن معدان: ما من آدميٍّ إلا وله أربعةُ أَعيُنٍ؛ عينان في رأسه يُبصِرُ بهما أمرَ دُنياه، وعينان في قلبه يبصر بهما أمرَ أُخرَاه، فإذا أراد الله بعبدٍ خيرًا فتح عينيه اللتين في قلبه؛ فَأَبْصَر بِهِمَا مَا وُعِدَ بالغيب، فأمن الغيبُ بالغيب**[1]!!

فَأينَ عَيْنَا قلبك؟!! لَو كَان فِي قلبك بعضُ يقينٍ لَمَا أشغلتك دُنيَا عن آخرة[2]، وَلَرأَيتَ كُلَّ سُنَّةٍ على حَقيقَتِهَا الفَاخرة؛ فأمضيتها، وَكُنتَ من أهلها، وَلَتَركت ميلَ نفسك وطرحته، ولأعرضت عن هواك وطردته، فَبِعَينَي يَقِيني؛ أَسْلُكُ ما يُنَجِّينِي وَيَقِيْنِي!!

أخي..

عَيْنَا رَأْسِكَ تُرِيَانِكَ صلةَ أَرحَامِكَ سَرِقةً للوقتِ، وَضَياعًا للمَال، وَعَينَا قَلبِكَ تُرِيَانِكَ إِيَّاها سِعَةً في وقتك، وسبيلاً يزيدُ في مالك!!

عَيْنَا رَأْسِكَ تُرِيَانِكَ خِدمَةَ الدِّينِ فقرًا في دنياك، وَعَينَا قَلبِكَ تُرِيَانِكَ إياها أقرب وسيلة لِتَركيع دُنياك لك؛ لِتَأتِيَكَ صاغرةً راغمةً إلى قدميك!!

عَيْنَا رَأْسِكَ تُرِيَانِكَ الجهاد موتًا، والشهادةَ وَفاةً، وفي النَّوم والتقاعس نَجَاة، لكن عيني قلبك تريانك الجهاد والشهادة حياة، والنوم تهلكة وَوَفاة!!

عَيْنَا رَأْسِكَ تُرِيَانِكَ إخفاءَ العمل قَتْلاً له، وَعَينَا قَلبِكَ تُرِيَانِكَ إياه طريقًا لِظُهُوره، حتى لو فعلته في حُجرَةٍ مُغلقة، لا نافذة لها ولا باب!!

عَيْنَا رَأْسِكَ تُرِيَانِكَ إرضاءَ الله بِسَخَطِ الناس خسارةً تَجلِبُ غضب الناس عليك، وَعَينَا قَلبِكَ تُرِيَانِكَ إياه خير سبيل لرضا الله عنك، ثم قبول الناس لك، عاجلاً أو آجلاً!!

---

(١) أبو الحجاج المزي/ تهذيب الكمال (٨/ ١٧١).

(٢) خالد أبو شادي/ رحلة البحث عن اليقين ص (٢٠).

عَيْنَا رَأْسِكَ تُرِيَانِكَ استنصارَكَ بِأَعداءِ اللهِ قُوةً، وَعَينَا قَلبِكَ تُرِيَانِكَ ذلك هزيمةً وَذِلَّةً!!

عَيْنَا رَأْسِكَ تُرِيَانِكَ الابتلاء نارَ عذابٍ، وَمستنقعَ هَمٍّ، وَعَينَا قَلبِكَ تُرِيَانِكَ إياه نارًا نافعةً، لولاها ما نَضَجَ دينُكَ ولا إِيمَانُك!!

عَيْنَا رَأْسِكَ تُرِيَانِكَ عفوك عن غيرك مِهبَاطَ صَغَارٍ وَذِلَّةٍ، وَعَينَا قَلبِكَ تُرِيَانِكَ إياه معراجَ جلالٍ وعزة!!

عَيْنَا رَأْسِكَ تُرِيَانِكَ التواضعَ ذِلَّةً، والكبرياء عِزَةً، وَعَينَا قَلبِكَ تُرِيَانِكَ التواضع معراج رفعة، والكبرياء تنكيسًا لِهَامَةِ صَاحِبِه، ومزيدًا في حَقَارَتِه!!

عَيْنَا رَأْسِكَ تُرِيَانِكَ المسألةَ غنى، والدُّيونَ إنجازًا وَسعادة، وَعَينَا قَلبِكَ تُرِيَانِكَ المسألةَ بابَ فَقرٍ، والدُّيونَ جحيمَ هَمٍّ وَكَدر!!

عَيْنَا رَأْسِكَ تُرِيَانِكَ الصدقةَ نقصَ مالٍ، والرِّبَا زيادةً لَه، وَعَينَا قَلبِكَ تُرِيَانِكَ الصدقةَ سبيلاً يُنَمِّي مالك، والرِّبَا جمرةَ عذابٍ تَمحَقُ مُمتلكاتك!!

وَإِنِّي -وَرَبِّي- قَد أَجهدْتُ نفسي، وَكَتبتُ لَكَ ما بِوُسعِي؛ لأعزز نَظَر عيني قلبك؛ فَتُهزَم عَيْنَا رَأسك، لِتكُونَ وَقَّافًا عند سُنَنِ الله؛ فَتَسعدَ سَعدًا لا يعرفه أهل هذه الحياة؛ لأنك من ذخائرِ الله، وخَاصَّةِ الله!!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كُلُّ سِرٍّ تُخْفِيهِ
فَاللَّهُ مُبْدِيهِ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أولاً: بطاقة تعريف

إذا أراد العبد صدارة وظهورًا، وسعى في الناس لأن يكون مشهورًا، فإنه يبقى خفيًا مغمورًا، أما من اجتهد في إخفاء حسناته أو سيئاته، واتخذ كل وسيلة لئلا يراه أَحَد، فإن الناس ستعلم أمره، وكَأَنَّهُ فعله على جبل أُحُد، أو صدح به في المنابر، حتى علا في المآذن والمنائر!!

كلُّ سرٍ فاللهُ مُبدِيه

دخل رجلٌ على **عثمانَ بنِ عفانَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان قد لقي امرأة في طريقه فتأملها، فقال له **عثمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يدخل أحدكم وفي عينيه أثرُ الزنا، فَذُهِلَ الرجلُ وقال: أَوَحْيٌ بعد رسول الله ﷺ؟ قال: لا، ولكنْ قول حق، وفراسة صدق(١).

صدح **عثمانُ بنُ عفانَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهذا القانون الإلهي، ثم بَثَّهُ لكل بَرٍّ وفاجر، في هيئة إنذارٍ زاجر؛ فقال:

ما أسر أحدٌ سريرة إلا أظهرها الله عَزَّوَجَلَّ على صفحات وجهه، وفلتات لسانه!!

وهذا ما عناه **سليمان التيمي** بقوله: إنَّ الرجل لَيُصيب الذنبَ في السرِّ، فيصبح وعليه مذلتُه!!

صاغ **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الإنذار العثماني في صورة توجيه ذهبيّ، ونُصْحٍ أَخَوِيّ، فقال: لِيَتَّقِ أحدُكم أنْ تلعنه قلوبُ المؤمنين وهو لا يشعر، يخلو بمعاصي الله، فيُلقِي اللهُ له البُغْضَ في قلوب المؤمنين(٢)؛ ذلك أن أَنفُسَ الخلقِ كلَّها بيده، فإذا أحبَّ عبدًا أشاع أمره في أهل السماوات والأرض ليحبوه، وإلا أطبقت القلوب على بُغْضِهِ، فَلَزِمَ الحَذَر.

وقد قال **سفيان بن عيينة**: لو لم يُنَزِّل الله تعالى علينا إلا قوله ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ

(١) السبكي/ طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٣٢٧)
(٢) ابن رجب/ جامع العلوم والحكم ص (٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ﴾ [البقرة: ٢٣٥] لكان قد أعذر(١)!!

أُخَيَّ المبارك..

إن للأعمال لوائحَ وروائحَ، فمن خان الله عَزَّوَجَلَّ في السر هتك سِرَّه في العلانية، وأبصره أتباع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وزكمت رائحته الإخوان والجيران، أما الذي يَخْفَى فهو الذي لا يقع فقط!!

ومهما يكنْ عنـد امرئٍ من خَليقةٍ وإنْ خَالها تخفى على الناسِ تُعلَمِ

أما من أصاب حسنة، فاجتهد في إخفائها، فأبتْ سنة الله عَزَّوَجَلَّ إلاّ أن يفوح عبيرها المسك، ويعلو شذاها العنبر، **كعبد الله بن غالب** الذي لما مات أبى الله إلا أن نعلم سريرته، ففاح المسك من جوانب قبره، فَرُئِيَ في المنام؛ لِيُسْأَلَ عن سبب الرائحة، فكان الجواب: هي رائحة التلاوة والظمأ(٢)!!!

وهبني كتمتُ السرَّ، أو قلتُ غيرَه أَتَخفى على أهلِ القلوبِ السـرائرُ
أبى ذاك؛ إنَّ السرَّ في الوجهِ نـاطقٌ وإنَّ ضميرَ القلبِ في العينِ ظـاهرُ

ولله در **السري السقطي** الذي شَقَّ اليقينُ شِغَافَ قلبه بذلك فهتف بك ناصحًا:

«اجتهد في الخمول، فإن أحوالك تشتهر بين أوليائه إذا صح مَقَامك فيها»!!

ثانيًا: نصوص الوحي تناديك

كشفت جولتي في مناجم النصوص القرآنية عن ثلةٍ من دعائم سُنَّتِنَا هذه، أَسْطُرُ ألمعَهَا في خمسة بنود إِلَيكَهَا:

١ـ هل أتاك نبأ الرقيم؟:

حدثتنا سورة الكهف أن فتيةً آمنوا بربهم، ولَمَّا انبرى سلطان زمانهم يفتنُهُم في دينهم،

(١) البيهقي/ شعب الإيمان (٥/ ٤٦٠)، محمد رشيد رضا/ تفسير المنار (١١/ ٢٨).
(٢) يقصد كثرة التلاوة، وصيام النوافل.

اعتزلوا قومهم، وآوَوْا إلى الكهف؛ علَّ الله أن ينشر لهم من رحمته، وقد اجتهدوا في إخفاء أنفسهم، بل أوصوا من يذهب إلى السوق؛ لينظر أيها أزكى طعامًا، أن يتلطف، ولا يُشعِرنَّ بهم أحدًا، إلا أن الله أعثر الأَنَام عليهم، ونقل إلينا ما كان من أمرهم، وأكرمهم بسورةٍ قرآنيةٍ حملت خبر كهفهم، يتلوها كثيرٌ من المؤمنين في كل جمعة..

وعقب هذا أستأذنك أخي أن نترنم سويًا بقول الله عَزَّوَجَلَّ:

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ [الكهف: ٩]

رسالة الآية:

أفاد المفسرون أن في تأويل الرقيم أقوالاً، أَوْلَاها بالصواب وأرجحُها عند شيخ المفسرين الإمام **الطبري**، وهو رأي **ابن عباس** (م)، **وسعيد بن جبير ومجاهد**، أنه بمعني المرقوم؛ أي: المكتوب، والرقيمُ لوحٌ كبيرٌ من رصاص، كتبَ الناسُ فيه أسماءَ الفتية ودينهم وأنسابهم، وقصتهم من أولها إلى منتهاها، ثم أثبتوه في أعلى سور المدينة؛ يبصره كل داخل لها أو خارج منها؛ ليعلم من اطلع عليه يومًا من الدهر ما قصتُهم، حتى تذهب الدنيا[1]!!

فتدبر بمجامع قلبك:

لما سَعَوْا يخفون أنفسهم أثابهم الله ذِكْرًا وظُهُورًا، وانتقلوا من الكهف المهجور، إلى لوحٍ بصدر المدينة منشور، وكم من أناس اجتهدوا في شهرة ذواتهم بكل سبيل؛ فأبى الله إلا أن يَبْقَوْا في كهفٍ مستُور، وذِكْرٍ مغمُور!!

٢ـ يأتي بها الله:

جلس **لقمان** يوصي ولده، وما كنا نعلم شيئًا عن **لقمان**، ولا عن وصيته، إلا أن الله نقل ذلك إلينا في سورةٍ باسمه تتلى، إليك طرفًا منها:

﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٦٠٤)، ابن الجوزي/ زاد المسير (٥/ ١٠٨)، ابن عاشور/ التحرير والتنوير (١٥/ ٢٦٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦]، وهذه عظةٌ ثمينة -إِيْ ورَبِّي-، فَأَمْسِكْها بكلتا يديك، وَعُضَّ عليها بناجذيك..

رسالة الآية:

إنَّ ما يقترِفُهُ العبدُ من حسنات وسيئات ظاهرٌ كشمسِ السماءِ، بل لو كان العملُ مثقالَ حبة من خَرْدَلٍ إشارةً إلى منتهى صغره، وقد أَدَّاهُ داخل صخرة دِلالة على حَجبِهَا عن الخلق، أو في السماوات أمارة البعد الشديد، أو في الأرض تلويحًا بظلماتها الكالحة؛ فإن الله يأتي به، وينقله للناس؛ لِتَمضيَ سنة الله تعالى[١]!!!

قرأ **عثمان** رضي الله عنه هذه الآية، فسجل لنا مثالاً عَجَبًا يعين على فهمها فقال:

لو أن رجلاً دخل بيتًا في جوف بيت، فأدى هناك عملاً أوشك الناس أن يتحدثوا به، وما من عاملٍ عَمِلَ عَملاً إلا كساه الله رداء عمله، إن خيراً فَخَير، وإن شراً فَشَر!!

رحم الله **عثمان**، فإن كلماتِهِ تَشُعُّ نورًا كالقمر، إلا أنها مستمدة من شمس الرسالة النبوية، فقد أخرج الإمام **أحمد** في مسنده، والحاكم في مستدركه، من حديث **أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ** رضي الله عنه أَنَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ يَعْمَلُ فِي صَخْرَةٍ صَمَّاءَ لَيْسَ لَهَا بَابٌ وَلَا كُوَّةٌ لَخَرَجَ عَمَلُهُ لِلنَّاسِ كَائِنًا مَا كَانَ»[٢]!!

قال **الألوسي** في تعقيبه على الآية:

جرت سنة الله تعالى على أنَّ العبد وإن اجتهد في إخفاء الطاعة؛ فلابد وأن يُظهِرَ ربنا سبحانه مَخَايِلَها على شمائله، والمعصية كذلك، فحسرةً على من أظهر خلاف الواقع، ولهذا ما أسرَّ عبد سريرة إلا ألبسه الله تعالى رداءها، إنْ خيرًا فخير، وإنْ شرًا فشر[٣].

---

(١) الرازي/ البحر المحيط (٧/ ١٨٣).

(٢) مسند أحمد، رقم الحديث: (١١٢٣٠)، (١٧/ ٣٣٠)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وحسنه الهيثمي، وضعفه الألباني.

(٣) الألوسي/ روح المعاني (١٨/ ٢٠٠).

٣ـ والله مخرجٌ ما كنتم تكتمون:

كان في بني إسرائيل رجلٌ ثري، وله ابن عم فقير، لا وارثَ للغني سواه، فلما طال عليه أَجَلُهُ قتله لِيَرِثَه، وحمله في ظلام الليل، وألقاه في قرية بعيدة، فلما هَلَّ نور الصباح راح يتهم أناسًا في قتله، وغدا يُرْعِدُ وَيُبْرِقُ، ويطلب الثأر، فهرع الناس إلى موسى عليه السلام؛ كي يدعوَ ربه، ويعرفوا القاتل الحقيقي، فنزل وحي السماء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾ [البقرة: ٦٧]..

فلما ذبحوها وما كادوا يفعلون أُمِرُوا أن يضربوا القتيل ببعض أجزائها، فعادت إليه الحياة، وأفصح عن قاتله، وعلم الناس أن من نادي بالأمس بثأره هو من اقترف الجريمة والناس نيام!!

وهذا برهان قرآني أَبَتُّهُ لكل مُرتابٍ في سُنَّتِنَا؛ فإن الله الذي يخرج الحي من الميت كشف السر من خلال عُضو بقرة، مع عجزها عن إحياء نفسها، فضلاً عن غيرها، ولسان القدر ينطق: جسد ذبيح يرد الحياة لِرَجُلٍ قتيل[1]، علَّ اليقين يُرَابط في قلبك، فتعلم أن السرائر تُبلَى وتَظْهر، وأن القاتل سيُقتَل ولو بعد حين، ألم أقل لكم إن الله مخرج ما كنتم تكتمون؟!!

من فرائد الفوائد

كان **سفيان الثوري** لا يعتد بما ظهر من عمله، فَخَلَّدَ اللهُ اسمه، ورفع ذكره، وجعله في الناس إمامًا، أما المنافقون فلا يعتبرون إلا بعمل الظاهر، والصدح به في أسواق المفاخر، فإنْ غَضَّ الناس البصر عن رؤيتهم، رقدوا لحين عودتهم، فجاء سمتهم ينص على أن: أفهامهم سقيمة، وآراءهم عقيمة، تراهم يبصرون لكن بلا بصيرة؛ لسوء السيرة، وخبث السريرة.

قدْ ماتَ قومٌ، وما ماتتْ مكارمُهمْ وعاشَ قومٌ، وهمْ في الناسِ أمواتُ

(١) الماوردى/ النكت والعيون (١/ ١٤٣)، سيد قطب/ في ظلال القرآن (١/ ٥٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤ـ ولتعرفنهم في لحن القول:

أفاد القرآن أن رأس مال المنافقين ارتداءُ ثياب التُّقَى والخير، ومناصحة الغير، لكن الله هتك سترهم في فلتات الألسن ولَحْنِ القول، وكذا بما ورد في سورة البقرة:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣].

رسالة الآية:

ذكر المفسرون فيها قولين:

أولهما: أَسَرَّ المنافقون فيما بينهم هذا القول، فنقله الله ﷻ لنبيه ﷺ والمؤمنين. وهذا قول البغوي.

والثاني: أن ألسنهم ما تكلمت بذاك الحديث البَخْس، إنما كان حديثَ نفس، فأبى الله إلا هتك سترهم، وإظهار سِرَّهم، أما في الاتجاه المعاكس؛ فقد رأينا الذين أطعموا الطعام على حُبِّهِ مسكينًا ويتيمًا وأسيرا، قالوا في أنفسهم ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ [الإنسان: ٩]، فنقل الله قولهم لنا، وأثابهم أجرًا حسنًا، ومَتَّعَهُم متاعًا حسنًا، ورزقهم ذكرًا حسنًا، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان[١]!!

فسبحان الملكِ القدوسِ السلامِ الذي يكشف لنا محاسن الكرام، ومساوئ اللئام؛ لنعلم أن الساعيَ في ستر آثامه يُفضح، والمجتهد في إخفاء طاعاته ذِكْرًا يُمنح.

٥ـ يوم تبلى السرائر:

إذا تَقَرَّرَ أن السرائر تظهر في الدنيا؛ فإن الآخرة أجلى وأولى، فإذا بُعثِرَ ما في القبور، وحُصِّلَ ما في الصدور، وَحَدَّثَتِ الأرضُ أخبارها، لَمَّا أوحى الله لها، حينها تُبلَى السرائر، وتُكشَفُ خبايا الضمائر، وقد قال ابن عُمر رضي الله عنهما: يُبدِي اللهُ كلَّ سرٍّ يوم القيامة، فيكون زَيْنًا

(١) إسماعيل حقي/ تفسير روح البيان (١/ ٥٤).

في أوجه أهل الكرامة، وشينًا لأهل الندامة، وقد قال الله تعالى:

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]

وهذه الآية -لمن كان له قلبٌ- شافية كافية.

وسِرُّ ذلك أُسمِعُهُ إيَّاك من روائع **ابن القيم** الذي راح بعبقريته الفذة يقول:

إن الأعمال نتائجُ السرائر الباطنة، فمن كانت سريرته صالحة كان عمله صالحًا، فتبدو سريرته على وجهه نورًا وإشراقًا وحياءً، ومن كانت سريرته فاسدة كان علمه تابعًا لسريرته، لا اعتبار بصورته، فتبدو سريرته على وجهه سوادًا وظلمة وَشَيْنًا، وإن كان الذي يبدو عليه في الدنيا إنما هو عمله لا سريرته؛ فيوم القيامة تبدو عليه سريرته، ويكون الحكم والظهور لها[١]!!

إخوتاه..

لو رزقنا الله عينًا قلبية ثاقبة النظر، لأدركنا أنه لا سِرَّ في صفحة هذا الكون، فيحسب الجاهل أن معاصيَه في خفاء، لكن شمائلها تكسو الوجه بِذِلَّةٍ وكآبة يراها الخَلْق، ولا تعجب من ذلك، وتعالَ نُصْغِ سويًا لخبر **حبيب أبي محمد**، علَّ العجب يتبدد..

كان **حبيب أبو محمد** يَتَّجِرُ في الأموال، ويغوص في الربا، فمرَّ ذات يوم بصبيان يلعبون، فقال بعضهم لبعض: قد جاء آكِلُ الربا، فنكس رأسه، وقال: يا ربِّ، أفشيتَ سرِّي إلى الصبيان، فرجع فجمع ماله كُلَّه، وقال: يا ربِّ إنِّي أسيرٌ، وإني قد اشتريتُ نفسي منك بهذا المال فأعتقني، فلما أصبح، تصدَّق بالمال كلِّه وأخذ في العبادة، ثم مرَّ ذات يوم بأولئك الصبيان، فلما رأوه قال بعضهم لبعض: اسكتوا؛ فقد جاء حبيبُ العابد، فبكى، وقال: يا ربِّ أنتَ تَذُمُّ مرَّةً وَتَحْمَدُ مرَّةً، وكله من عندك ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨].

---

(١) ابن القيم: التبيان في أقسام القرآن ص (٦٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثالثًا: من غيث الرسالة

١ـ الأُخُوَّةُ الإيمانيةُ بين الكائنات الحية:

من تأمل في صفحة الكون، ورأى الحركة والسكون، وتخيل الجن وعاين الإنس، وتدبر الليل لَمَّا عسعس، والصبح حين تنفس، وسار في مناكب الأرض، وآنس ببصره الدواب السائمة، والوحوش الهائمة، والأسماك العائمة، علم أن منظومةً متحدةً لهؤلاء لا تختلف، وأُخوةً إيمانيةً على الحق تأتلف!!

وإنَّ من سار في شعاب الكون يتأمل المشهد الإيماني المتناسق سيخرج بتقريرٍ موسع، أبدؤه أنا لتكمله أنت في جولتك الخاصة!!

حدثنا ربُّنا عَزَّوَجَلَّ أنَّ السموات والأرض ومن فيهنَّ يسبحون بحمده، ولكن لا تفقهون تسبيحهم، وقد أفاد أبو العالية بقوله: «ما في السماءِ نجمٌ ولا شمسٌ ولا قمرٌ إلا يقعُ لله ساجدًا حيَن يغيب، ثمَّ لا ينصرفُ حتى يؤذنَ له، وأما الجبالُ والشجر فسجودُهما بفيءِ ظلالِهما عن اليمينِ والشمائل «وهذا اتفاق إيماني على إعلان التوحيد الصادق لجناب الله تعالى كما في سورتي الحج {١٨}، والنحل {٤٨}..

ثم تبدأ أواصر الأخوة تتكامل في مشاهد حية، ألا ترى أن الملائكة تستغفر دومًا للذين آمنوا، وتدعو ربها أن يَقِيَهُم عذاب الجحيم، بل ويدخلهم جنات عدن التي وعَدَهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم؟!! ألا ترى أن «أهل السماوات والأرضين حتى النمل في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير»[(١)]؟!!

أخي..

بلغت الأخوة بالأرض أنها تفسح جنباتها للمؤمن في قبره بأمر الله تعالى، حتى يتسع له مَدَّ بصره، أما الكافر فإنها تضيق عليه، حتى تختلف أضلاعه، ثم تأخذ في البكاء على أخيها

(١) سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٦٨٥)، والحديث عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الألباني: صحيح.

المؤمن، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس أحد من الخلائق إلا وله باب في السماء منه ينزل رزقه، ومنه يصعد عمله، فإذا مات المؤمن أُغلق، فيبكي عليه، وإذا فقده مُصَلَّاه في الأرض التي كان يصلي فيها، ويذكر ربه عز وجل عليها، فيبكي عليه أربعين صباحًا[1]!!

وَكَأَنَّ الرِّيبَةَ حلت بأحد جُلَّاس **ابن عباس** رضي الله عنهما، فقال عَجِبًا: أتبكي الأرضُ؟ فردَّ عليه على عجل: وما للأرض لا تبكي على عبدٍ كان يعمرها بالركوع والسجود، وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دويٌّ كدوي النحل؟!! أما أولئكم الكفرة الفساق، أهل الكذب والنفاق، كآل فرعون ومن حل عليهم الشقاق؛ ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ [الدخان ٢٩]!!!

ومن المشاهد:

سجودُ الجَمَلِ لما رأى النبي ﷺ، وبكاءُ الجذع على فراقه ﷺ، وهو من قال عن جبل أُحُدٍ: هو جبل يُحِبُّنَا ونُحِبُّه، بل إن النبي ﷺ استفاد دعاء سجود التلاوة من شجرةٍ، وصالُ الحُبِّ قائم بيننا وبينها!!

فقد أخرج **الترمذي** من حديث **ابن عباس** رضي الله عنهما قال: جاءَ رجلٌ فقال: يا رسولَ الله، إنِّي رأيتُني الليلةَ وأنا نائم كأنِّي أُصَلِّي خلفَ شجرة فسجدتُ، فسجدتِ الشجرةُ لسجودي، فسمعْتُها وهيَ تقول: اللهمَّ اكتبْ لي بِها عندكَ أجرًا، وضعْ عنِّي بها وزرًا، واجعلْها لي عندَك ذُخْرًا، وتقبَّلْهَا منِّي كما تقبَّلتَهَا منْ عبدِك داود[2]!!

قال **ابنُ عباس** رضي الله عنهما: فقرأَ رسولُ الله ﷺ سَجْدَةً، ثمَّ سجدَ، فسمعتُه وهو يقولُ مثلَ ما أخبَرهُ الرجلُ عنْ قولِ الشجرة[3].

وفي ختام هذا التقرير:

ألم تلحظ أن الله عز وجل نقل لنا أسرار الكائنات الحية، فمن أدرانا بصلاتهم وسجودهم،

---

(١) قصص القرآن.

(٢) وهي إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

(٣) سنن الترمذي، رقم الحديث: (٥٧٩)، ص (١٤٩)، و قال الألباني: حسن.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وطوافهم واستغفارهم لنا، ورحمتهم بنا، ليتأكد لك أن كلَّ سِرٍّ صادقٍ، مَآلُهُ ظهورٌ ناطق، وعلوٌ سامق؛ لِيَعتَبِرَ أولو الأبصار!!

٢ـ جولة ملائكية:

أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا..»[(١)].

رسالة الحديث:

أفاد الحديث النفيس أن لله عز وجل ملائكةً طَوَّافين في مناكب الأرض، بحثًا عن كل مُسَبِّحٍ وحامد، أو ذاكرٍ وعابد، فإذا عثروا بك جالسوك، وبأجنحتهم حَفُّوك، وقد بَيَّنَ النووي أن هؤلاء لا وظيفة لهم إلا أنت، فهم زائدون على الحفظة، وما تَلفِظُ من شيء إلا كتبوه، حتى لو كان الذكر في قلبك، ولم تنطق به شفتاك فيقيدوه، بعد أن يهديهم الله لعلامة بها يعرفونه[(٢)]!!

أيُّ شرفٍ هذا؟!!، أي كرامة هذه؟!!

فليسعد كل ذاكر، لجناب التوحيد شاكر، فإن الله ينقل للخلق أوراده السرية، حتى لو كانت أذكارًا قلبية، فالملائكة تعرفها بعلامةٍ ربانية، فطوبى لأهل السرائر الحسنة، وإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً..

٣ـ جولة حول العرش:

أخرج الإمام ابن ماجه في سننه من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ التَّسْبِيحَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّحْمِيدَ، يَنْعَطِفْنَ**

---

(١) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٦٤٠٨)، (٣/ ٢٢٦).

(٢) النووي/ شرحه على مسلم (٩/ ٥٦). المسألة خلافية، وقد رجح النووي هذا القول، يؤيده قول الله عز وجل ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ [الإنفطار: ١٠ - ١٢].

حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، تُذَكِّرُ بِصَاحِبِهَا، أَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَوْ لَا يَزَالَ لَهُ مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ»[١].

رسالة الحديث:

يا غافلاً عن الأذكار، يا غارقًا في دفتر الأفكار، الكلام إليك، وأقلام الترغيب تعرض نفسها عليك..

إذا ذكر العبد ربَّه طارت أذكاره إلى العرش مبتدئة بطواف القدوم، لها دويٌّ كدويِّ النحل، ثم تنادي: أنا تسبيحة فلان بن فلان، أما من ذكر ربَّه مائة مرة فالتسابيح تسير في حشد مليح قائلة: نحن تحميدات فلان بن فلان، أمَّا ذاك الذي استحوذ حُبُّ الإله على لُبِّه، وغرس الله الإيمان في قلبه، وأمضى وقته في ذكر ربه، سواء في الجهر أو خفاءً في نفسه، فبشره بمسيراتٍ ألفيةٍ أو مليونيةٍ، تطوف حول العرش تنادي باسمه، وهو على ظهر الأرض يسير بجسمه!!!

يا صاحب السر..

ساحة الكون وسيلة إعلامية تبصر أفعالك، وتحصي أعمالك، وتراقب أقوالك، لكن الجاهل يكتفي أن يرفع اسمه في حدود قريته التي يسكن، وجيله الذي يعرف، وزمنه الذي يعيش، أما نباريس الإخلاص فذكرهم في الأرض والسماء قائم، وفي الأجيال المتعاقبة دائم!!

أخي..

منن الإله ثمينة يعجز عن اقتناصها مشلولو الهدى، ويعمى عن رؤيتها أرباب الهوى، فالمرعى أخضر لكن الأعنُزَ مريضة، والله المستعان، وإليه المشتكى[٢]!!

---

(١) سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٠٩)، ص (٦٢٨)، وقال الألباني: صحيح.

(٢) خالد أبو شادي/ صفقات رابحة ص (٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤ـ جولة في القبور:

إذا ثبت أن سِرَّكَ معلومٌ عند أهل السماء، فالأمر كذلك في باطن الأرض، فإن الله ينقل لعشيرتك وأصدقائك الأموات ما تَسلُكُهُ أنت من حلالٍ وحرام، وطاعاتٍ وآثام!!

أخرج الإمام **أحمد** في مسنده بسند صحيح من حديث **أنس بن مالك** ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى أَقَارِبِكُمْ وَعَشَائِرِكُمْ مِنَ الأَمْوَاتِ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا اسْتَبْشَرُوا بِهِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ، قَالُوا: اللَّهُمَّ لاَ تُمِتْهُمْ حَتَّى تَهْدِيَهُمْ كَمَا هَدَيْتَنَا**»(١).

رسالة الحديث:

سمع **أبو الدرداء** بهذا الحديث، فتضرع سريعًا إلى الله قائلاً:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوْذُ بِكَ أَنْ أَعْمَلَ عَمَلاً أُخْزَى بِهِ عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بنِ رَوَاحَة»(٢).

وروى **ابن أبي الدنيا** عنْ **أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ**، قَالَ:

«غَزَوْنَا حَتَّى إِذَا انْتَهَيْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ مَدِينَةِ قُسْطَنْطِينِيَّةَ إِذَا قَاصٌّ يَقُولُ: مَنْ عَمِلَ عَمَلاً مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ عُرِضَ عَلَى مَعَارِفِهِ إِذَا أَمْسَى مِنْ أَهْلِ الْآخِرَةِ، وَمَنْ عَمِلَ عَمَلاً مِنْ آخِرِ النَّهَارِ عُرِضَ عَلَى مَعَارِفِهِ إِذَا أَصْبَحَ مِنْ أَهْلِ الْآخِرَةِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو أَيُّوبَ: أَيُّهَا الْقَاصُّ، انْظُرْ مَا تَقُولُ، قَالَ: وَاللهِ إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَفْضَحْنِي عِنْدَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَلَا عِنْدَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِيمَا عَمِلْتُ بَعْدَهُمَا، فَقَالَ الْقَاصُّ: وَإِنَّهُ وَاللهِ مَا كَتَبَ اللهُ مَا كَتَبَ وِلَايَتَهُ لِعَبْدٍ إِلَّا سَتَرَ عَلَيْهِ عَوْرَتَهُ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِأَحْسَنِ عَمَلِهِ»(٣)!!

ولله دَرُّ **عَبَّادِ بنِ عَبَّاد** من مؤمنٍ مُوغلٍ في درب اليقين، دخل يومًا على أمير فلسطين **إبراهيم بن صالح**، فقال له **إبراهيم**: عظني رحمك الله، فقال **عباد**: بلغني أن أعمال الأحياء

(١) مسند أحمد، رقم الحديث: (١٢٦٨٣)، (٢٠/ ١١٤)، وقد ضعفه الألباني أولًا، ثم رجع عن التضعيف، وصححه في السلسلة الصحيحة رقم الحديث: (٢٥٧٨).

(٢) ابن رجب/ أهوال القبور ص (١٥٠).. يظهر أن الصحابة الكرام فهموا من الحديث قرابة النسب، وقرابة المؤمنين العامة، فقالوا ما قالوا.

(٣) ابن أبي الدنيا/ الأولياء ص (٢١).

تعرض على أقاربهم من الموتى، فانظرْ ماذا يعرض على رسول الله ﷺ من عملك؟! فبكى إبراهيم حتى سالت دموعه على لحيته!!

فانظر بعقلك، وتدبر بلبك؛ كيف أن الله عَزَّوَجَلَّ قد نقل لهم ما تفعل، فإن الله عَزَّوَجَلَّ رأى منك كُرْهَ نقل الطاعة فنقلها، وحُبَّ ستر المعصية، فَعَرَّفهم بها، جزاءً وفاقًا!!

رابعًا: مآثر الأيام

١ـ لماذا دف نعليك في الجنة يسير؟

أخرج **البخاري** في صحيحه من حديث **أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ **لِبِلاَلٍ** عِنْدَ صَلاَةِ الْفَجْرِ: «**يَا بِلاَلُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلاَمِ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ؟ قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلاً أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلاَّ صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ**»[(١)].

رسالة الحديث:

عرفتْ ثنايا الخلوات بلالاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكان له سهمٌ وافرٌ في عبادة السر، فكلما حلَّ عليه الطُّهُور صلى ما شاء الله أن يصلي، ولَمَّا قَضَت قواعدُ سُنَّتِنَا بأنَّ السر لابد وأن ينقل، رأى النبيُّ ﷺ **بلالاً** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في منامه في الجنة، وسمع صوت مشيه بنعليه فيها، فسأله ليُكشَف السر، وفي هذا عِظَمُ المجازاة على ما يُسِرُّهُ العبد من عمله[(٢)]، خاصة وأن الصلاة أجلُّ عملٍ، ومأثرة السرائر تفوق العلانية فضلاً، فتراكمت الفضائل لذوي المكارم والفضل، والله ذو الفضل العظيم.

٢ـ كَرِهَ الظهور فأكرمه الله بإمامة مذهب:

سَعَى الإمام **أحمد** في إخفاء نفسه سعيًا حثيثًا، ومنع كُلَّ تلميذ أن يكتب عنه شيئًا،

---

(١) صحيح البخاري، رقم الحديث: (١١٤٩)، (١/ ٢٥٢).

(٢) ابن حجر/ فتح الباري بتعليق ابن باز (٣/ ٣٤)، حاشية السندى على صحيح البخارى (١/ ١٧٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فأضحى إمام أهل السنة والجماعة لإخلاصه العَطِر، وقَيَّضَ الله له بعد موته من يحفظ علمه، فجمع تلميذه الخلاَّل تَرِكَتَهُ العلميَّة خلال ستين عامًا، وأمَّ الحلقاتِ الفقهيةَ بدمشق يُدَرِّسُهَا، حتى غدا مذهبًا فقهيًا رابعًا!!

إنها السريرة الصادقة يا إخواني، عَبَّقَتْهَا نفحةُ إخلاصٍ، وَصَلَ عبر مئاتِ السنين شَذَاهَا، وهتف **ابن القيم** بروائع ذهبيةٍ باديةٍ على مُحَيَّاهَا، فقال:

«إنه إمام أهل السنة على الإطلاق **أحمد بن حنبل**، الذي ملأ الأرض علمًا وحديثًا وسنةً، حتى إن أئمة الحديث والسنة بعده هم أتباعه إلى يوم القيامة، وكان رضي الله عنه شديدَ الكراهةِ لتصنيف الكتب، ويحب تجريد الحديث، ويكرهُ أن يُكتَبَ كلامه، ويشتد عليه جدًا، فعلم الله حسن نيته وقصده، فكتب من كلامه وفتواه أكثر من ثلاثين سِفْرًا، ومنَّ الله سبحانه علينا بأكثرها، فلم يَفُتْنا منها إلا القليل، وجمع الخَلاَّلُ نصوصه في الجامع الكبير، فبلغت نحو عشرين سِفْرًا أو أكثر، وَرُوِيَت فتاواه ومسائله، وَحُدِّثَ بها قرنًا بعد قرنٍ»[1].

٣ـ يا قوم أصلحوا سرائركم:

موعدنا الآن مع مؤمنٍ فريد، صاحب نهجٍ رشيد، أَقْسَمَ بِالله أَنَّهُ لو قَدِرَ أن يصلي تطوعًا ولا يراه ملكاه لَفَعَل، قال أخوه عبد الله: إني لم أره يتطوع عشرين سنة، إلا ساعة الجمعة، فمن يكون ذلك الإمام؟

إنه **محمد بن أسلم الطوسي**.. الوليُّ العابد.. الراكع الساجد..

خرج ولده يبكي يومًا، فقالوا له: ما سِرُّ البكاء؟ قال: رأيت أبي يبكى صباح مساء.. فلما خرج أبوه وجدوه قد اكتحل، وغسل وجهه؛ ليخفي دمعاتِ النهار والسحَر، ولكن يا إخواني كيف يُخْفِي الليل بدراً ساطعاً وكوكبًا منيراً؟!!

لَمَّا توفاه الله تعالى هرع جماعةٌ من أصحاب الحديث إلى الإمام **أحمد بن نصر**، وقالوا: ينبغي أن نقيم اجتماعًا لنعزي بعضنا بموت هذا الرجل الذي لم نَعرف من عهد **عمر بن**

(١) ابن القيم/ إعلام الموقعين (١/ ٢٨).

عبد العزيز رجلاً مثلَه!! يا **أبا عبد الله** لقد صلى عليه مليون ومائة ألف من الناس، يقول صالحهم وطالحهم: لم نعرف لهذا الرجل في البشرية اليوم نظيرًا، فعندها أشعل الإمام **أحمد بن نصر** بنار وعظه القلوبَ الفاترة، وقال:

«يا قوم أصلحوا سرائركم بينكم وبين الله.. ألا ترون رجلاً دخل بيته بمدينة طوس، فأصلح سِرَّهُ بينه وبين الله، ثم نقله الله إلينا، فأصلح الله على يديه ألفَ ألفٍ ومائةَ ألفٍ من الناس[1]!!

حالة استثنائية..

من الناس فئةٌ يَدْعُون ربهم ألَّا يعرفهم أحدٌ، فتصل إلينا أخبارهم دون أسمائهم؛ لأن الله يحبهم، وقد استجاب دعاءهم، والمثال يوضح المقال:

قال **عبد الله بن المبارك**: قدمتُ مكة؛ فإذا الناس قد قَحَطُوا من المطر، وهم يستسقون ربهم في المسجد الحرام، وبينما أنا في الناس إِذْ أقبل غلام أسود، وصار إلى موضع خفي، فسمعته يقول: «إلهي منعتنا غيث السماء؛ لتؤدب الخليقة؛ لكثرة الذنوب، ومساوي الأعمال، فأسألك يا حليمًا ذا أناة، يا من لا يعرف عبادُه منه إلا الجميل، اسقِهِم الساعةَ الساعة»!!

وإذا بالسماء تستوي بالغمام، ويقبل المطر من كل مكان، وجلس مكانه يُسَبِّحُ وأنا أبكي، فلما قام تَبِعْتُه حتى عرفت موضع سكنه، فلما كان الغد صليت الفجر، وخرجت أريد شراءه، فعرض سَيِّدُهُ غلمانه عليَّ، فلما بَصُرَتْ عيناي الغلامَ المراد قلت: هذا من أريد، فقال الرجل: هذا ليس إلى بيعه سبيل، هو بركة الدار، وقد أحبه قلبي، فكيف لو علمتَ أنه لا ينام من الليل الطويل إلا القدر القليل، فكلمته بكلام فقال: إن ممشاك عندي كبير.. خذه بما شئت!!

قال **ابن المبارك**: فاشتريته، وفي الطريق قال لي: يا مولاي أنا ضعيف البدن، ولا أطيق الخدمة، وفي غيري لك سعة، فقلت له: سأشتري لك منزلاً، وأزوجك وأخدمك بنفسي،

(١) أبو نعيم الأصبهاني/ حلية الأولياء (٩/ ٢٤٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فبكى، ثم استحلفني بالله لأخبرنه بِسِرِّ الشراء، فقلت له: بإجابة دعوتك عشية أمسِ، وإني أحسبك صالحًا..

فتوقف مباشرة، وقال: بقيت عليه ركعات من البارحة، وأرى أن أصليها الآن، فقال **ابن المبارك**: هذا منزل **الفضيل**.. صبرك حتى نأتيه، فقال: ههنا أحبُّ إلي، وأَمْرُ الله لا يُؤَخَّر، فصلى، ثم الْتَفَتَ إليَّ وقال: يا **أبا عبد الرحمن**: هل من حاجة؟!! فقلت: وَلِمْ؟ قال: إني أريد الانصراف إلى الآخرة، فقلت لا تفعل!! دعني أفرحْ بك، فقال لي:

إنما طابت الدنيا لي لما كانت المعاملة بيني وبين الله، فلما اطلعت عليها أنت، فسيعرفها غيرك، فلا حاجة لي في ذلك، ثم خَرَّ ساجدًا، وجعل يقول: إلهي.. اقبضني إليك هذه الساعة، فدنوت منه، فإذا هو قد مات، وانحشر عليه أهل مكة، ووالله ما ذكرتُه قطُّ إلا طال حزني، وصغرت الدنيا في عيني[1]!!!

يا اللهُ.. يا الله.. إن لله عبادًا سِرُّهُم أجود من جهرهم، والله يهدي بِنُورِهم، ذِكْرُهم دائم، ومجدهم قائم، أخلصوا لله السريرة، فنقل الله إلينا فِعَالَهم الجليلة، أحوالهم تُعرَفُ، وما ضَرَّهم أن أسماءهم مغمورة، فاحفظْ أُخَيَّ أخبارهم، وَسِرْ على نهجهم، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام ٩٠]!!

خامسًا: ذخيرة الأسرار

١ـ الجزاء من جنس العمل:

إن الساعيَ في إخفاء عمله إنما سعى ليصفوَ له القلب، وينقيَه من ذكر الخلق، ويقضيَ على حُبِّ المحمدة، فأكرمه الله لحسن مقصده، وجازاه من جنس عمله، فَصَفَّى له قلبَه، ورفع له ذكره، وانتشر فضلُهُ في الناس، جزاءً بما كانوا يعملون، والله تعالى أعلم،،

ينسى صنائعه والله يظهرها إن الجميل إذا أخفيته ظهرا

(١) ابن الجوزي/ صفة الصفوة (٢/ ٢٦٩).

٢ـ أنموذج مُصَغَّر:

جعل الله ﷻ الدنيا أنموذجًا مصغرًا عن الآخرة، فمثلاً: الحيوان المفترس والعقارب ونحوُهَا دلالة تُذَكِّرُ بالنار، أما الحدائق والأنهار فمَشاهِدُ تُذَكِّرُكَ بجنات النعيم، وعليه:

لما كانت القيامة فيها تُبْلَى السرائر، إنْ خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، فناسب أن تُكشفَ الأسرار في الدنيا جملة لا تفصيلاً، ألا ترى أن الله ﷻ نقل إلينا ذنب آدم كما نقل إلينا توبته؟!، وَعَرَّفَنَا بِصَنِيع **يونس** عليه السلام كما علمنا دعاءه، وأنه من المسبحين؟!، فالدنيا صورة عاكسة عَمَّا في يوم القيامة، من جنةٍ ونار، ونعيم وجحيم، والله تعالى أعلم،،،

٣ـ أبى الشيطان إلا فضيحة أتباعه:

أفاد بهذا السر كاشف الأسرار **ابن القيم**، فقال:

إن الشيطان يأمر العبد بالمعصية، ثم يلقي في قلوب الناس يقظة ومنامًا إنه فعل كذا وكذا، فيصبح العبد والناس تتحدث بذنبه، وما ذاك إلا أن الشيطان زينه له، وألقاه في قلبه، ثم وسوس إلى الناس بما فعل، والعبد لا يشعر بأن عدوه ساعٍ في إذاعته وفضيحته، وقل من يتفطن من الناس لهذه الدقيقة[1]!!

من فرائد الفوائد

١ – سؤال وجيه:

أليس من المناسب أن نتحدث عن أسرار عبادتنا؟!!؛ علَّ الله أن يفتح بِذِكْرِهَا قلوبًا، ثم إنها استجابة لآي القرآن الكريم: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]!

إليك الإجابةَ مفصلة وِفْقَ التحقيق الآتي في فقرتين:

أولاً: الأعمال نوعان: فرائضُ ونوافل:

(أ) أما الفرائض: فالأولى الجهر بها والإفصاح عنها، كإقام الصلاة وإيتاء الزكاة،

(١) ابن القيم/ بدائع الفوائد (٢/ ٤٨٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَتُحَدِّثَ جالسيك بأنك صليت صلاة كذا بمسجد كذا، أو أديت زكاة مالك في شهر كذا؛ ذلك أن الشريعة جاءت بفرضها على عموم المكلفين، ولا مزية لأحد الناس فيها على الآخر، اللهم إن كان في البوح بها محاذيرُ؛ كالجهاد في سبيل الله حالة وجوبه؛ لئلا نُطْعَنَ في مقتلٍ إن عُرِفَ المجاهدون في سبيل الله، كالحال في أرضنا فلسطين المحتلة اليوم.

(ب) وأما النوافل: فإنْ كانت مشتهرة؛ فيستحب الجهر بها؛ كَقِيَامِ اللَّيل في العشر الأُخَر من رمضان، وصوم عرفة وعاشوراء، وكذا السواك ونظائره من السنن، فلو كتمها الناس جميعًا لما وصلت إلينا تشريعات الإسلام، أما عموم النوافل كَقِيَامِ اللَّيل، وصيام النهار، والصدقات الخيرية، فيجتهد صاحبها ألا تخرج من ديوان السرائر قط..

ثانيًا: الناس قسمان: إمام ومأموم:

قال **محمد بن جرير الطبري** شيخ المفسرين:

(أ) إذا كان العبد ممن لا يُقتَدَى به، ويخشى كيد شيطانه، فإخفاؤه النوافل أسلم له..

(ب) أما إنْ كان إمامًا يُسْتَنُّ بعمله، قاهرًا لشيطانه، منقطعًا إلى الله بعمله، فخفاء العمل وظهوره في قاموسه سواء، فلو تَحَدَّثَ هذا عن خاصة نفسه في ديوان العلن؛ فإنه يَحْسُنُ إن شاء الله تعالى.

وأنموذج هؤلاء: عمرُ وعثمانُ رضي الله عنهما، كانا يتهجدان، ثم يتذاكران محاسن أعمالهم، وعلى دربهم سفيان الذي غضب لما قال عنه أهل مكة: إنه قليل الطواف، فلما عوتب في غضبه قال: إني لأكره أن يقول الناس: إن سفيان زاهدٌ في الخير، فلو رأيتموني وأنا أدنو من الطائفين بالبيت، ويصيبني من غبارهم كذا وكذا[1]!!

والله تعالى أعلم،،،

٢- أعمال السِرِّ في رابعة النهار:

ثلاثةٌ من أعمال البِرِّ لا تخرج عن عمل السر، وإن أُدِّيَت في الجهر، سجود التلاوة في

(١) ذكر الأثر الإمام البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٣٧٧).

حضرة الناس، والصائم إن دُعِيَ لطعام فقال: إني صائم، والعابد في أهله..

الأولى: سجود التلاوة: فإن القارئ مأمور به كلما مَرَّ بسجدة، ولو كان بحضرة غيره، وهل يليق ترك أمر الربِّ لأجل العبد، فترك المأمور لأجل الناس شركٌ، كما أن فعل المأمور لأجلهم رياء.

الثانية: إظهار الصوم لمن دعاه لطعامه؛ للنجاة من حَزَنِ أخيه، وتشويش خاطره، أو يجد في صدره شيئًا، أما لو حصل اليقين بخلاف ذلك فإخفاء العبادة أولى..

الثالثة: العبادة بحضرة الأهل: لئلا تفتر همته عن العبادة والعمل، فضلاً عَمَّا في إخفائها من الحرج والمشقة ما الله به عليم، ولا ريبَ في أفضلية الخلوة الكاملة، خاصة في حقِّ من لا يجد بُغيته إلا فيها[1]!!

سادسًا: بشائر العافية

١ـ إخفاء العمل:

طوبى للأتقياء الأنقياء الأخفياء، الذين إذا غابوا لم يُفتَقَدُوا، وإذا حضروا لم يُعْرَفُوا، أولئك النازلون في الناسِ منزلة القلب من الجَسدِ، ولِضِخَامةِ أرباحهم قرع **الزبير** رضي الله عنه سَمْعَكَ ناصحًا:

«من استطاع منكم أن يكون له خبءٌ من عملٍ صالحٍ فليفعل»!!

فإذا انتسبتَ لأهل السرِّ، وتألمتَ إن رآك فيه بشر، وجلستَ ترقب قدوم الليل ساعة بساعة، وصلاة بِصَلاة، ولما خيَّم الظلام، نَصَبْتَ الأقدام، وناجيت رب الأنام، والناس نيام، فثق بأنك وَصَلْت، وقد اقترب الوعد الحق، فهذا ليلٌ لا يُحْيِيهِ إلا صادق، وَقَلَّمَا سهر فيه منافق، وَبَشِّرِ الصابرين!!

(١) العبدري/ المدخل (٢/ ١١٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢ـ اتهام النفس، وعدم الاغترار بمديح الناس:

إن اتهام النفس منقبة فُضلى لصالح الأخفياء، فهم ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، وقد رأينا عمر ﷺ يذهب لحذيفة ﷺ يسأله: أأنا من المنافقين يا حذيفة؟! وبنفس نسيج المعاني، ولكن بأحرف مختلفة؛ يطل علينا ابن المبارك قائلاً: أُحِبُّ الصالحين ولستُ منهم، وأبغض الطالحين وأنا شرٌّ منهم[١].

وعلى ذات القاعدة هتف إمام الدنيا الإمام الشافعي قائلاً:

أُحبُّ الصالحين ولستُ منهم ... عساني أنْ أنالَ بهم شفـــاعة

وأكرهُ من تجارتُه المعاصـــي ... وَلَوْ كنَّا سـواءً فـي البضاعة

فرد عليه تلميذه الإمام أحمد بن حنبل:

تُحبُّ الصالحيـــن وأنت منهم ... عساهم أن ينالوا بك الشفاعة

وتكرهُ من تجـارتُه المعاصـي ... وَقَاكَ الله من تلك البضـاعة

نسائم الروح

لا يغرنك أخي مديحُ الناس لك، فهم إن مدحوك إنما يمدحون سِتْرَ الله فيك، فإنه برحمته أظهر للناس حسناتِك اليسيرةَ، وأخفى عنهم سيئاتك الكثيرة، فالفضل لمن أكرمك وسترك، لا لمن مدحك وشكرك[٢]!!

أَتْحَفَكَ **ابنُ عطاءٍ** بموعظةٍ سيالة، سكبها في قلبك، وقال بصراحةٍ بالغة:

«الناس يمدحونك لما يظنونه فيك، فكن أنت ذامًّا لنفسك لما تعلمه منها، فأجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظنِّ ما عند الناس»[٣]!!

---

(١) أبو نعيم/ حلية الأولياء (٨/ ١٧٠).

(٢) شرح الحكم العطائية ص (٢١٢).

(٣) السابق (٢٢٣) وما بعدها.

٣ـ الفرار من الشهرة وأهلها:

إذا سعى العبد لرفع اسمه على كلِّ لسان، والتلويح بذكره في كل ميدان، ظانًا أنه وحيد دهره، وفريد عصره، فاعلم أن الداء ما زال جاثمًا على صدره، أما الساعي في الخمول؛ فإن الله يرفع ذكره، ويعظم قدره، وانظر لبركة الزمان، وصمام الأمان **ابن محيريز** الذي كان دعاؤه دومًا: «اللهم إني أسألك ذكرًا خاملاً»، وهو مَنْ قال فيه **رجاء بن حَيْوَة**: «إني لأَعُدُّ بقاء ابن محيريز أمانًا لأهل الأرض جميعًا»!!

وتأمل صنيع **أيوب السختياني** الذي أحرج الصالح وفضح الطالح:

كان **أيوبُ** صَدِيقًا **ليزيد بن الوليد**، فلما تولى يزيد الخلافة رفع **أيوب** كفيه إلى السماء ضارعًا: اللهم أَنْسِهِ ذِكْرِي[١]!!

ورحم الله **الفضيل** الذي أقسم؛ لِيحْجِزَ كل متسلق عن ذوي المناصب، فقال: والله لو استأذن عليَّ **هارون الرشيد** ما أذنتُ له؛ إلا أن أُغْلَبَ على ذلك، فكيف بمن يذهب إليه من هؤلاء؟، فإنهم عطشى للنصيحة، ولا يتقنها إلا أمثال **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه[٢]!!

سابعًا: مراقي الصعود

اشتهر **إبراهيم بن أدهم** ببلدٍ، فقيل: هو في البستان الفلاني، فدخل الناس يطوفون ويقولون: أين **إبراهيم بن أدهم**؟ فجعل يطوف معهم ويقول: أين **إبراهيم بن أدهم**؟!!

التقطَ **عبد القادر الكيلاني** سِرَّ صنيع **إبراهيم**، فراح يُقَرِّرُ سُبُلَ الوصول، ومراقي الصعود، قائلاً لك:

«كُن مع الْحَقِّ بلا خَلق، ومع الْخَلْق بلا نَفْس».

---

(١) أبو نعيم/ حلية الأولياء (٣/ ٦).

(٢) قال الدكتور يونس الأسطل: «إن الذهاب للحاكم طمعًا في دنياه هو المذموم، وأما الناصح فإنه مرحوم، وقد كان من مصائب التاريخ اعتزال الحكماء عن الحكام، فأدى إلى تكريس الملك العضوض، وكثرة المظالم».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١ـ مع الحق بلا خَلْق:

إذا أوى المرء لِخَلْوَتِهِ مع ربه، رفع ذكرَ الناس من قلبه، فَلَمْ يخطروا له ببال، واشتغل بعبادة ذي الإكرام والجلال، أما إن كان الجسد في محراب خلوته، والعقل في الناس يفكر ويقدر، ويخطط وينظر، ويقدم ويؤخر، فهذا طريقه طويل، وإن كان مَنْ مشى فيه يصل، ولك في خبر **سفيان** عبرة..

قال **سفيان ابن عيينة**:

أصابتني ذات يوم رِقَّةٌ، فبكيت، فقلت في نفسي: لو كان بعض أصحابنا لَرَقَّ معي، ثم غَفَوْتُ فأتاني آتٍ في منامي، فرفسني، وقال:

يا سفيانُ خُذْ أجرك ممن أحببت أن يراك[1]!!

٢ـ مع الخَلْق بلا نَفْس:

وَسَمَ جماعة من العلماء الإمام النووي بلقب «**محي الدين**» فلما بلغ النوويَّ ذلك اللقبُ اشتاط غضبًا، وتوعد من يناديه بلسان المعتبة، وأنه ليس في حِلٍّ؛ إلا أن الله علم صدقه، فأكرمه الله باللقب حقيقة، وسار علمًا في ديوان الفقهاء، بل أضحى محققَ المذهب الشافعي، وطلبةُ الفقهِ يدركون قَدْرَ هذا الإمام جيدًا.

وقد زين **النووي** بدعائمِ علمه باذخةَ الذُّرى، وزوافرِ فقهه سنية المرتقى، رسالة جامعة ظهرت على لسان أحد الصالحين مفادها:

«كُن جِذْعًا في شجرة، وأساسًا في بناء»!!

فلا عُلُوَّ للشجر إلا بالجذع، ولا رفعة للبنيان إلا بالأساس، والقاسم المشترك: أن الناس لا ترى الجذع ولا الأساس، وإن كان قوام الأمر عليهما، وعند الرياح العاتية يدرك الناس عظيم أثرهما.

فمن سار على درب السريرة مرشح قوي لأن يكون صمام أمان لدعوته ودينه وأهله؛

(١) ابن الجوزي/ صفة الصفوة (٢/ ٢٣٣).

ذلك أنه جذعٌ متين، وأساسٌ مكين، والضريبة والثمن: مع الخلق بلا نفس!!

٣ـ اكتمْ حسناتك كما تكتم سيئاتك:

وهذه أمارة صادقة، وميزان لا يكذب، وكي تشعر بحقيقة هذا الشرط لتصل، تعال لأستمع أنا وأنت إلى قدوة القدوات، الصحابيِّ الجليل **بُريدةَ** رضي الله عنه لما قال: «وكنت فيمن صعد الثلمة في المعركة، فقاتلتُ حتى رُئِيَ مكاني، وعليَّ ثوبٌ أحمرُ، فما أعلم أني ركبت في الإسلام ذنبًا أعظمَ عليَّ منه - أي الشهرة -[1]!!

رحم الله **بريدة**.. إذا ذكر هؤلاء افْتُضِحنَا، فقد عَدَّ صَحَابِيُّنَا فَوَاحَ تَأَلُّقِهِ الجهادي من أعظم الذنوب، أما من سَرْبَلَهُ الشيطان، وربض على صدره؛ فقد يظنه أعظم الجهاد، وعند تسليم الأجور يتضح الفرق!! فاكتم أُخَيَّ الحسناتِ كما تستر السيئات..

ثامنًا: إشارة حمراء

١ـ سبحان مظهر الحسنات، وساتر السيئات:

من جمال نظر الله للعبد أن يُظهِر للناس حسناتِهِ القليلةَ، ويُخفي عنهم سيئاتِهِ الكثيرةَ، فتجده يصوم يومًا سرًا، فيعلم بصومه عشرة، وقد يقترف من الذنوب عشرة، ويغمره ستر ربه، ويبقى الأمر خفيًا، فانتبه:

إنها رسالة ربانية تستفزُّك لإحسان السريرة؛ خشيةَ أن يكون استدراجًا، وَمَنِ اغترَّ بستر الله هلك، فقد كان الصالحون لا يأمنون مَكْرَ الله، فإنه ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]..

ثم إن الله عز وجل أنزل آدم من الجنة بأكل لقمة، وطرد إبليسَ بترك سجدة، وأردى قابيل بكفٍ من دم، ورَجَمَ الزناةَ بإيلاج قَدْرَ أُنملة، فلا تأمنَنَّ أن يطردك من الجنة بخطيئةٍ

(١) الذهبي/ سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٧٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

واحدة[١]، والسعيد الموفق من فقه عن الله سُنَنَه، والسلام..

٢ـ إشارة حمراء لمن أسرَّ حسناتِه:

من العباد من يُحسِنُ عبادة السر، إلا أنه يَوَدُّ لو علم الناس بسريرته وخصوصيته، ويتمنى لو تيقظوا لأثر عبادته، وربما أظهر لهم أمارة العطش، والمعنى: إني صائم، أو أبدى علامة السهر، والمراد: الناس نيام وأنا قائم[٢]، فهذا قد صعقه **ابن عطاء السكندري** ببرقٍ واحدةٍ من حِكَمِهِ، فقال:

استشرافك أن يعلم الخلقُ خصوصيَتك،
دليلٌ على عدمِ صدقِك في عبوديتِك[٣]!!

٣ـ إشارة حمراء لمن أخفى سيئاته دون حياء من الله:

من الناس من يسعى في تجويد العلن، ولو كان السر خبيثًا، وأستأذنكم في توجيه إشارة حمراء لأولئكم:

أخرج **ابنُ ماجه** في سننه من حديث **ثوبانَ** رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي، يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا؛ فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا»[٤].

رسالة الحديث:

سار قوم في ساحة الآخرة، وأعلنوا الفرحة الغامرة، فالحسنات بالصحائف عامرة،

(١) مستفاد من كلام ابن القيم في الفوائد ص (٦٣).
(٢) المدخل لابن الحاج (٣/ ٤٨).
(٣) حكم ابن عطاء ص (٢٤٤)
(٤) سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٤٢٤٥)، ص (٧٠٣)، وقال الألباني: صحيح.

والقربات عديدة باهرة، فلما وُزِنَتْ أعمالهم كانت البلية، وأعظم الرزية، فقد طارت الأعمال، وانتشرت نشورًا، وظهرت في الأفق هباءً منثورًا، فإذا جاء من يستشفع لهم قيل له: إنهم قوم كانوا إذا خَلَوْا بمحارم الله انتهكوها، بل كانوا ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ [النساء ١٠٨]!!

إخوتاه..

من عقل هذه الآية، وذاك الحديث، كفياه عمَّا سواهما، ومن لم يعقلْهما فلا أسفَ عليه في أيِّ أودية الدنيا ضاع.. وقد أعذر من أنذر..

تاسعًا: سحائب المنن الإلهية

١ـ محبة في قلوب الخلق:

قال **ابن عباس** رضي الله عنهما: «إنَّ لِلْحَسَنَةِ نورًا في القلب، وضياءً في الوجه، وسعةً في الرزق، وَقُوَّةً في البدن، ومحبةً في قلوبِ الخلق».

وقال أحد السلف: مَنْ كَثُرَتْ صلاتُه باللَّيْل حسُنَ وجهُهُ بالنَّهار!!

ويعلم الله تعالى كم تهوى القلوب أناسًا؛ لما تظنه من جودة سريرتهم، وإن لم تَرَهم، فحسنات السرِّ تُسَربِلُ صاحبها بأنوار الطاعة، وجلال المناجاة والضراعة؛ بل إن الجوارح تتبع القلب في فرحته، فيظهر النور والإشراق على الوجه إعلانًا لبهجته، وقد يكون الإنسان مغمورًا لا يُعْرَفُ، فإذا رآه العباد أحبوه لنورٍ بوجهه لا يُوصَف!!

قال الإمام **البخاري**: لما دخلتُ البصرة صرتُ إلى مجلس **محمد بن بشار**، فلما خرج وقع بصره عليَّ، فقال: من أين الفتى؟ قلت: من أهل بُخارى، قال: كيف تركت **أبا عبد الله البخاري**؟!، فسَكَتُّ، فقال له أصحابه: رحمك الله، هو **أبو عبد الله**! فقام فأخذ بيدي،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعانقني، وقال: مرحبًا بمن أفتخرُ به منذ سنين[١]!!

فقد أظهره الله للعلماء،

وكان يظن نفسه مغموراً عندهم.

٢ـ رفعة في الحياة الدنيا:

لما فَرَّ أهل السرِّ الناصع من الصدارة، أكرمهم الله بالسيادة والإمارة، وقديمًا قالوا:

من لم تكن له بدايةٌ مُحرقة، لم تكن له نهايةٌ مُشرقة!!

أما من شان سِرَّه، وزان جهره؛ فقد يناله من السلطنة نصيبٌ، ومن التَصَدُّرِ حظٌ، إلا أنه يخضع لسنة الاستدارج، فإذا هتك الله كلَّ عيوبه عندها يسقط من أعين الخلق، كما سقط من عين الحق سبحانه، فيهرع حينها لكأس الندامة؛ إلا أنه لا يرتوي أبدًا، وأنَّى له أن يرتوي، ولاتَ ساعةَ مندمٍ..

وإليك هذا الشاهد:

لما أفضتِ الخلافة إلى عُمَر بن عبد العزيز [ت:١٠١ هـ] جاء خالد بن الريان رئيسُ حرس **الوليد وعبد الملك**، ليقود حرس الخليفة الجديد، خاصة وأن قرابةً تربطه به، إلا أن عمرَ علم أن خالدًا كان يسرف في سفك الدماء، ويأتمر بأوامر الخلفاء حَقِّها وباطِلِهَا، فنظر إليه، وقال: ضَعْ هذا السيف عنك!! اللهم إني قد وضعت خالد بن الريان، فلا ترفعه اللهم أبدًا، ثم نظر عمر في وجوه الحرس، فدعا **عَمْرو بن المهاجر** الأنصاريَّ، فقَال: والله إنك لتعلم يا عَمْرو أنه ما بيني وبينك قرابةٌ إلاَّ الإسلام، ولكني سمعتك تكثر تلاوة القرآن، وقد رأيتك تصلي في موضع تظن أن لا يراك أحد، وكنت تحسن الصلاة[٢]، خُذْ هذا السيف قد وليتك حرسي[٣]!!

---

(١) الخطيب البغدادي/ تاريخ بغداد (٢/ ١٧).

(٢) ولعل سائلًا يسأل: ما علاقة تلاوة القرآن والصلاة بالحراسة؟ أجاب الدكتور يونس الأسطل بقوله: إن المؤمنين حقًا يتلون آيات الله آناء الليل وآناء النهار، فيزدادون بها إيمانًا، فلا يظلمون الناس؛ ذلك أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، لا سيما لمن أخفاها، فلا يجور ولا يحابي، فهذا سر اختياره.

(٣) علي الصلابي/ عمر بن عبد العزيز (٣/ ٣٢٤).

أما **خالد بن الريان**، فقد قال نوفل بن الفرات: ما رأيت شريفًا خُمِدَ ذِكْرُهُ مثله حتى لا يُذكر قط، بل إن الناس يقولون: ما فعل خالد؟! أَحَيٌّ هو أو قد مات[١]، وانظر الآن إلى رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية يكون ذكره في كل نشرة أخبار، فإذا انتهت ولايته فلا يسمع به أحد!!

فطوبى لأهل السر، ريادةً في الدنيا، وراحةً يوم القيامة، وقد أرشدك **شعيب بن حرب** لِتُحفَةٍ بهية، فيها بشارة ونذارة، فقال:

«من طلب الرياسة ناطحته الكباش، ومن رضي أن يكون ذنبًا أبى الله إلا أن يجعله رأسًا»[٢]!!

٣ـ من شهد له أربعة؛ بل اثنان بخير أدخله الله الجنة:

أخرج **البخاري** في صحيحه من حديث **أبي الأسود** رضي الله عنه قال: قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ وَقَدْ وَقَعَ بِهَا مَرَضٌ، فَجَلَسْتُ إِلَى **عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ** رضي الله عنه فَمَرَّتْ بِهِمْ جَنَازَةٌ، فَأُثْنِيَ عَلَى صَاحِبِهَا خَيْرًا، فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: وَجَبَتْ، ثُمَّ مُرَّ بِأُخْرَى فَأُثْنِيَ عَلَى صَاحِبِهَا خَيْرًا، فَقَالَ **عُمَرُ**: وَجَبَتْ، ثُمَّ مُرَّ بِالثَّالِثَةِ فَأُثْنِيَ عَلَى صَاحِبِهَا شَرًّا، فَقَالَ: وَجَبَتْ فَقَالَ **أَبُو الْأَسْوَدِ**: فَقُلْتُ وَمَا وَجَبَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: قُلْتُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم

«أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، فَقُلْنَا: وَثَلَاثَةٌ، قَالَ: وَثَلَاثَةٌ، فَقُلْنَا: وَاثْنَانِ، قَالَ: وَاثْنَانِ، ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنِ الْوَاحِدِ»[٣].

سؤالٌ وجيه:

كيف يشهد الناس لمن عمل الصالحات بالسر والناس نيام؟!

الإجابة:

إن الله عز وجل ينقل للناس ما كان من سِرِّهِ، كما ثبت في مواضعَ لا تُحصى كثرةً، سُقْتُ إليك

(١) يعقوب البسوي/ المعرفة والتاريخ (١/ ٦٠٤)

(٢) معتز عبد الفتاح/ مختصر صفة الصفوة (١/ ١٧٩).

(٣) صحيح البخاري، رقم الحديث: (١٣٦٨)، (١/ ٣٠٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

طرفًا منها، أما إن اجتاح الشكُّ قلبك، فاقرأ في ذلك قرآنًا بالحقِّ نزل:

﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [التوبة ١٠٥]!!

رسالة الآية:

إن الله ﷻ أحسن الجزاء الدنيوي لمن عمل الصالحات، فأرى المؤمنين عمله، وجعله فيهم صاحب نورٍ وبصيرة، وإن ذُكِرَ فسيرته أطيب سيرة، وسريرته أحسن سريرة، فهنيئًا لمن فَقِهَ عن الله تعالى آياتِهِ وسُنَنَه!!

٤ـ لك مغفرة وأجر كبير:

قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴾ [سورة الملك ١٠]

رسالة الآية:

إلى من خشي ربَّه في السر، غائبًا عن البشر، فَبَشِّرْهُ بمغفرةٍ وأجر كبير.

وإن سألت عن حقيقة الأجر، أَجَبْتُكَ بأن هذا سِرٌّ؛ فإن لله ذخائرَ من عباده، خَصَّهم بفضله، أُسجل لك أُنموذجًا عنهم، قال الله ﷻ:

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [السجدة ١٦، ١٧]

غاص **ابن القيم** في أعماق الآية، فأخرج لنا لؤلوةً علميةً تسر القارئين، جاء فيها:

«تأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نَفْسٌ، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم عن مضاجعهم حين يقومون إلى صلاة الليل بقرة الأعين في الجنة»[١]؟!!

(١) ابن القيم/ حادي الأرواح ص (١٩١).

عاشرًا: البيان الختامي

أخي..

إذا استوى سِرُّكَ وجهرك فهذه أمارةُ الإيمان، وَمَنْ فاق سِرُّهُ جَهْرَه نال رتبة الإحسان، أما من كان جهره أفضلَ من سِرِّه فهذا إيمانه فاتر، وإحسانه قاصر، وإن قَدَّمَهُ الناس فهو في الأواخر، فَالْحَقْ أُخَيَّ بالقافلة، وبادر بادر..

أخي..

ألا تسعى في طيبة سيرتك، وجودة سريرتك؟! بأهل السرِّ تصلح الديار، وتعمر الأمصار، هم من يحفظ الشريعة، ويتحفنا بالأمجاد البديعة، فهم عِزُّ الدين، وصفوة الموحدين، وَمَن تَعْقِدُ الأمة أملاً كريمًا بعد الله عليهم، والأنامل تَتَّجِهُ إليهِم، فَهَل أَنتَ منهُم؟!!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جَنَابُ اللهِ آمِنٌ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أولاً: بطاقة تعريف

إنَّ جَنَابَ الله آَمِنٌ، لِكُلِّ مَن عَبد اللهَ وآَمَنَ، مَن سارَ فيه أَمَنَّه، وَحَرَسَهُ وَحَصَّنَه، بَل السماءُ في خدمتهَ، والأرضُ رهن إشارته، أمَّا من اعتمد على شيءٍ سوى الله، كان هلاكُهُ في نفس ما اعتمدَ عليه وأخزاه؛ ليشق اليقين شغاف قُلوبِنَا أنَّ المَجد فِي الإيمانِ كامنٌ، وأن جَناب الله آَمِنٌ!!

ثانيًا: نصوص الوحي تناديك

١ـ كَمَثَلِ العنكبوت اتخذت بيتًا:

قال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۘ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤١]

رسالة الآية:

إن من آوى إلى أعداء الله يَتَعَزَّزُ بِهِم، ويَتَقَوَّى بسلطانهم، كالعنكبوت التي اتخذت بيتًا[١] يقيها من الرَّدَى، فَبَانَ عجزُهُ أن يدفع عنها حرًا ولا بردًا، بل يهتز لنسائم رياح عابرة، أو حشرةٍ طائرة، فزادت بذلك وَهَنًا جليًا، وهذا حال كل من اتخذ من دون الله ناصرًا أو وليًا[٢]!!

غاص **ابن عطاء السكندري** في أعماق الآية، فاستخرج منها لؤلؤة نادرة، بثها في هيئة حكمة باهرة؛ بصرةً للمسترشد، وحجةً للمستنجد، وَعِظَةً للمتهور والمتلدد، وإليك

---

(١) تحدثت الآية عن وهن بيت العنكبوت لا عن خيوطه، وقد أفاد العلم الحديث أن كل خيط مؤلف من خيوط أربعة كبرى، في كل خيط ألف أخرى، كل واحد منها يخرج من قناة مخصوصة، ثم إن أربعة بلايين خيط لا يبلغ سمكها شعرة إنسان واحدة، فضلاً عن صلابة كل خيط، ما يستطيع به مقاومة الرياح العاتية.

انظر: علي بن نايف الشحود / الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم (١/ ٣٨٠)، عبد الكريم الخطيب / التفسير القرآني للقرآن (١٠/ ٤٣٤).

(٢) عيسى السعدي/ آثار المثل الأعلى (١/ ٣٧)، الخطيب الشربيني/ تفسير السراج المنير (٣/ ١٣١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نصها:

«مَنِ اعْتَمَدَ عَلَى شَيءٍ سِوَى الله؛ كَانَ هَلاكُهُ فِي نَفْسِ مَا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ»!!!

فإنْ آنَسَ مِن أعداء الله قوةً وقدرةً لم يزده الله إلا ضعفًا وعَجزًا، وإنِ التمس منهم عناية ومالاً، لم يزده الله إلا هَلَكَةً وفقرًا، ثم إن تَكَثَّرَ بهم وتَعَزَّزَ بمجدهم، لم يزده الله إلا قلة وذلاً، بل إن طَلَب نصرتهم، ما جاءته الهزائمُ إلا من جهتهم، فجاءت عقوبتهم بنَقِيضِ قصدهم، يؤيد هذا قول الله تعالى ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم:٨١،٨٢]

فإن قال قائل: لكن ثمةَ فائدةٌ فيمن يستنصر اليوم بالكفار، فيتحصل له منعة من سلاح أو مال!!

قلت: إنها ذات الفائدة في بيت العنكبوت، ألا ترى أنه يتصيد الذباب وصغار الحشرات؟! لكنها -والحق- فائدةٌ دَنِيَّة، ومصلحة وهمية؛ ولو أن رضيعًا رَكَلَهُ بقدمه لانْهَار من فوره، وظهر وهنه، ولذا فإن من تَعَزَّزَ بأعداء الله ﷻ فقد اتكأ على جُرُفٍ هَارٍ، زاده وهنًا إلى وهنه، وفقرًا إلى فقره، وكان كالذي قَبِلَ بكسرة خبز؛ على أن يتمتع بها وهو على أعواد المشنقة!!!

نصيحة أخوية:

أبثُّ النصح لكل من مَرَّ بخصومة، وأَدْرَكَ أن الحق يؤازر خصمه، فعليه أن يرجع من فوره، فإن مسه الكِبْر، وراح يَتَسَلَّح بذوي الهيئات والمناصب؛ تَكَثُّرًا بهم، وَتَقَوِّيًا بمنزلتهم، فليعلم أن الخذلان غالبًا لن يأتيه إلا من جهتهم، وستذكرون ما أقول لكم!!!

من فرائد الفوائد

إن القوامة في بيوت العناكب للأنثى، وهي من تصنع بيتها بدليل الآية ﴿ٱتَّخَذَتْ﴾، وقد أفاد البحث العلمي أن الأنثى تحكم سطوتها على بيتها، فتقتل الذكر بعد أن يلقحها ثم تأكله، ويحصل أن يهرب فرارًا بجلده، بل إنها تلتهم أولادها عقب الفقس، وإن جاءها زائر قتلته، ثم أكلته!!

والمقصود أنها تعيش في بيتها طاغية قاتلة، وقلما سلمت حشرةٌ منها في ليل أو نهار، فتقرر بذلك أنها جعلت من بيتها مسلخًا ومذبحًا، ليتأكد لنا أنها أسوأ ملجأ نأوي إليه، فيا خيبة من جهل المراد، ويا لحسرة من تعزز بغير الله تعالى[١].

لطيفة

إن بيت العنكبوت بيت أبيض، تَتَّخِذُ مِن نَسيجه مَذبحًا يَفزَعُ منه عالم الحشرات، والقوة التي تفزع عالم الإنسان اليوم هي «البيت الأبيض «الذي يتخذ من الشبكةِ العنكبوتيةِ وسيلاً لنشر سمومه، يترصد بها أعداءه، ويراسل بها عملاءه، فهو كالعنكبوت في مسلخه ومذبحه، فتقرر أن المُتَعَزِّزَ به ذليلٌ هالك، فقيرٌ خائب!!

٢ـ ذهب الله بنورهم:

ضرب الله مثلاً للذين نافقوا أنَّ حالهم ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧]

سؤال ذكي:

إن الله ضرب للمنافقين مثالاً ناريًا؛ بدلالة ﴿ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾، فَلِمَ ذَهبَ اللهُ بِنُورِهم والحَديث عن نَارِهم؟!

إجابة تذهل الألباب:

أفاد **ابن القيم الجوزية** كاشف الأسرار الخفية أن للنار خاصيتين: إشراقٌ وإحراق، فلما اتَّبَعَ المُنَافقون سبيلَ الرَّدَى، واستحبوا العمى على الهدى، أزال الله عن نارهم خاصية الإشراق، وأبقى عليها خاصية الإحراق[٢]، فضلاً عما هم فيه من خُبثِ السريرة، وعَمَى البصيرة، وَصُمِّ الآذان، وبُكْمِ اللسان، وما ظلمهم الله، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون!!.

وفي الاتجاه المعاكس:

فـإنَّ شَيخَ الأنبياء وإمـامَ الحُنفاء سيدنا **إبراهيم** عليه السلام الـذي لَّما كَـادَ بأصنام قومه،

(١) مصطفى محمود/ حوار مع صديقي الملحد.
(٢) ابن القيم/ الأمثال في القرآن الكريم ص (١٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تَوعَّدُوهُ وَ ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٨، ٦٩]

رسالة الآيتين:

إن جناب الله آمن، ألا ترى أن الله أزال عن نار إبراهيم إحراقها، وأبقى فيها إشراقها؟!!؛ وما ذاك إلا أن إبراهيم كان أُمَّةً، قانتًا لربه، شاكرًا لأنعمه، وكان صِدِّيقًا نبيًا، حنيفًا مسلمًا، قد اتخذه الله خليلاً، بل آتاه رشده من قبل، وكان فضل الله عليه كبيرًا!!

وَأُمتع عينيك بقراءةٍ ماتعةٍ عن وريثه من هذه الأمة..

إنه **أبو مسلم الخولاني**، إمامُ الموحدين في أَرضِ اليمن.. لما تَنَبَّأَ[1] **الأسود العنسي** أرسل إلى **أبي مسلم الخولاني**، فأتاه، فقال له: أتشهد أني رسول الله، قال: ما أسمع!!، قال: أتشهد أن **محمدًا** رسول الله؟ قال: نعم، فعذبه كَسرًا لإرادته، وهيهات، فقال للعنسي في ثبات ﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [طه: ٧٢]!!

فأجج **العنسي** نارًا هائلة، وجمع الناس لِسَاعةٍ فاصلة، وقال: إني سألقي **أبا مسلم** في النار، فإن كان مُحِقًّا نجاه الله، وإلا كان خاذله، ثم دعا بمنجنيق، وكادت القلوب أن تنخلع من الضيق، وطار في الفضاء وريث الخليل، يهتف: حسبنا الله ونعم الوكيل!!

وبعد ساعات خرج بقدميه الحافيتين يدوس الجمر متبسمًا، قد فكت النار وثاقه ليس إلا، فقيل **للعنسي**: انفِ هذا عنك، وإلا أفسد أتباعك عليك، فأمره بالرحيل، فقدم المدينة، ودخل المسجد يصلي، فَبَصُرَ به **عمر** فقام إليه، وقال: ممن الرجل؟ قال: من اليمن، فعرفه **عمر** ﷺ بفراسته، فقال: ما فعل الذي حرقه الكذاب بالنار؟ قال: ذاك **عبد الله بن ثوب**!! قال: أأنت هو؟!: قال: إنه **عبد الله بن ثوب**، فقال **عمر**: ناشدتك الله أنت هو؟!، قال: اللهم نعم، فاعتنقه **عمر** وبكى، ثم ذهب به حتى أجلسه فيما بينه وبين أبي بكر ﷺ وقال: الحمد لله الذي لم يُمِتْنِي حتى أراني في أمة **محمد** ﷺ من صُنِعَ به كما صُنِعَ **بإبراهيم**

(١) أي: ادعى النبوة.

الخليل[١]!!

رسالة القصة:

إن نار **الخولاني** كَنَارِ **إبراهيم** النَّبِي، نزع الله منها الإحراق، وأبقى فيها الإضاءة والإشراق، فَجَنابُ الله آمنٌ جدًا، ووالله – يا إخوتاه – لو كَادَتْكم السماوات والأرض؛ ليجعلن الله لكم فرجًا ومخرجًا!!

فاشددْ يديْك بحبلِ الله معتصمًا فإنه الركنُ إنْ خانت،،ك أركانُ

٣ـ ماء النجاة هو ماء الهلاك:

قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ [القصص: ٧، ٨]

رسالة الآية:

سبقَ العلمُ بِنُبُوَّةِ **مُوسى**، وهلاكِ فرعون على يديه، فقتل تسعين ألفًا للنجاة منه[٢]، فَسَيَّرَ الله تابوتَ طفل مُنفَرِدٍ عَن أم، إلى امرأة خَالية عن ولد، ولسانُ القدر يهتف قائلاً: لن نُرَبِّيَهُ إلا في دارك[٣]، وَعَلى فِرَاشك، ومن مَالك، ثُمَّ تَنزعه أمه لترضِعَه، بِأَجْرٍ مَالِيٍّ أنتَ مَن سَيدْفَعُهُ، بل راح يُسَخِّر جنده لحراسته، وما درى أنه سبب نهايته، وزوال سيادته، ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١]

وجاءت النهاية!! قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٤٠]

رسالة الآية:

جعل الله البحر منامًا هادئًا وملجأً منيعًا، لعبده موسى يوم أن كان طفلاً رضيعًا،

---

(١) الذهبي/ ميزان الاعتدال (٣/ ٣٦٩).

(٢) تفسير أبي السعود «إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم» (٧/ ٤).

(٣) ابن القيم/ الفوائد ص (٤٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم جعله لفرعون مآلاً وجيعًا، ارتد فيه صريعًا؛ ثم قضت سنة الله أن يكون ذاتُ الماء وعين المكان نجاة لرضيع في تابوت، دون حراسةٍ أو قوت، ثم هو نفسه هلكة لفرعون الطاغوت، وأتباعه من الكافرين، ولو بلغت عدتهم ملايين[١]!!

٤ـ مادة المُلْكِ هي مادة زواله:

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١]

رسالة الآية:

أعلن فرعون أنه في الأرض إله، كُفْرًا بمولاه، الذي فطره وسواه، فلما طُولِبَ بالدليل، ردَّ المخذولُ بجوابٍ عَلِيل، قائلاً: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾ فافتخر بنهرٍ ما أجراه، فأجرى الله الماء من على رأسه وأخزاه[٢]، وقد مرت بنا رائعةُ ابن عطاء في كلامٍ ما أحلاه، وما أبهاه:

«مَنِ اعْتَمَدَ عَلَى شَيءٍ سِوَى اللهِ؛ كَانَ هَلاكُهُ فِي نَفْسِ مَا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ»!!!

وانظر إلى ثمود قوم صالح:

قال الله ﷻ عنهم: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ [الأعراف: ٧٤]

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [فصلت: ١٧]

رسالة الآيتين:

إن ثمود التي أرست قواعد حضارتها بدورٍ وقُصُورٍ وصُخور، لم تمض عليهم إلا أيام أو شُهور، وإذا بالدائرة عليهم تَدور، حتى دمرهم اللهُ بذاتِ الصخور، بعد أن أخذتهم

---

(١) أغلب الظن أن أتباع فرعون قد يصل عددهم إلى عدة ملايين؛ ذلك أنه لما أعلن في المدائن حاشرين عن قوم موسى أنهم شرذمة قليلون ذكر المفسرون أن عدد القلة كان [٦٧٠] ألف، فإذا كان هذا العدد الهائل قلة، فهذا يعني أن الكثرة أضعاف هذا العدد، والله أعلم.

انظر تفسير الجلالين ص (٣٦٩) عند تفسير الآية (٥٤) من سورة الشعراء.

(٢) الجملتان الأخيرتان من تعبير الدكتور عائض القرني في مقاماته.

صاعقة العذاب والثُّبُور، حتى لَكَأَنَّ القومَ في هيئة ثَورٍ مَنحُور، بِرَأسٍ مَبتُور، مَخذولٍ مَدحُور، كأعجاز نخل منقعر!!!

ثالثًا: من غيث الرسالة

١ـ أرضٌ مقاتلة:

أخرج **البخاري ومسلم** من حديث **البراء** رضي الله عنه أنه قال: لَمَّا أَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ تَبِعَهُ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ، فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَسَاخَتْ بِهِ فَرَسُهُ[١] قَالَ: ادْعُ اللَّهَ لِي وَلاَ أَضُرُّكَ، فَدَعَا لَهُ[٢].

وأخرج **الترمذي** بسند صحيح من حديث **عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**خَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فِي حُلَّةٍ لَهُ يَخْتَالُ فِيهَا فَأَمَرَ اللَّهُ الْأَرْضَ فَأَخَذَتْهُ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا أَوْ قَالَ يَتَلَجْلَجُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»[٣].

رسالة الحديثين:

آَزَرَت الأرضُ النبيَّ ﷺ وصاحبه يوم الهجرة، وأعلنت الإخاء والنُّصْرَة، فلما أدركَهُما **سراقةُ بن مالك**؛ غاصت قدماه في الأرض، فأدرك أنه هالك، إذْ فُقِدَ النصير، وغابت عنه المَسَالك، فراح يطلب من النبي ﷺ أن يدعو ربه أن يُنَجِّيَه، على أن يَحفَظَهُ، ولا يخبر عنه أو يقاتله، فكان في أول نهاره مُحارِبًا له، وفي آخره حارسًا له، يُعَمِّي عَلَيه[٤]!!!

وفي الاتجاه المعاكس:

خَذَلت الأرضُ **قارونَ** فابتلَعَتْهُ؛ ذلك أنه اخْتَال فِي زينته، وتمادى في أَذِيَّتِهِ، وتَقَلَّدَ نِعَمَ اللهِ ثم نسبها لذاته، ثم بَغَى على **موسى** ومن معه، فأخذته الأرضُ إلى كعبيهِ ثم ركبتيه،

---

(١) أي: نزلت فى الأرض وقبضتها الأرض.. انظر: شرح النووي على مسلم (١٣/ ١٨٠).
(٢) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٣٩٠٨)، (٢/ ٢٦١).
(٣) سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٤٩١)، ص (٥٦١)، وقال الألباني: صحيح.
(٤) ابن حجر/ فتح الباري (٧/ ٢٤٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إلى أن أخذت سُرَّتَهُ وعُنُقَهُ ثم كُلِّيته، وقد قال **قتادة**: يُخْسَفُ به في الأرض كل يوم قَامة، يَتجَلْجَل فيها لا يَبلُغُ قَعرها إلى يوم القيامة[١]!!

وفي آي التنزيل: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١]

رسالة الآية:

في لمحة خاطفة، وجملة قصيرة خاسفة، هوى قارون في بطن الأرض التي علا فيها، واستطال فوقها، جزاء وفاقًا[٢]؛ لتعلموا -إخوتاه- أن الأرض التي آزرت النبي ﷺ وصاحبه يوم الهجرة، هي ذات الأرض التي خذلت قارون؛ ليبقى بالخسف عِظَة لكل القُرُون، ولكن أكثر الناس لا يفقهون ولا يعقلون!!!

٢ـ المطر المجاهد:

نزل المشركون يوم بدرٍ بالعُدْوَةِ القصوى، أما الصحابة الكرام بقيادة النبي ﷺ فعلى مقربة من العدوة الدنيا، وقبيل المعركة أنزل الله مطرًا على الفريقين، فكانت أرض المشركين صلبة، فلما نزل عليها الماء ساءت، وتعسر عليهم التقدم إلا بشق الأنفس!!

أما أرض المسلمين فَكَثُرَ فيها الرمل الذي يتعسر المسير معه، فلما نزل المطرُ وطأ الله به الأرض، وصَلَّبَ به الرمل، ومَهَّدَ به المَنزل، حتى وصلوا إلى العدوة الدنيا أدنى ماء بدر بسلام[٣]، فضلًا عما امتن الله به على إخواننا الصحابة الكرام ش، بقوله: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١]

رسالة الخبر:

إن الله أمر السماء أن تُمطِرَ في غاية حاجة المسلمين إليه، واستغناء المشركين عنه، فالمطر واحد، ومادته واحدة، لكن الله بحكمته أبى إلا أن يجعله عامل نصرٍ لأوليائه، وعامل

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٦٢٩-٦٣٢)، المناوي/ فيض القدير (٣/ ٥٨٤)، وقيل هو رجل آخر غير قارون يقال له «الهيرن».
(٢) سيد قطب/ في ظلال القرآن (٥/ ٤٤٥)، تفسير الشعراوي (١/ ٢٥٢٢).
(٣) المباركفوري/ الرحيق المختوم ص (١٧٠)، سيرة ابن هشام (١/ ٦١٩).

هزيمة لأعدائه؛ فالخير في حبات المطر كامن؛ لندرك دومًا أن جناب الله آمن!!!

رابعًا: مآثر الأيام

١ـ ماء الحضرمي والكفار:

لما ارتد أهل البحرين عن الإسلام، أرسل أبو بكر الصديق العلاء بن الحضرمي لقتالهم، ودارت بينهم حروب دامت شهرًا.

وفي ذات ليلة سمع المسلمون في معسكر الكفار ضوضاء شديدة، فأرسل ابن الحضرمي عبد الله بن حذف يَتَحَسَّس الحال، فعاد وأخبره أن القوم سكارى، فاقتحم المسلمون خندقهم، ووضعوا السيوف فيهم، وغنموا جُلَّ أموالهم، ثم قصد **ابن الحضرمي** «دارين» لكنه يفصله عنه بحرٌ كبير، ولا قوارب بصحبته، فقام **ابن الحضرمي** في الجيش خطيبًا فقال:

قد أراكم الله من آياته في البر؛ لتعتبروا بها في البحر، فانهضوا إلى عدوكم، ثم دعا ربه قائلاً: اللهم اجعل لنا سبيلاً إلى عدوك!!

فتقرر لديه أن يقتحم البحر بِخَيْلِه وَرَجِلِه، ثم سار متوكلاً على الله عَزَّوَجَلَّ، فسار يومًا وليلة على الماء كأنها تراب يابس، ودعاؤهم بالمكان صادح: يا أرحم الراحمين، يا كريم يا حليم يا أحد يا صمد يا حي يا محيي الموتى يا حي يا قيوم، لا إله إلا أنت يا ربنا!!

حتى اجتازوا البحر كاملاً، ولم يفقدوا شيئًا من متاعهم، ثم التقوا بالكفار فانتصروا عليهم، وأكثروا فيهم القتل، ثم غنموا حتى بلغ حظُّ الفارس ستةَ آلاف، والراجل ألفين، وفي ذلك قال عفيف بن المنذر:

ألـــم تـر أن الله ذلـل بحـره وأنـزل ... بالكـــفـار إحـــدى الـجـلائـــل
دعونا الذي شق البحار فجـــــاءنا ... بأعجب من فلق البحار الأوائـل[1]

(١) محمد رضا/ أبو بكر الصديق ص (٨٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رسالة القصة:

ألا تلحظ أن ماء الحضرمي كان له فتحًا وآمنًا، وكان لفرعون غرقًا وخوفًا؟!، فالماء واحد، وعناصره واحدة، إلا أن الماء الأول كان أساسًا لمجدٍ إسلاميٍّ تَليد، أما الماء الآخر فإهلاكٌ لِنِظَامٍ فرعونيٍّ جبارٍ عنيد!!

٢ـ أقام مُلْكَهُم فكافؤوه بقتله:

أقام **أبو مسلم الخراساني** حكومة **أبي العباس** السفاح **والمنصور العباسي**، لكنهما هما اللذان قتلاه!! هذا الموجز وإليكم التفصيل:

حمل **محمد بن علي** فكرةً مَفادُهَا: إزالة ملك **بني أمية**؛ لما يقترفون من أفعالٍ سقيمة، وأعمالٍ مشينة، فاختار الكوفة وخراسان منطلقًا للدعوة العباسية الجديدة، ثم تُوفي، وأوصى مِنْ بعدِهِ لابنه إبراهيم، ثم ظهرت شخصية **أبو مسلم الخراساني** في سنة [١٢٨هـ]، فقرر **إبراهيم** أن يرسله إلى خراسان؛ حيث الدعوة في نموٍ وصلابة، إلى أن تسلم رسالة تأمره بإعلان الدولة الجديدة، فصلى بالناس إمامًا في عيد الفطر، ثم أعلن عنها مستغلاً انشغال والي البلاد ببعض الخلافات الداخلية..

وعقب الإعلان دارت حرب ضروس بين **أبي مسلم** وجنده، وقوات **نصر بن سيار**، فَتَغَلَّبَ **أبو مسلم** حتى دانت خراسانُ كلُّهَا له، وبقيت الانتصارات حتى أقيمت الدولة العباسية، وفي هذه الأثناء مات **إبراهيم** وخَلِفَهُ أخوه **عبد الله بن محمد**، ثم مات، وتولى الخلافة **أبو جعفر المنصور**، فَعَدَّ وجود أحد مؤسسي الدولة عائقًا أمامه، وهو **أبو مسلم الخراساني**، فقرر التخلص منه بِقَتلٍ أو إبعاد، وكان شديد الحنق عليه، فكتب إليه: إني قد وليتك مصر والشام، وإنهما خير لَك من خراسان، فضلاً عن قربك من أمير المؤمنين، فإن أحببت لقاءه أتيتك من قريب، إلا أن **أبا مسلم** أبى إنفاذ الأمر، وقال: يوليني الشام ومصر، وخراسان لي!!

فاستعمل المنصور الدهاء، مرسلاً له من يكلمه بحُبٍ وَلِين، فإن أبى قال له: إن المنصور بريءٌ منك ما شققتَ العصا، وإنك لو ذهبت على وجهك ليدركنك بنفسه، وليقاتلنك دون غيره، ولو خضت البحر الخضم لخاضه خلفك، حتى يدركك فيقتلك، أو يموت

قبل ذلك!!

وسبحان الله!! فهذه الكلمات جعلت الجبار أبا مسلم يخنع ويقرر مقابلة الخليفة، فتمادى المنصور في المكر، وأعطاه الأمان، وعند دخوله المدائن استقبله بأجل مراسم التوقير والامتنان، فلما دخل فرحًا راح يقتله غدرًا، وهو يكلمه آمنًا على يد أحد حراسه[١]!!

رسالة الحادثة:

من التمس من الظُّلَّام قوةً لم يزدد بهم إلا خُنوعًا وضعفًا، فإنْ آنسَ منهم محمدة لم يحظَ إلا بِمَزِيدِ مَذَمَّة، بل لو ارتجى نصرة وعزة وملكًا، لم يعط إلا خذلانًا وذلةً وموتًا، فجوزي بنقيض قصده، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]!!

٣ـ المال القاتل:

يُروى أن أحد أكبر أغنياء اليهود واسمه «روتشيلد» كان يضع سبائك الذهب في قاعات كبيرة من كثرة ما آتاه الله من مال، بل إن الحكومة البريطانية كانت تقترض منه كثيرًا في أزماتها.

دخل يومًا في قاعة ادِّخاره الحديدية، ثم أقفلها على نفسه غافلاً عن مفتاحها بالخارج، فراح يصرخ ويستغيث ولكن دون جدوى، فجلس كئيبًا يواجه الموت بين دولاراته، ومستنداته، وصكوكه[٢]!!!

أما أهله فإنهم في غفلةٍ عنه، فقد ظنوه في سفرٍ طارئ كَعَادَتِه، فلم يكترثوا بِغِيَابِه، أما الرجل فمرت عليه أيام معدودات دون أن يطعم طعامًا، أو يستقي شرابًا، ثم أخذ يتأمل أمواله وماذا عساها أن تنفعه، فلما شعر بقرب الموت جرح نفسه، وكتب بدمه على جدار قاعة ادخاره، وبين أمواله:

أغنى رجل في الأرض، يموت من الجوع!!!

---

(١) الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي بتقديم راغب السرجاني (١/ ٢٤٤).

(٢) علي بن نايف الشحود/ الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل (٣/ ٤٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رسالة الخبر:

من اعتمد على ماله، جعله الله سببًا في سوء حاله، وتَشَتُّتِ بَالِه، وهلكته وَوَبَالِه؛ ليشق اليقين شِغَافَ قلوبنا أن جناب الله آمن، وأن مقياس الأمن الغذائي لدى البشر، هو الهلكة بعينها في ميزان رب البشر!!!

خامسًا: ذخيرة الأسرار

١ـ دلالة العظمة الإلهية:

إن الله جلَّ وعلا بعظمته وقدرته قادرٌ على أن يفعل الشيء وضده، فيكون عاملاً ينصر وليه، وآخر يخذل عدوه، وليس ذلك إلا لله ﷻ، فانظر-مثلاً- إلى عزير الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ [البقرة: ٢٥٩]

رسالة الآية بلسان الشيخ صالح المغامسي:

إن الله جلَّ شأنه أجرى بقدرته أحكام الزمان على الحمار؛ ليصبح عظامًا بالية نخرة، ولم يجرها على الطعام والشراب؛ فلم يتغيرا على مدار مائة عام؛ لنعلم حقًا أن الله عظيم، وأنه على كل شيءٍ قدير!!

وكذا ما حصل مع أصحاب الكهف والرقيم؛ فإن الله آواهم إلى الكهف ثلاث مائة وتسع سنين، على أن عادة المرء أن يكون طفلاً ثم يبلغ أشده، ثم يكون شيخًا، وقد يتوفى قبل ذلك، فضلاً عن حاجته للطعام والشراب، إلا أن الله لم يجر أحكام الزمان عليهم، وأجراها على أهل زمانهم[1]، ﴿ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]!!

(١) الشيخ صالح المغامسي/ سلسلة تأملات قرآنية، سورة الكهف، وهي محاضرات صوتية.

٢ـ عدل الله قائم:

إن الله عدلٌ في خلقه، عدلٌ في أمره، عدلٌ في فعله، يجزي المرء من جنس عمله، ويعاقبه على قدر ذنبه، فناسب -مثلاً- أن تَهْلَكَ ثمود بذات الصخر الذي أرست قواعد حضارتها به، وأن يُغَرَّقَ فرعونُ بذات الماء الذي استدل به على ملكه، ولا تعارض بين عدل الله في فرعون ورحمته به؛ فإنه قال لموسى وهارون:

﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤]

رسالة الآيتين بلغة قتادة:

سبحان ربنا ما أحلمك وما أرحمك،

أإذا كان هذا حلمَك وعفوَك بمن قال: أنا ربكم الأعلى،

فكيف عفوك وكرمك بمن سجد بين يديك، وقال: سبحان ربي الأعلى؟!!!

فإن كذب العبد وأبى، وتكبر وعلا، وجمع كيده ثم أتى، فإن له جهنم وقد خاب من افترى، أما من عمل الصالحات؛ فإن لهم الدرجات العلى، وذلك جزاء من تزكى!!

٣ـ العقدُ المشتركُ بينَ الأحياءِ:

إن ثمةَ منظومة متحدة بين أجزاء الكون لا تختلف، وأُخوة إيمانية على الحق تأتلف، وبموجب العقد الإيماني الأخوي؛ فإنها تخرج عن المألوف بإذن الرب العلي ﷻ؛ فنارُ إبراهيم والخولاني لا تحرق، وماءُ موسى وابن الخضرمي لا تُغْرِق!!

ثم ألا تلحظ أن الملائكةَ قاتلت معنا يوم بدر وبني قريظة؟!! وجاهد الرعبُ بِصَفِّنَا، فراح يخترق قلوب عدونا، كما يشهد يوم بدر وأحد وبني النضير والأحزاب من حولنا، بل داهم الريح الأحزاب وحدهم دوننا، ثم إن مات منا أَكْرَمَتْهُ الأرض -بإذن الله- ففسحت له جَنَبَاتِهَا في قبره، حتى يتسع له مَدَّ بصره، أما من مات منهم فإن أذاها يصل إليه، حتى تختلف أضلاعه عليه!!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والمقصودُ أن الله جلَّ وعلا جعل الكون كله مُسَخَّرٌ لَنَا، قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ١٣]؛ علَّكم تبتغون من فضله، ولعلكم تشكرون!!

أما الكافرون والمنافقون فَأَنَّى لهم الإحاطة بعقد الإيمان، أو فقه سنن الديان في الكون والإنسان، بل إنهم في ريبهم يترددون؛ ذلك أنهم ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٨]، ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٠]!!

سادسًا: بشائر العافية

١ـ محبة الله لك:

إنَّ من أحبه اللهُ أَمَّنَهُ، وعَافَاهُ وحَصَّنَهُ، ثم رزقه الله أُذُنًا لا تسمع إلا حقًا، وعينًا لا تبصر إلا هدىً، ويدًا لا تبطش إلا في خيرٍ، وقدمًا لا تمشي إلا في طاعةٍ، وقوام هذا بأمرين، أداء الفرائض، والتقرب بالنوافل..

فقد أخرج البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قال فيما يرويه عن ربه عَزَّوَجَلَّ: «**مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**»[(١)].

رسالة الحديث بلغة ابن القيم:

إن من أحبه الله جعل قلبه كَمِرْآةٍ صافيةٍ، ترى الحقائق وافية، فلا تكاد تخطئ له فراسة؛ ذلك أن الله وهبه نجابة وكياسة، ثم قذف الحق في قلبه، ففاض نورًا على جوارحه، فيكشف بعيني قلبه بحسب ذلك النور، فالنبي ﷺ كان يرى أصحابه وهم خلفه، وعاين حالهم

(١) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٦٥٠٢)، (٣/ ٢٤٧).

بمؤتة وهو بمسجده، ورأى قصور الشام وأبواب صنعاء ومدائن كسرى يوم الخندق، وعلى دربه عمر رضي الله عنه الذي هتف بسارية رضي الله عنه خلال معركته مع الفرس قائلاً: يا سارية الجَبل الجبل، فآوى إليه ونصره الله، إلا أن من قسا قلبه، وغلظ طبعه، فهو عن فهم هذا بمعزل[1]!!

والمقصود أن العبد إذا أحبه الله يسر أمره، وشرح صدره، وسخر الكون له، بل لَكَأَنَّهُ يَأْتَمِرُ بأمره!!

وإليك شاهدًا عدلاً يعضد ذلك:

أمر **أبو جعفر المنصور سفيان الثوري** أن يتولى القضاء فأبى بِشِدَّةٍ، فهدده بالقتل، فقال **سفيان**: افعلْ ما شئت، فدعا **المنصور** سَيَّافَهُ فلما شعر **سفيان** بجدية الأمر قال للخليفة: أنظرني إلى غَدٍ، ثم حمل متاعه ليلاً هاربًا بدينه من أرض الكوفة، فلما طال غيابه أرسل الخليفة في طلبه، فَأُخبِرَ بهروبه، فاشتاط غضبًا، وأعلن في الولايات الإسلامية قاطبة عن جائزة عظيمة لمن أتاه **بالثوري** حيًا كان أو ميتًا!!

أما **سفيان** فإنه اتجه صوب اليمن، فلما فَنِيَت نفقتُهُ أَجَّرَ نفسه عاملاً في أحد البساتين، فسأله صاحبه: أَرُطَبُ الكُوفةِ أطيبُ أم هذا؟! فقال **سفيان**: أنا ما ذقت رطبكم، فقال الرجل: سبحان الله.. الغني والفقير بل الكلاب والحمير يأكلون منه!! فرد **سفيان**: لم آخذ إذنًا بالأكل منه، فكيف أتناول حرامًا؟!! فقال الرجل: عجبًا لك، وكأنك **سفيان الثوري** في ورعه!!!

ثم أخبر الرجلُ صديقًا له بِوَرَع عامله، فلما وَصَفَهُ له قال صديقه: والله إنه **سفيان**!! فأسرعا في أسره فوزًا بجائزة الخليفة، إلا أن **سفيان** كان قد هرب بمجرد سماعه اسمه، واستقرَّ بأرض اليمن، وقدر الله أن يُتَّهَمَ يومًا في سَرقةٍ لِجَهلِ النَّاس به، فأتوا به الوالي **معن بن زائدة** فقال له: لم سرقت المتاع؟ فقال: ما سرقت شيئًا، فأمر الوالي أن ينفرد به ليسأله، قال **سفيان**: فأقبل عليَّ قائلاً: ما اسمك؟ قلت: **عبد الله بن عبد الرحمن**!! قال الوالي: ناشدتك الله أن تذكر لي حقيقة نسبك، قال: أنا **سفيان بن سعيد بن مسروق**،

(١) ابن القيم/ الروح ص (٢٣٩)، وكتابه أيضًا: طريق الهجرتين ص (٣٢٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال: **الثوري**!! قلت: **الثوري**، قال: أنت بُغْيَة أمير المؤمنين، ومن جُعِلَت فيك الجائزة؟!! قلت: أَجَلٌ أجل، فقال: أقم وارحل متى شئت، فوالله لو كنت تحت قدمي ما رفعتها حراسة لك[١]!!

إلا أن **سفيان** لم تطب نفسه بالبقاء، فذهب إلى مكة لحلول موسم الحج، واجتمع عليه العلماء ينهلون من علمه، فسمع الخليفة به، فأرسل الخشابين أن يصلبوه؛ حتى يأتي بنفسه ليقتله!! فجاء الخشابون **وسفيان** بصحبة **الفضيل بن عياض**، **وسفيان بن عيينة**، فقيل له: لا تشمت الأعداء بنا، قم واستتر بالكعبة، فتقدم **سفيان**، وأقسم على ربه ألا يدخل **المنصور** مكة، فجاء الخبر أنه مات على حدودها قبل دخولها، فأخبر **سفيان**، فلم يقل شيئًا، ثم أُدْخِلَ **المنصورُ** جُثَّةً هامدة، وَصَلَّى الناس عليه في الحرم، قال **الذهبي**: وهذه كرامة ثابتة[٢]!!

رسالة الشاهد:

والرسالة جلية لا تفتقر لمزيد بيان؛ فإن الله ﷻ سخر كونه في معونة عبده، ما دام على إيمانه وعهده!!

٢ـ السلامة من عوائق الرحيل:

وألمع العوائق: الخوف من فوات الرزق، والخشية من حلول الأجل..

أما الخوف من فوات الرزق، فإن من اعتمد على الله ﷻ تجده مطمئنًا مسرورًا، حامدًا شكورًا، لا يخشى فقرًا، أو يخاف ضرًا، بل رسخ بقلبه ما قاله الحسن البصري يقرع به سمع كل خائف على فوات رزقه، ففضحه بقوله:

قَرَأْتُ فِي تِسعِينَ مَوْضِعًا فِي القُرْآنِ أَنَّ اللهَ قَدَّرَ الأَرْزَاقَ، وَقَرَأْتُ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ فَشَككنَا فِي قَوْلِ الصَّادِقِ فِي تِسعِينَ مَوضِعًا، وَصَدَّقْنَا قَوْلَ الكَاذِبِ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ!!

---

(١) أبو نعيم/ حلية الأولياء (٧/ ٤).

(٢) الذهبي/ سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٥١).

وأما الخشية من حلول الأجل، فإنه في عقيدتهم قدرٌ مقدور، وغيبٌ مسطور، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، فتلقى أحدهم يُعلِنُ عن أي قرار، بجرأة نادرة، وبسالة باهرة!!

وقد عالجت سورة العنكبوت هذين السببين، وهي ترغب في الهجرة؛ فإن من يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغمًا كثيرًا وسعة، قال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٦، ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٦٠]

فهذا الشيخ **أحمد ياسين**، وبعد عذابٍ لِبِضْعِ سنين، في سجون من قال الله فيهم ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥]، يأتيه ضابط الموساد يومًا في زنزانة العذاب فقال: أتيتك بصفقة ثمينة، سنطلق سراحك مقابل أن تسلمنا جثة الجندي الصهيوني المختطف «سعدون» فقال الشيخ -كأنه آمن في بيته، لا يخشى حلول أجلٍ أو طول سجنٍ-: أنا لا أقبل على نفسي أن يفرج عني، في مقابل جثة لا قيمة لها ولا وزن!!!

وعلى دربه الشيخ **نزار ريان**، أدخل السجن يومًا، وإزاء التهديد بالقتل الذي يترصده، قال في كلمة مذهلة: أنا الآن جاهزٌ للقاء الله عَزَّوَجَلَّ!!

فمن كان هذا حاله، يحمل بين جنبيه عقيدة ورسالة، تجده لا يهتم إلا بأمر الله، فإن تكلم فَعَنِ الله، وإن سَكَتَ فَبِالله، وَإن سار فَلِلَّه، فأولئك لا خوف عليهم، ولا هم يحزنون، بل لهم الأمن وهم مهتدون!!

سابعًا: مراقي الصعود

١ـ سلامة التوحيد أولاً:

إنَّ جنابَ الله آمِنٌ، لِكُلِّ مَن عبد الله وآمَنَ، اقرأ في ذلك قرآنًا بالحق نزل:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ١٢٦]!!

رسالة الآية:

إن الأمن الإلهي يُسَربِلُ العبد ما دام يعلن التوحيد، ولا يشرك بالله العلي الحميد، أما إن كفر فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ شديد، يَشْتَمُّ ريحَه في الدنيا، ويناله كاملاً يوم الوعيد، فمن فَقِهَ الدرس وعَقِلَ المراد فذاك الآَمِنُ السعيد!!

أخي..

قال **ابن تيمية**: أنا إلى الآن أجدد إسلامي كل وقت!! فَلَكَ فيه أسوة حسنة، وقدوة طيبة، فأعلن التوحيد بين جنباتك الآن، ولا تستعن إلا بالله، فقد جادت عليك قريحة عابد فقالت:

والله لن يصل أحد إلا الدنيا إلى بالله، فكيف يصل أحد إلى الله بغير الله؟!!

ومن أَجَلِّ ما آنسه بصري من كلام ما أخرجه **الترمذي** بسند صحيح عن **ابن عباس** رضي الله عنهما قال: «كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا فقال: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**»[(١)]!!

وقد ذكر الشيخ **عبد الله عزام** رحمه الله أن مجاهدًا بلغ من الكبر عتيًا، نظر لطائرة روسية تقصف المجاهدين، فأخذ في البكاء، ثم نظر إلى السماء قائلاً: يا رب أيهم أقوى: طائراتهم أم أنت؟! أيهم أكبر وأعظم وأعلى: أنت أم الطائرة؟! أتدع الطائرة تهلك عبادك، بمن نستعين سواك؟! ولمن نلجأ غيرك؟! فو الله ما أنزل الرجلُ يديهِ حتى سقطت الطائرة، ثم بَثَّت إذاعةُ كابل أن طائرة سقطت تحمل جنرالاً كبيرًا، ولله الحمد والمنة[(٢)]!!

---

(١) سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٥١٦)، ص (٥٦٦-٥٦٧).

(٢) عبد الله عزام رحمه الله تفسير سورة التوبة ص (٤١٠).

٢ـ استعصم بأمان أهل الأرض:

قـــال تعـــالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣].

رسالة الآية:

إن النبي ﷺ والاستغفار أَمَانَان لأهلِ الأرض، وبارتقاء النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى بقي الاستغفار متفردًا بعصمة الأمان في الأرض!!

وكم هي السعادة الأمنية التي تغمر كل مستغفرٍ ذاكر، لجناب التوحيد شاكر، اقرأ في ذلك قرآنًا يعلن البشائر: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]!!

وما أخرجه الإمام **أحمد** في مسنده من حديثِ **أبي هريرة** رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لَا يُوَطِّنُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ الْمَسَاجِدَ لِلصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ؛ إِلَّا تَبَشْبَشَ اللَّهُ بِهِ حَتَّى يَخْرُجَ كَمَا يَتَبَشْبَشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ**»(١).

ولذا؛ فإن الله جل وعلا لما أرسل موسى لفرعون دَلَّهُ على معقد الأمان، فقال له: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴾ [طه: ٤٢]؛ ذلك أن الذكر يجلب لهما كل مطلوب، ويدفع عنهما كل مرهوب!!!

أدرك هذا **ابن تيمية** فصلى الفجر، ثم جلس يذكر ربه إلى قريب انتصاف النهار، فسأله ابن القيم عن علة ذلك، فالتفت إليه قائلاً: هذه غَدْوَتِي، فإن لم أتغدَّ سقطت قوتي(٢)!!!

٣ـ تحقق بخوفك يمدك بأمنه:

وهذا فهم جار على القاعدة الزاخرة الثمينة التي قررها **ابن عطاء السكندري** بقوله:

«تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه، تحقق بضعفك يمدك بقوته، وتحقق بذلك يمدك بعزه، وتحقق بعجزك يمدك بقدرته»!!

---

(١) مسند أحمد، رقم الحديث: (٨٣٥٠)، (١٤/ ٩١).

(٢) محمد بن قاسم/ المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ١٥٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فإن أعلن العبد خوفه من الله بدل خوفه أمنًا، فقد ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥]!!

وتعليل ذلك:

أن الله له ملك السماوات والأرض، فإن كان الله وحده حظك ومرادك؛ فالأمن بصحبتك، تابع لك، أما إن ابتغيته دون خشية لربك بالشهادة والغيب، حرمك الله إياه، ففاتك الله وفاتك الأمن[1]!!

٤ـ يقينٌ لا يداخله ريب:

أسطر إليك حوادث ثلاثة، ينبغي أن تُقْرَأ على مهل، في صفاءِ ذهنٍ مُتَّصِلٍ، وإلا أَخِّرْهَا إلى أَجَلٍ؛ ذلك أن نيل مقصودها إنما يتم بتقمص حالة أصحابها عند حدوثها، وإليك بيانها:

الأولى: طار **إبراهيم** عليه السلام جوًا، وثمةَ لحظة واحدة تفصله عن دخول نار قومه، فأتاه مَلَكٌ يعرض عليه أن ينجيه، فأبى ولم يقل: إنه ملك أمدني الله به كَحَبْل نجاة، بل قرر بهدوء وأناة: أما منك فلا، وأما من الله فنعم!!!! فأي يقينٍ مطلقٍ بالله هذا؟!!

الثانية: صفة اليقين الذي تمتعت به أم موسى وهي تُلْقِي وليدها في البحر، فكل الآراء الآدمية تؤكد أنه من الهالكين، ووحي الله إليها: ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٧]!!!

الثالثة: حين أقبل جمع فرعون، فرآه جمع موسى، ففرعون مِنْ خلفهم، والبحر من أمامهم!!، فظنوا أنهم هالكون، وقالوا: يا **موسى** ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء:٦١، ٦٢]!!! فأخبرني بالله عليك: من أي مراتب هذا اليقين؟!!

---

(١) استنباط مستفاد من كلام لابن القيم في الفوائد ص (٦١).

ثامنًا: إشارة حمراء

١ـ إشارةٌ حمراء لكل عبد صالح:

إيـــاك والمعصية، فإنهـا تـخـرم عقدك الذهبي الآَمِـن مع الله عَزَّوَجَلَّ، ووالله ما رأيت أذل للعبد منها، فإنها حرمان فـــي الدنيا، وحســـرة يوم القيـــامة، ولا يغرنك أنك مُقِلٌّ منها، فلعل ذنبًا يصيبك في مقتل؛ فيرديك ميتًا طريدًا لا شهيدًا، فتكون بعده شقيًا لا سعيدًا!!

ولهذا أَتْحَفَكَ ابن القيم بكلام حَارٍ عَلى مِعدَتِكَ، لكن الدواء في العادة مُرٌّ، فقال:

لُعِنَ إبليس، وأُهْبِطَ من منزل العِزِّ بترك سجدة، وأُخْرِجَ آدم من الجنة بتناول لُقمة، وحُجِبَ عنها قابيلُ بملء كفٍ من دم، ورُجِمَ الزاني بإيلاج قدر أنملة، وجُلِدَ الظهر سِياطًا معلومة بكلمة قذف، أو قطرة سُكْر، وقُطِعَت اليدُ بسرقةِ دراهم ثلاثة، فلا تأمننَّ أن تُحبَسَ في النار بمعصيةٍ واحدة[1]!!!

٢ـ إشارة حمراء لكل ظالم متكبر:

إن فرعون لـــما أراد أن يكون ربًّا، استـــدرج قومـــه، قـائـلاً: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ [غافر: ٢٩]، فقبلوا قـولـــه، وَسَلَّمُـوا لـــه؛ فـــقـــال لـهم مختبرًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨]، فلمـــا رأى صمتهم، وعَايـــنَ سُكوتَهـــم، نَـــادى فيهم: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، فلمـــا طولب بالدليـــل، أتـــى اللعيـــنُ بـجـــواب عليـــل ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١]، فـصـــدقـــوه مذعنيـــن، ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٥٤ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤، ٥٥]!!!

---

(١) ابن القيم/ الفوائد (١/ ٦٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أخي..

أفاد **ابن عباس** رضي الله عنهما أن أربعين عامًا مكثها فرعون يستدرج قومه(١)، لكنه غفل أنه مستدرجٌ من ربه، قال الله عز وجل: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]، فلا يغرنك إمهال الله لك، بل حُقَّ لي أن أسألك: هل أنتَ مُستَدْرَج؟!!

تاسعًا: سحائب المنن الإلهية

١ـ سعادة في الدنيا:

مَن سار في جناب الله أَمِنَ وَرَشِدَ، وسُرَّ وَسَعِدَ، وإليك مشاهد السعادة لثلة من هؤلاء:

سعادة **إبراهيم** عليه السلام لحظة خروجه ماشيًا من النار والناس تنظر إليه!! وكذا وريثه الخولاني وناره التي لم تحرق إلا وثاق يديه!! ثم سعادة **موسى** عليه السلام وصحبِهِ لحظة سيرهم في أرض تحت البحر لم تشرق عليها الشمس إلا مرة!! وكذا الحضرمي يسير بجيشه على الماء يومًا وليلة!! ثم سعادة النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى الأرض تؤازره، تحبس سراقة عنه وعن صاحبه!!

فأي لسانٍ يحدث بالسعادة التي شعروا؟!! وأي قلمٍ يَسْطُرُ اللذة التي وجدوا؟!!

فلا تقبلُ شهادةٌ إلا مِمَّن ذاق؛ ليتحفنا بنسائم الأشواق، والمذاق الرقراق، فهذا أحدهم يقول: تمر على قلبي ساعات يرقص فيها طربًا، وآخر يعلن: لو كانت السعادة التي أشعر هي نعيم أهل الجنة لكانوا في عيشٍ طيب، وعلى كلٍ؛ فَإِنَّ الخبرَ ليس كَالْمُعَاينة!!!

٢ـ وأمنًا في الدنيا ويوم القيامة:

إن الذين يخشون ربهم خشية تامة، يتحصل لهم أمن تام في الدنيا ويوم القيامة، فإن ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]

ثم إن من يعتمدون على الله بالكلية لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن

(١) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (٢/ ١٢٧).

الناس، فإن ماتوا ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠]، وإن قـامت قيـامتهم فـ ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، وإذا عـرضت جهنم لهم، صـرفها الله عنهـم؛ فإنهم ﴿عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء: ١٠٢-١٠٣]، ثم يدخلون الجنة ﴿بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦]، فإن نزلوا منازلهم؛ تمت النعمة عليهم ﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧]، بل يكتمل نعيمهم، بلا خوفٍ ولا هَمٍّ، ثم ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان: ٥٥]!!

عندها يدرك من ضلَّ وزلَّ، وأدمن الزلل، أن ثمة فرق ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [فصلت: ٤٠]!!!

عاشرًا: البيان الختامي

أخي..

إنَّ من ضَلَّ وغَوى، واتبع الزيغ والهوى، أو كَذَّب وعَصَى، ثم تَكَبَّرَ واستعْلَى، سَيُدَمَّر بذاتِ الشيءِ الذي اعتمدَ عليهِ من دُونِ اللهِ تَعَالى!!

أخي..

بأهلِ الجَنَابِ الإلهي تَقَرُّ العُيون، وتَفِرُّ الهُمُوم، فَهُم صفوة العباد، وأَمْنُ البلاد، ومن تَعقِدُ الأمةُ أملاً كَرِيمًا بعدَ الله عليهم، والأنامِلُ تَتَّجِهُ إليهم، فَكُنْ -أخي- منهم، وإلا قِفْ بِبَابِهم، فَهُمُ القومُ لا يشقَى بِهم جليسُهُم، وإياك والتَعَلُّل بِفُتُورِ الظاهِرِ والبَاطن، فالخيرُ فيك كامنٌ، وإنَّ جنابَ الله دومًا آمنٌ آمن!!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أُمَّةُ المُخْتَار
تَنْضُجُ عَلَى النَّار

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أولاً: بطاقة تعريف

إنَّ البلاءَ نارٌ نافعة، تُطَهِّرُ العبدَ من خَبَثِهِ؛ لِيَخْرُجَ منها سبيكة ذهبية ناصعة، ينتشر شذاها على الألسُنِ ذائعة صادعة، وتُنَضِّجُ إيمانه؛ ليحيا حياة خاشعة ماتعة، ألا ترى أن الطعام لا يَنْضُجُ غالبًا، ولا يُؤْكَلُ إلا بعرضه على نار ساطعة؟! أما عدونا؛ فإنه بناره أنضجنا، وقَوَّانَا وهَيَّأَنا، فأضحى بجهالته من جُنود الحقِّ معنا، ولو تيقظ لذلك ما حاربنا، لكنها سنة الله فيه وفينا، ولن تجد لسنته تبديلاً ولا تحويلاً!!

ثانيًا: نصوص الوحي تناديك

١ـ نار نافعة:

قال تعالى:

﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد: ١٧]

رسالة الآية[1]:

ضرب الله عَزَّوَجَلَّ للحق والباطل مثلاً ناريًا، فقال: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾، والمراد: تلك المعادن التي تُوقِدُون عليها في النار ابتغاءَ جَعلِهَا حُلِيًّا ذهبية وما شابهها، أو ما تتمتعون به من الأواني ونظائرها..

(١) تصلح هذه الآية لكتابة نظرية متكاملة عن الحق والباطل؛ لما تناولته من القواعد اللامعة لذلك، وأشير إلى أنها تناولت مثالين عن الحق والباطل، أولهما: المثال المائي في صدر الآية، والآخر: المثال الناري الذي نتحدث عنه هنا فقط للزوم المقام، وخشية الإطالة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعليــه:

فإن الخبث الذي يكسو مادة الذهب الخام إنما يزول بعرضه على النار، فيظهر عندئذٍ ذهبًا خالصًا، ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾، فأما الباطل فذلكم الخبث الذي يُطْرَحُ بعيدًا، ويَذهَبُ جُفاءً، وأما الحقُّ فَذَاكَ الذهب الخالص الذي ينفع الناس، ويمكث في الأرض، ولولا النار واللهب؛ لاستحكم الخبث بالذهب، وما استطعنا جعله حُليًّا ذهبية قط[١]!!

والمقصود أن الذهب يُجَرَّبُ بالنار، وأن العبد الصالح يُجَرَّبُ بالبلاء، فإن الله كتب على صفوته من عباده وُلُوجَ نَار البلايا؛ ليَنْضُجَ إيمانُهم، ويَزُولَ خَبثُهُم، ويَطْهُرُوا من ذُنوبِهم[٢]؛ ليخرجُوا ذَهَبًا أحمرَ يتلألأ، ألا ترى أن الطعام -كاللحم مثلًا- لا يُؤكل إلا بعد عرضه على النار؟!، وإلَّا بقي نَيِّئًا لا تشتهيه نفس، فضلاً عن أن يطعمه إنس!!

وقد يكتمل بنيان المؤمنين إلا من ثُلمَة تأتي نار البلايا تَجْبُرها، كما جاءت لإخواننا يوم أُحُدٍ تَسَدُّ ثُلمةَ ترك طاعة النبي ﷺ، وكذا في حُنَينٍ جاءت تُعالج ثُلمةَ العُجبِ بالكثرة، ونِسيان سَنَدِنَا الرباني الأصيل[٣]!!

وفي الآية بِشَارةٌ لأهل الحق أن الدَّيمُومةَ في الأرض لهم، ونَذَارة لأهل الباطل بقرب زوالهم؛ ذلك أنه لا يمكث في الأرض إلا ما ينفع الناس؛ فإنه مغروس فيها كالجبال الرَّوَاسِ!!

أخي..

إنَّ الباطل من جنود الحق، نظيرَ أَلَمِ المريض؛ فَإِنَّهُ من جنود العافية؛ ذلك أنه نذيرُ خيرٍ

---

(١) محمد حجازي/ التفسير الواضح (٢/ ٢٥٥)، تفسير الشعراوي (١/ ١١٩٨)، السيوطي/ الدر المنثور(٨/ ٤٢٢).

(٢) يَرِدُ علينا أن الأنبياء أكثر الأمة ابتلاء، ولا ذنوب عندهم إلا قليل من الصغائر، فنقول: إن البلاء للأنبياء، ومن لا ذنب عنده، رفعة في الدرجات، أما أصحاب الذنوب فتكفير للسيئات، وقد يَمُنُّ الله على عبد، فيجعل بلاءه رفعة في درجاته، وتكفيرًا عن سيئاته في آن واحد!!

(٣) مقالات الشيخ محمد الغزالي (٤/ ٢٣٩) وما بعدها..

يُبَيِّنُ موضع الداء لِصَاحِبِهِ؛ لِيَبحثَ عن وسائل الشفاء، وإلا اجتاح جسده دون شعورٍ، فَاسْتَحْكَمَ الداء، وكذا الباطل؛ فإن وجوده بالسطح دلالة على رسوخ الحق في الأصل، وإن وُجِدَ فينا ثغرة اكتَوينا بِنَارِهِ، فَسُدَّتْ، فأصبح الحق تامًا ناضجًا[١]!!!

فَعِشْ قريرَ العين أيها المبتلى، فنار البلاء التي تكتوي بها نافعة، واصبر؛ فإنها سويعات حتى يتجلى نضوجك، وتخرج ذهبًا أحمر بإذن الله، وبشر الصابرين!!!

إنَّ الْأُمُـــورَ إذَا سُـدَّتْ مَطَالِبُهَـا ... فَالصَّبْرُ يَفْتَقُ مِنْهَا كُلَّ مَـا ارْتَتَجَا[٢]

لَا تَيْـــأَسَـنَّ وَإِنْ طَالَـتْ مُطَالَبَـةٌ ... إذَا اسْتَعَنْـتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَـــرَى فَرَجَا

أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ ... وَمُدْمِنِ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَـا[٣]

من فرائد الفوائد

يلحظ المتبصر أن الذهب النفيس مغمور، أما خَبَثُهُ فظاهرٌ منظور، فلماذا؟!!

إليك سرَّ المسألة:

إن سطوع شمسِ الباطل من قوانين المعركة مع الحق في الجولة الأولى؛ ذلك أن السنة الإلهية تقطع بِتَقَدُّمِ تمحيص المؤمنين على محق الكافرين، وإن الله بحكمته لا يستجيب لعجلةِ المتعجلين، ولعلك تدرك الآن سر التألق الإعلامي لأرباب الباطل، فرغم أن الحق معنا لكننا لا نحسن تبليغه لأهل الأرض بِحَقٍ، وإن الباطل مع غيرنا، لكنه يُحْسِنُ أن يُلَبِّسَ الباطل ثوبَ الحق، ويصل به إلى حيث ينبغي أن يصل الحق[٤]، إلا أن الباطل وإن عَلا؛ فإنه متى عُرِضَ على النار زَال وَفَرْ، وبَان الحَق وظَهر، وما ذلك على الله بعزيز!!!

---

(١) تفسير الشعراوي (١/ ٧٠٤) بتصرف شديد

(٢) أي: ما أغلق.

(٣) الماوردي/ أدب الدنيا والدين ص (٢٨٠)، والأبيات لمحمد بن يسير.

(٤) المقطع الأخير للشيخ محمد حسان/ حقيقة التوحيد ص (٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢ـ لا تحسبوه شرًا لكم:

قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: ١ - ٣]

رسالة الآيات:

إن ثمةَ بلاءً سياسيًا أصاب إخواننا أهل الحديبية؛ ذلك أن شروطًا مُجحِفَةً أكسبتهم حَزَنًا وَهَمًّا، كأن يَرُدَّ المسلمون من جاءهم -بغير إذن وليه- مُسْلِمًا، أما من خرج من عندنا إليهم كافرًا فقد عَدَّوْهُ أَمْرًا مُسَلَّمًا، حتى قال **عمر** رضي الله عنه: لِمَ نُعْطِ الدنيةَ في ديننا؟!! وأبى الصحابة متابعة النبي ﷺ في ذبح الهَدْيِ أولاً، فجاءت هذه الآيات تَشِي بأن نَار البلاء هنا نافعة، بل هي فُتُوحٌ سياسية ثمارها يانعة، وانتصارات عزيزة تؤرق العدو مضاجعه، وإليك بيان ذلك:

أما إعادة من جاءنا منهم مسلمًا:

فإنه فتحٌ مبين؛ ذلك أن من أسلم وباشرَ الإيمانُ شغافَ قلبه يندرُ أن يعود في الكفر ثانية، فيقوم عندئذ بأدوارٍ ثلاثة: يُسَخِّرُ نفسه عَينًا لنا يُبَصِّرُنَا بمكائد عدونا، ثم ما له من تأثير بالغ على أقاربه ومعارفه، فيعلنوا الإسلام، وإن لم يفعل راح يقاتلهم ولو في الأودية وطرقِ القوافل التجارية لقريش، خاصة أن هدنة عقدناها بأيدينا ألا نَمَسَّ القومَ لعشر سنوات، فيكون كل من رددناه يدًا عسكرية لنا دون تمثيلٍ رسمي، وهذا الذي حصل مع أبي بصير وإخوانه، حتى هرعت قريش تتوسل النبي ﷺ أن يقبلهم، ويعلنوا إلغاء الشرط!!!

وأما عدم إعادة قريش من جاءها منا مرتدًا:

فإنه نصرٌ عزيز، في أمدٍ وجيز؛ فإننا نكره أن يكون بيننا عيون لِعَدُوِّنَا، وبهذا الشرط

يَتَنَقَّى الصف المسلم من كل شائبةٍ، ويظهر لنا كل صاحب ردةٍ؛ إذ لا خير فيه، بل لو عثرنا عليه لَوَجَبَ قتله، فثبت عند ذوي الألباب أن عدونا قَدَّمَ لنا بذلك خيرًا ماجدًا، وتَوَكَّلَ بدورٍ نعجزُ عنه غالبًا[١]!!!

أما ذات الهدنة:

فهي في الصورة بلية عظيمة، وفي الحقيقة خيرات عميمة، فقد أَمِنَ الناسُ بعضهم بعضًا حين اختلط المؤمنون بالكافرين، فناظروهم بالقرآن جهرة آمنين، حتى أسلم في تينك السنتين أكثر ممن أسلموا في [١٨] عامًا؛ ذلك أن النبي ﷺ خرج إلى الحديبية بعدد قوامه [١٤٠٠] ثم إنه خرج يوم فتح مكة بعده بسنتين بـ[١٠٠٠٠]، ولهذا سماه الله فتحًا مبينًا[٢]، وصدق الشاعر إذا يقول:

لَا تَكْرَهِ الْمَكْرُوهَ عِنْدَ حُلُوْلِهِ ... إِنَّ الْعَوَاقِبَ لَمْ تَزَلْ مُتَبَايِنَهْ

كَمْ نِعْمَةٍ لَا تَسْتَقِلُّ بِشُكْرِهَا ... للهِ فِي طَيِّ الْمَكَارِهِ كَامِنَهْ[٣]

٣ـ تنضيجٌ مُتدرج:

إن نظرية البلاء تحتكم في السنة الإلهية لِنَظْمٍ مُحكَمٍ، وقرارٍ مكين، مَفَادُهُ: كُلُّ مِنحَةٍ يعقُبُهَا مِحنة، والمحنةُ يتلوهَا مِنحَة، ثم إنَّ المنح والمحن تتعاظمان بمرور الأيام، وطول الأعوام، حتى يأتي نصر الله لعباده، وَيَحْظَوْا بتمكين كالذي أرادوا وزيادة، وإليكم قصة يوسف كَشَاهِدِ عدل:

أحب **يعقوب** ولده **يوسف** عليهما السلام أكثر من إخوته، كانت هذه منحة تلاها محنة بُغضِهم له، حتى جعلوه في غيابة الجُب، ثم مَنَّ الله عَزَّوَجَلَّ عليه بمنحة الوحي إليه لينبئنهم

(١) يونس الأسطل/ ميزان الترجيح في المصالح والمفاسد المتعارضة مع تطبيقات فقهية معاصرة ص (٢١).
(٢) المرجع السابق ص (١٩).
(٣) الماوردي/ أدب الدنيا والدين ص (٢٨٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بأمرهم هذا وهم لا يشعرون، ثم أقبلت جولة المحنة على هيئة سيارة اتخذته بضاعة، لتبيعه بثمن بخس دراهم معدودة، فمنحه الله أن اشتراه عزيز مصر، الذي أكرم مثواه، إلى أن عَلَّمَهُ الله من تأويل الأحاديث، وآتاه حكمًا وعلمًا!!

ومع نفاسةِ المنح كانت ضخامةُ المِحَن؛ فقد راودته امرأة العزيز عن نفسه، بعد أن غَلَّقَتِ الأبواب وقالت: هيتَ لك، وهي ذات منصب وجمال، وسيدتُهُ، فلو عَلِمَ الناسُ بأمرهما؛ فمن يجرؤ أن يعاقبهما، أما يوسف فإنه شابٌ أعزبُ، تقوى دواعي الفاحشة لديه، ثم إنه عَبْدٌ ومُغتَرب، فالفضيحة مَنفيَّة في حقه، إلا أن الله عَزَّوَجَلَّ، وإزاء هذه المحن المتراكبة؛ منَّ عليه بمنحة جليلة أنطقت يوسف قائلاً: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾ [يوسف: ٢٣]، فكان بذلك من عباد الله الصابرين المخلصين!!

وعقب المنح المتتالية داهمته محنة السجن التي لبث فيها بضع سنين، ثم تَسَلَّمَت جولة المنح دورها، في الوقت الذي ازداد يوسف فيه نضوجًا أَهَّلَهُ لأن يَكونَ علَى خزائنِ الأرض، بعد أن استَخْلَصَهُ المَلِكُ لنفسهِ ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٦]!!

ثالثًا: من غيث الرسالة

١ـ نار مطهرة:

أخرج الترمذي وابن ماجه في سننيهما بسند صحيح من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت يا رسول الله، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ فَقَالَ: «**الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي**

عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»[١].

وأخرج **ابن ماجه** أيضًا بسند صحيح من حديث **أنس بن مالك** رضي الله عنه قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ كُسِرَتْ رَبَاعِيَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَشُجَّ فِي وَجْهِهِ، قَالَ فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالدَّمِ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾[٢].

رسالة الحديثين:

إن الله جلَّ وعلا يبتلي الناس الأمثل فالأمثل، والأكمل فالأكمل، فهذا النبي ﷺ يبلغ رسالة ربه لقومه فقالوا: كاهنٌ وشاعر، ومجنونٌ وساحر، ثم ألقوا سلى الجزور على ظهره، وسبوه وعذبوا صَحْبَه، بل قالوا: أبترٌ أقطع، فخرج إلى الطائف فآذوه وأسالوا دمه، حتى خرج من داره وماله، واستقر بالمدينة فحاولوا قتله، ثم سُمَّه، واتهموا ابنته بالزنا، وكان يُوعَك كما يوعك رجلان منَّا، بل قالت عائشة ل: تعلمت الطب من كثرة أمراض رسول الله ﷺ، وما يُنْعَتُ له[٣]!!

لكن هذه النار بصبره عليها، جزاه الله عنها خيرًا، فمنحه الوسيلة والفضيلة، والمنازل الجليلة، ثم من الله عليه بالمقام المحمود، والحوض المورود، واللواء المعقود[٤]، بل هذه مدينة سيدنا رسول الله ﷺ، التي أرسى الإسلام قواعد دولته من أرضها، فهل كان يحصل لها ذلك لولا نار من قريش ضد إخواننا الصحابة أشعلوها؟! بل لو تبصروا بقدر نعمتها علينا ما أوقدوها!!

---

(١) سنن الترمذي/ رقم الحديث: (٢٣٩٨)، ص (٥٤٠)، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٤٠٢٣)، ص (٦٦٥)، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٢) سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٤٠٢٧)، ص (٦٦٥).

(٣) قول عائشة ذكره ابن الجوزي في كتابه: صيد الخاطر ص (٢٧).

(٤) عائض القرني/ حدائق ذات بهجة ص (٣١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢ـ ضريبة مؤلمة لابد منها:

أخرج الترمذي في سننه من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا أَرَادَ اللَّه بعبدِهِ الخَيرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يومَ القِيَامَةِ**»(١).

رسالة الحديث:

إن ثمةَ قدرًا من الألم ستأخذه، فإن استوفيته في الدنيا يسيرًا، وإلا سَتُسَاقُ إليه يوم القيامة أليمًا عسيرًا!! فإذا أحب الله قومًا ابتلاهم، وطهرهم وجلاهم!!

قال **ابن القيم**: إن المصيبة كِيْرُ(٢) العبد الذي يُسبَكُ به صاحبه، فإما أن يخرج ذهبًا أحمر، وإما أن يخرج خَبَثاً كله، كما قيل:

سَبَكْنَاه ونَحْسِبهُ لُجَيْنًا ... فأَبْدَى الْكِيرُ عَنْ خَبَثِ الْحَدِيدِ

فإن لم ينفعه هذا الكِيرُ فى الدنيا، فبيْنَ يديه الكِيرُ الأعظم، فإذا علم العبد أنَّ إدخاله كِيرَ الدنيا ومَسبكَها خيرٌ له من ذلك الكِير والمسبك، وأنه لا بد من أحد الكِيرَين، فليعلم قدرَ نعمة الله عليه فى الكِير العاجل(٣).

فلا تجزع أخي من أي بأس قط، فالرحمة عليك تهبط، والخطايا عنك تسقط، أما إن رق دينك، وخَفَتَتْ خشيتك، خُفِّفَ عنكَ اليوم، وشُدِّدَ عليك غدًا!!

رابعًا: مآثر الأيام

أكتفي بقصة واحدة، رائعة ماجدة؛ ذلك أنها طويلة إلا أنها تَجرِبَةٌ وافية، وصيدلية

(١) سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٣٩٦)، ص (٥٤٠)، وقال الألباني: حسن صحيح.
(٢) الكير هو: جهاز من جلد أو نحوه يستخدمه الحداد وغيره للنفخ في النار لإشعالها. انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٨٠٧).
(٣) ابن القيم/ زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ١٩٤).

شافية، وكنوز كافية، إليك التفصيل فيها:

أُدْخِلَ السجن فخرج ذهبًا أحمر:

إنه الإمام **أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني**، إمام أهل السنة والجماعة!!

طُلِبَ منه أن يقول: إن القرآن مخلوق، فقال: إن القرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ، ومن هنا بدأ مسيرة العذاب!!

أرسل الخليفة المأمون من يأتي به مُقيدًا، فَحُمِلَ على بعيرٍ، وفِي طريقهِ إلى السجن قابلهُ أعرابي فقال له: يا إمام، إنك وافد الناس ورأسهم اليوم، فلا تكن شؤمًا عليهم، وإياك أن تجيبهم إلى ما طلبوا؛ فيتبعَك الناس، فتحملَ أوزارهم إلى يوم القيامة، فإن كنت تُحِبُّ الله فاصبر، فليس بينك وبين الجنة إلا أن تقتل، وإن قُتِلْتَ كنت شهيدًا، وإن عشتَ عشت حميدًا!! قال الإمام **أحمد**: فَكَانَ كلامه مما قَوَّى عزمي!!

ودخل **أحمد** السجن مقيدًا، وكان يصلي بإخوانه السجناء إمامًا والقيود في رجليه!! وفي جوف الليل أقبل عليه رجل فقال: أبشرك، فقد مات المأمون، فقال الإمام أحمد: كنت أدعو الله ألا أراه!!! ولم يكن قد الْتقاه!!

فخلف المأمونَ المعتصمُ، فطلب الإمام **أحمد**، فراح من يحضره، وزادَ له في قيوده، قال الإمام أحمد: فلم أستطع المشيَ بها، وليس معي من يَحملُهَا عني، فَحَمَلْتُهَا بيدي، وكِدْتُ مرارًا أن أَسقُطَ على وجهي من ثقلها، لكن الله سَلَّم، حتى جئتُ دار المعتصم، فجعلوني في غُرفةٍ مُظلِمَةٍ، فاجتهدت القبلة وصليت، وفي الصباح تبين لي صحتها، ولله الحمد!!

ثم أدخلت على المعتصم وأصحابه من حوله، فلما مثلت بين يديه سمعت من يقول له عني: إنه ضالٌّ مُضِلٌّ كافرٌ مبتدع!! ثم اجتمع عليَّ ثلة منهم، فجعل كل واحدٍ منهم يضربني سُوطَيْنِ بشدة بالغة، ثم أكبوني على وجهي، وطرحوني على ظهري، وأسمع المعتصم يقول للضارب: شد، قطع الله يدك!! فأغمي عليَّ مرارًا، حتى أصبح الظهر من

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شدة العذاب أخاديد، وتجمد الدم بعد أن كان سائلاً!!

ثم اقترح بعضهم على الخليفة قتلي، فقال له **ابن أبي دؤاد**: لا تفعل يا أمير المؤمنين، إن قتلته قال الناس: صبر حتى قُتِل، فاتخذوه إمامًا، ولكن أطلقه الساعة؛ فإن مات خارج منزلك شكَّ الناس في أمره!!

وبقي الإمام **أحمد** في سجنه [٢٨] شهرًا، فلما أيسوا منه أفرجوا عنه، ولما جاء الطبيب يعالجه قطع لحمًا ميتًا من جسده، وجعل يداويه، وبعد شفائه بقي أمدًا وإبهاماه يؤذيهما البرد أذىً بالغًا[١]!!

هذا البلاء، لكنه نار نافعة رافعة!! فاجعة لكنها شافية شافعة!!

أضحى الإمام **أحمد** إمام أهل السنة والجماعة في زمانه!!

قال **بشر الحافي**: أدخل أحمد الكير، فخرج ذهبًا أحمر!!

وقال **قتيبة**: إن **أحمد بن حنبل** قام في الأمة مقام النبوة!!

وقال **إسحاق بن راهويه** شيخ **البخاري**: **أحمد** حجة بين الله وبين عبيده في الأرض!!

وقال **أبو عبيد**: لست أعلم في الإسلام مثله!!

أي شرف هذا؟!! وأي رفعة هذه؟!!

قال له تلميذه **المروزي** يومًا: ما أكثر الذين يدعون لك!! فقال **أحمد**: من أجل ماذا يدعون لي؟!!، عسى ألا يكون هذا استدراجًا!!

قال له **المروزي**: كنا نجاهد الكفار في بلاد الروم، فكان المجاهدون في رباطهم يدعون الله في الهزيع الأخير من الليل، ويبكون، ويسألون الله تعالى لك!! فدمعت عيناه، وقال: من أجل ماذا؟ أخشى أن يكون هذا استدراجًا!! قال المروزي: ووالله يا أحمد لقد رأيت

(١) صالح بن أحمد بن حنبل/ سيرة أحمد بن حنبل ص (٥٠-٦٣) بتصرف، الذهبي/ سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٤١-٢٤٢).

الجنود إذا حَمِيَ وطيسُ المعركةِ يرمي أحدهم القذيفة بالمنجنيق، ويقول: هذه عن الإمام **أحمد!!** يرمي أحدهم بالرمح ويقول: هذا عن الإمام أحمد، ثم يضرب عِلجًا من علوج الروم، فيقتله، ويقول: هذا في صحيفة الإمام أحمد!! فبكى أحمد كثيرًا وهو يقول: من أجل ماذا يصنعون هذا؟!!

وإليك ثمرة البلاء على إمامنا في مرضه ويوم موته:

مرض الإمام **أحمد** تسعة أيام، فتسامع الناس بمرضه وكثروا، فأراد الناس زيارته فأبى أن يُدْخِلَ عليه إلا الفقراء، ومن في رتبتهم، فدخلوا عليه أفواجًا، يسلمون ويرد بيده، فجاء رسول الأمير فقال: إن الأمير يقرئك السلام، ويشتهي أن يراك، فقال: هذا مما أكره، وأمير المؤمنين قد أعفاني مما أكره، وقبل وفاته بيومين قال بِلِسَانٍ ثقيل: ادعوا لي الصبيان، فجعلوا ينضمون إليه، فيمسح على رؤوسهم..

قال ابنه **صالح**: أدخلت تحته الطست، فرأيت بوله دمًا، فقلت للطبيب في ذلك: فقال: هذا رجلٌ قد فَتَّتَ الحَزَنُ والغَمُّ جوفه!!

فلما كان يوم الجمعة [١٢ ربيع أول/ ٢٤١هـ] توفي وعمره [٧٧] عامًا، فصاح الناس باكين، حتى كأن الدنيا قد ارتجت، وبدأ الناس يتوافدون إلى مكان الجنازة، فامتلأت السكك والشوارع، فاجتمعت بغداد برجالها ونسائها، وشيوخها وأشبالها، وشبابها وفتياتها، وأغلق الناس متاجرهم ومصانعهم، ولم يُصَلِّ الناس صلاة العصر في بغداد ذلك اليوم؛ لأن الجنازة خرجت قبل العصر وبقيت حتى غروب الشمس، وتَنَقَّلَ الجسد الطاهر مرارًا على الرؤوس لشدة الزحام، وفتح الناس بيوتهم ينادون من أراد الوضوء!!، ولكثرة الناس أرسل الخليفة المتوكل من يمسح الموضع الذي وقف عليه الناس؛ لمعرفة الأعداد المشاركة في الجنازة فوجده [٢ مليون ونصف شخص]!!!

بل قال أبو صالح القنطري: شهدت موسم الحج أربعين عامًا، فما رأيت جمعًا قط مثل

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جنازة أبي عبد الله بن حنبل!!!

وقد قال **أحمد بن حنبل** يومًا: قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم الجنائز!!

قال ابن كثير: وقد صدق الله قول **أحمد** في هذا، فإن كان إمام أهل السنة في زمنه، أما مخالفه **ابن أبي دؤادٍ** قاضي الدنيا فإنَّهُ لما مات لم يحتفل أحد بموته، وما شَيَّعَهُ إلا قليل من أعوان السلطان، ولله الأمر من قبل ومن بعد[١]!!

وذكر **الذهبي** أيضًا عن أبي عقيل أنه قال: توفي شابٌ بقزوين، فرأيته في المنام، فقلت: ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي، ورأيته مستعجلاً، فسألته: فقال: إن أهل السماوات قد اشتغلوا بِعَقْدِ الألوية لاستقبال **أحمد بن حنبل**، وأنا أريد استقباله، وكان قد توفي تلك الأيام[٢]!!

رسالة القصة:

إن لهيب نار الإمام **أحمد** نافعة، أَهَّلَتْهُ لإمامة أهل السنة والجماعة؛ لِيُصبِحَ حجة بين الله وبين عباده، فهل كانت تحصل له هذه المقامات لولا نار فيه أشعلوها، بل لو تَبَصَّرَ أعداؤه بقدر نعمتها عليه ما أوقدوها!! ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ [التوبة: ٣٢]!! وَعَسَى ﴿أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]!!

خامسًا: ذخيرة الأسرار

١ـ طهارةٌ لابد منها:

قال **ابن القيم**: جعل الله الدور ثلاثة: دارٌ أخلصت للطيبين، وهي الجنة، ودارٌ أخلصت

(١) ابن كثير/ البداية والنهاية (١٠/ ٣٧٦).
(٢) الذهبي/ سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٣٥-٣٤٥).

للخبيثين، وهي النار، ودارٌ امتزج فيها الطيب والخبيث، وهي الدنيا، فَكَتَبَ عليهم الابتلاء؛ لِيَمِيزَ أصحاب الدار الأولى من الثانية، فإذا كان يوم القيامة ميزهم الله، فعاد الأمر إلى دارين فقط، الجنة دار الطيبين، والنار دار الخبيثين، ثم جعل طيبات هؤلاء نعيمًا يُسَربِلُهُم، وخبائث هؤلاء عذابًا يحيط بهم، حكمة بالغة، وعزة باهرة قاهرة؛ لِيُرِي عباده كمالَ ربوبيته، وكمالَ حكمته وعلمه وعدله ورحمته!!!

وقد يكون في الشخص مادتان، فأيهما غلبت عليه كان من أهلها، فإذا أراد الله به خيرًا ابتلاه في الدنيا؛ ليأتي مطهرًا يوم القيامة لا يحتاج لنار تطهره، فتراه كثير المصائب المكفرة، ثم يمسك ربنا عن المخذول مواد التطهير؛ ليأتي يوم القيامة بمادة خبيثة وأخرى طيبة، وحكمته تعالى تأبى أن يجاوره أحدٌ في داره بِخَبائثه، فيدخل النار طُهْرَةً له، وتصفية، فإذا خلصت سبيكة إيمانه من الخبث، صلح عندئذٍ لجواره، ومساكنة الطيبين من عباده!!

ولما كان المؤمن طيبًا مُبَرَّءًا من الخبث، حُرِّمَت النارُ عليه، ولما كان المشرك خبيث العنصر، لم تطهر النار خبثه، كالكلب فإنه لا يطهر ولو دخل البحر، فسبحان من بهرت حكمته العقول والألباب، وشهدت فِطَرُ عباده وعقولهم بأنه أحكم الحاكمين، وربُّ العالمين، لا إله إلا هو!!

فثبت بذلك عند ذوي الألباب أنه لابد من امتحان النفوس؛ ليظهر طيبها من خبيثها، ومن يصلح لموالاته وكراماته، ومن لا يصلح، كالذهب الذي لا يصفو من غشه إلا بالامتحان؛ إذ النفس في الأصل ظالمة جاهلة، وقد حصل لها بذلك من الخبث ما تحتاج معه إلى السبك والتصفية، فإن خرج في هذه الدار، وإلا ففي كير جهنم[1]، فتأكد لكل ذي لب أنه:

لَيْسَ المُرَادُ أَنْ تُعَذَّبَ، بَلِ المُرَادَ أَنْ تُهَذَّبَ!!!

(١) ابن القيم/ زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٣١-٦٧،٦٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢ـ تحريك العبودية في أفئدة العباد:

فطر الله عباده أن يفزعوا إليه عند أي بلاء بَاتِر؛ فإنه معينٌ ناصر، أما عون الناس فَقَاصِر، وكلما زاد لهيب نار البلاء على العبد فَرَّ إلى ربه، تائبًا من ذنبه، حتى تُطَبَّبَ النارُ ثغراتِ ضعفه، فيخرج ذهبًا أحمرَ يتلألأ بفضل الله عليه..

فهذا ابن تيمية يُسجَنُ في تهمة باطلة، فجعل الله نار بليته بردًا وسلامًا عليه، حتى حصل له من تحف العبودية ما جعلته يُعْلِن: إن جنتي في صدري، أين رُحْتُ فَهِيَ معي، فَحَبْسِي خلوة، وقتلي شهادة، ونفيي سياحة، ووالله لو بذلوا لي ذهبًا كهذه القلعة، ما عدل عندي شكر هذه النعمة، وما جازيتهم على ما ساقوا إليّ من خير!! بل المحبوس الذي حُبِسَ قلبُهُ عن الذي خلقه وسواه، والمأسور من أسره هواه!! ثم نظر إلى سور القلعة وهو بداخله تاليًا قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣]

فسبحان من أَشْهَدَ عباده جنته قبل لقائِه، وفتح لهم أبوابَهَا في دارِ العمل؛ فأتاهم من رَوْحِهَا ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها، والمسابقة إليها[١]!!!

وعلى دربه **ابن القيم** الذي سُجِنَ معه، فحصل له من التأملاتِ الإيمانيَّةِ، وصُوَرِ العُبُوديَّة، والمُصنفات الكتابية ما يكفي لتراثٍ علميٍ جامع!!!

وقد شهدت ساحةُ فلسطين أن نار البلاء اليهودية، نعمة من الله علينا وَعَطِيَّة، فإنها نَقَلَت مُجَاهِدِي غزة من بضع عشرات قبل سنوات، إلى عددٍ مُقَدَّر اليوم بآلاف العشرات، كما أن جُلَّ الأسرى يخرجون عقب تعبئة إيمانيةٍ فتية، تساهم في دفع حركة الجهاد دُفُعَاتٍ قَوِيَّة!! ووالله لو عَلِمَ اليهودُ بذلك لَهَيَّأُوا لنا حِراسةً لا مراكز سُجُون، ولكنهم قومٌ لا يفقهونَ، وشرذمةٌ لا يعقلون!!

(١) ابن القيم/ الوابل الصيب ص (٦٧).

أما من لا زال قابعًا في جامعة العُبُودية اليوسفية، فإنه في ضُرٍّ نزلَ به؛ لخيرٍ كتبه الله له، كَيُوسف الذي لبث في سجنه بضع سنين، صناعةً ربانيةً تُؤَهِّلُهُ لأيام التمكين، ثم إن السجن هو المكان الطبيعي للرجل الحر في الأمة المستعبدة!! لكن البشرى قائمة، فالمحنة لن تطول، وعدونا إلى أُفُول[١]، ونحن نُعْرَضُ على النار، واقترب النضج؛ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٥١]!!

٣ـ الأنس بالله فقط:

إن الله خلقنا، وَكَفِلَ رزقنا، وتَولَّى أمرنا، وكثيرٌ من الناس شُغِلَ بِمَا تَكَفَّلَ اللهُ لهُم به، عن الواجب الذي أمرهم به، حتى حُجِبُوا عن ربهم، وتَعَكَّرَ صَفْوُ سريرتهم، فإن صلى أحدُهم فَبِلَا خُشوع، وإن قام فَبِلَا دُمُوع، يُرافِقُهُ الخوف من العطش والجُوع، مُقِلٌ منَ السجود والركوع، فَكَتَبَ اللهُ تعالى على هؤلاء وُلُوجَ نَارِ البَلايَا، وَمَسِيس شَررِ الرَّزَايَا، لِيَعُودُوا إِلَى مناجاة ربهم تحت ضَغْطِ الغُموم، وزَحْمَةِ الهُمُوم..

ولذا؛ فإنَّ اللهَ تعالى لم يُعْطِ العبدَ إلا صَاحبًا أو اثنين[٢]، بينما أَغْدَقَ عليه ألوانَ المِحن، في حين أن حجم البلاء بحاجةٍ إلى عشرات الأصحاب الفضلاء؛ ليكونُوا معَهُ طيلةَ وقته؛ لئلا يَغزُوهُ هَمٌ، لكن سنة الله تأبى أن يأنسَ العبدُ بغيرِ ربه، ذلك أنَّ:

الله يغار على قلب عبده، أن يكون فيه موضع لغيره[٣]!!

وقد سجل ابن القيم كلامًا نفيسًا نادرًا فقال:

وهذا هو السر الذي لأجله –والله أعلم– أُمِرَ الخليلُ بِذبحِ ولده، وفلذة كبده، فإنه لما أُعْطِيه تَعلَّقَت بِه شُعبةٌ من قلبه، ومَرتبةُ الخِلَّة لا تَقبلُ الشراكة أو القسمة، فَغَارَ الخليلُ على

(١) يونس الأسطل/ مقال بعنوان: الأسرى من مِحْنة العذاب المهين إلى مِنْحة الحرية والتمكين، وجملة «السجن هو المكان الطبيعي..» لأبي الفضل عمر الحدوشي في كتابه: نشر العبير في منظومة قواعد التفسير ص (٦٩).

(٢) قسم ابن الجوزي ديوان الإخوة إلى أقسام ثلاثة: الصاحب، وهو الملازم للإنسان، فكأنها روح تفرقت في جسدين، ثم الصديق، فهي المحبة الشديدة لكن دون ملازمة دائمة، ثم المعرفة وهم الدائرة الأخوية الأبعد، فحديثنا الآن عن العلة في الأصحاب القلة.

(٣) ابن القيم/ الفوائد ص (٣٤)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خليله، أن يكون في قلبِهِ موضعٌ لغيره، فَأَمَرَهُ بذبحِ الولد؛ لِيَخْرُجَ المُزاحم من قلبه، فلما وَطَّنَ قلبه على ذلك، حَصلَ مقصودُ الأمر، فلم يَبْقَ في إزهاق الولد مصلحة، فالذبح غيرُ مقصودٍ لذاته، فعندها جاءت البشائر بالنداء:

﴿أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ﴾ [الصافات:١٠٤-١٠٧][1].

فسبحان من أحبك فابتلاك،؛ ليسمع شكواك، وليصعد إليه بكاك، وترتفع إليه نجواك[2].

سادسًا: بشائر العافية

١ـ التعرض لنار الابتلاء:

إن الله إذا أحب عبده طَهَّره من خطاياه في دنياه؛ لِيَدخُلَ الجنة سبيكة ذهبية في أخراه؛ فكيف تمنح جنة ربي لراسب في امتحان ما أيسره وما أبهاه!! قال المتنبي:

تريدين وجـــدان المعالي رخيصةً ولا بد قبل الشَّهْدِ من إِبَرِ النحل

فإنِ ابتلاك الله في دنياك فالأمر هَيِّنٌ، بل ذاك وربي فاتحة بشائر العافية، وإليك درةً نفيسةً بِلِسَان الرافعي الذي قال:

إن من آمن بالله فكأنما قال له: «امتحني»! وكيف تُرَاكَ إذا كنت بطلاً من الأبطال مع قائد الجيش، أما تفرضُ عليك شجاعتك أن تقول للقائد: «امتحني وارمِ بي حيثُ

(١) ابن القيم/ مدارج السالكين (٣/ ٣٠).

وكان من الدروس أيضًا تضحية الآباء بأبنائهم في سبيل الله؛ بأن يحرضوهم على القتال، وضرورة أن يضحي الأبناء بأنفسهم في سبيل الله؛ فينفروا خفافًا وثقالاً.

(٢) عائض القرني/ مقامات القرني/ المقامة الشفائية ص (١٧٧).

شئت»!! وإذا رُمِيَ بك فرجعت مثخنًا بالجراح، ونالك البتر والتشويه، أَتَرَاها أَوصافًا لمصائبك، أم ثناءً على شجاعتك[١]؟!!

فلرُبّما كان الدُّخول إلى العُلا والمَجْدِ من بَوَّابَـةِ الأحـزانِ

٢ـ الرضا بما قدره الله:

أخي..

إن مراتب التعامل مع نار البلاء ألمعُهَا أربعة، صبرٌ ورضا، وشكرٌ ومحبةٌ:

(أ) فالصبر أن يُسَربِلَكَ همٌ وَحَزَن، لكنك تثبت ابتغاء ما عند الله، دون أن تَبُثَّ سخطًا أو شَكْوَى[٢]!!

(ب) أما الرضا؛ فغايته ألا تتمنى السقم حال العافية، ولا تتمنى العافية حال السقم، في تسليمٍ تام، وانقيادٍ مطلق، لما اختاره الله لك!!

(ج) وأما الشُّكر؛ فَكَذَاكَ العابد الذي أخبره عبده راعي غنمه أن لُصُوصًا سرقوا [٤٠٠] شاة له، فقال له: قل لإخوانك العبيد، أنا وأنتم أحرارٌ لوجه الله!! فَعُوتِبَ في ذلك، فقال: علمت أن الله أراد أن يَبْتَلِيَنِي؛ فأردت أن أزيدَه!!

(د) وأما المحبة؛ فأن تزداد حبًا لربك عَقِبَ البلوى، فلا ضَجَرَ ولا شكوى؛ ففي معتقده أن الله يختار له خيرًا مما يختار لنفسه، وصاحبنا هذا شعاره دومًا: ربِّ لا تَكِلْني لنفسي طرفة عين!!

وقد أفتى الموقعون عن رب العالمين أن الصبر واجب؛ يُثَاب فاعلُه، ويَأْثَمُ تاركُه، أما الرضا والشكر والمحبة؛ فمراتب مستحبة، يؤجر فاعلها، ولا يعاقب تاركها، فمن أي

---

(١) الرافعي/ وحي القلم (٢/ ٨٠).

(٢) قال ابن القيم: مراتب الصابرين خمسة: صابر ومصطبر ومتصبر وصبور وصبار، فالصابر: أعمها والمصطبر: المكتسب الصبر المليء به والمتصبر: المتكلف حامل نفسه عليه، والصبور: العظيم الصبر الذي صبره أشد من صبر غيره، والصبار: الكثير الصبر، فهذا فى القدر والكم، والذي قبله في الوصف والكيف. انظر: مدارج السالكين (٢/ ١٥٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المراتب أنت؟!!

وإليك هذا الشاهد العجيب هدية؛ فصاحبه جمع بين المقامات الأربعة!!:

ذكر **الأوزاعي** عن **عبد الله بن محمد** قوله:

خرجت إلى عريش مصر مرابطًا، فلما انتهيت إلى ساحل البحر؛ فإذا أنا ببطيحةِ الوادي، وفي البطيحة رجلٌ قد ذهبت يداه ورجلاه وثَقُلَ سمعه وبصره، وما له من جارحة تنفعه إلا لسانه، وهو يقول: اللهم أوزعني أن أحمدك حمدًا أكافىء به شكر نعمتك التي أنعمت بها عليَّ، وفضلتني على كثير ممن خلقت تفضيلاً!! فعجبت منه، وقلت: ووالله لأسألنه لأعرف أَأُوتِيَ العلم بِفَهمٍ أم إلهام!! فَأَتيتُ الرجلَ، وسَلَّمْتُ عليهِ، وقلتُ له: أيُّ نعمةٍ من نعم الله تحمده عليها، وأي فضيلةٍ تفضل بها عليك تشكره عليها؟!!

فقال: وما صنع بي ربي!! هَبْ أنَّ الله أرسل علي نارًا فأحرقتني، وأمر الجبال فَدَمَّرَتنِي، والبحار فَغَرَّقَتْنِي، والأرض فابتلعتني، والله ما ازددت لربي إلا شكرًا؛ لما أنعم عليَّ من لساني هذا!! ولكن يا عبد الله إن لي إليك حاجة، فقلت: والله ما مشى أحدٌ في حاجةِ أحدٍ أعظمَ أجرًا ممن يمشي في حاجة مثلك، قُل!!

فقال: كان ابني يتعاهدني في وقت صلاتي فيوضئني، وإذا جُعْتُ أطعمني، وإذا عطشت سقاني، ولقد فقدته من أيام ثلاثة، وأنا أنتظره، فتحسسه لي رحمك الله!! فمضيتُ عَجِبًا من صبره على جوعه وعطشه، فمضيت غير بعيد، حتى صرت بين كُثبان الرمل، فإذا أنا بالغلام قد افترسه سَبُعٌ، وأكل لحمه، فاسترجَعْتُ، وقلت: أَنَّى لِي وجهٌ رقيق آتي به الرجل؟!، ثم خطر بقلبي خبر أيوب النبي ﷺ!!

فأتيت الرجل وسلمت، فردَّ السلام، وقال: ألست بصاحبي؟ قلت: بلى، قال: ما فعلت في حاجتي؟ فقلت: أنت أكرم على الله أم أيوب النبي ﷺ؟! قال: بل أيوب النبي، قلت: هل علمت ما صنع به ربه؟! أليس قد ابتلاه بماله وآله وولده؟!، قال: بلى، قلت:

فكيف وجده؟، قال: وجده صابرًا شاكرًا حامدًا، قلت: لم يَرْضَ منه ذلك حتى أوحش من أقربائه وأحبائه، قال: نعم، قلت: فكيف وجده ربه؟ قال: وجده صابرًا شاكرًا حامدًا، قلت: فلم يَرْضَ منه بذلك حتى صَيَّرَهُ عَرضًا لمَارِّ الطريق؛ هل علمت؟ قال: نعم، قلت: فكيف وجده ربه؟ قال: صابرًا شاكرًا حامدًا، أَوْجِز رحمك الله!!

قلت له: إن الغلام الذي أرسلتني في طلبه وجدته بين كُثبان الرمل، وقد افترسه سَبُعٌ، فَأَكَلَ لحمه، فأعظم الله لك الأجر، وألهمك الصبر!!

فقال: الحمد لله الذي لم يخلق من ذريتي خَلقًا يَعصيه، فَيُعَذِّبَهُ بالنار -أي: كل أولادي ماتوا صغارًا، ولم تجرِ أقلامُ السيئات عليهم- ثم استرجع، وشَهِقَ شهقةً فَمَاتَ!! فاسترجعت وقلت: لقد عَظُمَتْ مُصِيبَتِي، فإن تركته أَكَلَتْهُ السباع، وإن لزمته لم أقدر على ضُرٍّ ولا نفع، فَسَجَيْتُهُ بثوبه وقعدتُ عندَ رأسِهِ باكيًا!!

وبينما أنا كذلك إذ قَدِمَ أربعةُ رجال فقصصت عليهم الخبر، فقالوا: اكشف لنا عن وجهه فَعَسَى أن نعرفه، فكشفت عن وجهه، فانْكَبَّ القومُ يُقَبِّلُونَ عينيه مرة، ويديه أخرى، ويقولون: بأبي عينٌ طالما غَضَّت عَن مَحارِم الله!! بأبي جسمٌ طالما سجد بين يدي الله والناس نيام!! فقلت: من هذا يرحمكم الله؟!! قالوا: هذا أبو قلابة الجرمي صاحب ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كان شديد الحب لله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ!!

فَغَسَّلْنَاهُ وكَفَّنَاهُ وصلينا عليه ودَفَنَّاه، فانصرف القوم، وانصرفت إلى رباطي، فلما جَنَّ عليَّ الليل وضعت رأسي فرأيته فيما يرى النائم في روضة من رياض الجنة، وعليه حُلَّتَان من حُلَلِ الجنة، وهو يتلو: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤]، فقلت: ألست بصاحبي؟ قال: بلى، قلت: أنى لك هذا؟! فقال: إن لله عَزَّوَجَلَّ درجات لا تُنَالُ إلا بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، مَع خشية الله عَزَّوَجَلَّ في العلانية والخفاء[1].

(١) ابن حبان/ الثقات (٥/ ٣-٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سابعًا: مراقي الصعود

١ـ وأن تصبروا خيرٌ لكم:

من صبر وصَابر، وثَبَتَ وثَابر، غَلا ثمنه، وعَلا حظه؛ ذلك أن الإمامة إنما تُنَال بالصبر على المصائب، والتَجَلُّدِ للنوائب، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤]

رسالة الآية بلسان ابن تيمية:

«بالصبر واليقين؛ تُنَالُ الإمامةُ في الدين»[١]!!

ورحم الله **الحسن البصري** الذي قال:

كَانَ النَّاسُ يَتَسَاوُونَ فِي وَقْتِ النِّعَمِ، فَإِذَا نَزَلَ البَلاءُ تَبَايَنُوا!!

ولن تَعْرِفَ النفسُ النعيم وعِـزَّه ... إذا جَهِلَتْ حـال المـذلّة والضُّـرّ

تَهُونُ علينا في المعالي نفـــوسُنا ... وَمَنْ يخطبِ الحسناءَ لم يُغْلِها مهر

أخي..

إن من صبر نال المُنَى، وَمَن شَكَرَ حَصَّنَ النُّعْمَى، وقد أجمع الحكماء على أن بلايا الإنسان من دلائل فضله، وشواهد نبله[٢]، بل إن من اعتاد الصبر هابه خصمه وعَدَوُّهْ، لكن من استطال الطريق ضعف مشيه وَعَدْوُهْ!!

٢ـ وقل اعملوا:

قال تعالى: ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ

(١) ابن تيمية/ مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٨).

(٢) الماوردي/ أدب الدنيا والدين ص (٢٨٠-٢٨٤).

مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٠]

رسالة الآية:

إن الله آخى بين الصبر والتقوى، وعُمدة أركان التقوى: العمل بالتنزيل، فإن صلح اجْتَرَّ معه الخوف من الجليل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل، وكلما زاد العبد في عمله، تكفل الله بأمره فَأَمَّنَه، وحرسه وحَصَّنَهْ، ولم يضره كيد عدوه!!

ولذا؛ ألفيت **ابن عباس** رضي الله عنهما يَفْخَرُ بأهل العمل، فقال: ما رأيت أَدَبَ من أصحاب سيدنا رسول الله ﷺ، ما سألوا نبيهم في القرآن إلا ثلاثة عشر سؤالاً، كان جُلُّ همهم العمل!! فرحم الله -يا إخواني- قومًا اشتغلوا بالعمل، وتركوا الجدل!!

فهذا الصديق رضي الله عنه يقول: لست تاركًا شيئًا كان رسول الله يعمل به إلا عملتُ به[١]!!

وعلى دربه الإمام **أحمد بن حنبل** الذي كان يحفظ ألف ألفْ حديث [مليون حديث]، فراح يفضح الكسول الفاتر بقوله: ما كتبت حديثًا إلا وعملت به!! حتى مَرَّ بي أن النبي ﷺ احتجم وأعطى أبا طيبة دينارًا، فاحتجمت وأعطيت الحجام دينارًا[٢]!! فقال له تلميذ: وحديث مبيت النبي ﷺ في الغار أيامٌ ثلاثة، قال: نعم، لما اشتدت فتنة القول بخلق القرآن، ذهبت إلى غار كذا في جبل كذا، وبت فيه إعمالاً لسنة سيدنا رسول الله ﷺ!!!

قال تلميذه **عاصم بن عصام البيهقي**: بِتُّ ليلة عنده، فجاء بماء فوضعه، فلما أصبح نظر إلى الماء فوجده على حاله، فقال: سبحان الله! رجلٌ يَطْلُبُ العِلْمَ، لَا يَكُونُ لَهُ وِرْدٌ بِاللَّيْلِ[٣]!!!

---

(١) الصلابي/ أبو بكر الصديق رضي الله عنه شخصيته وعصره (٣/ ١٧٨).
(٢) الذهبي/ سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٩٦).
(٣) السابق (١١/ ٢٩٦-٢٩٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثامنًا: إشارة حمراء

١ـ اعرف قدرك وما تملك أولاً:

إن من خُذِلَ عن إعلان الصبرِ عند الصدمة الأولى، جَاهِلٌ بالله أولاً، وَبِقَانُونِ التَمَلُّكِ المَالي ثانيًا، ففي مُعْتَقَدِهِ أن المال مَالُه، والوَلد ولدُه، والبدنَ بدنُه، وغَفِلَ أنها لله، لكنها تَحت تصرفه، ولله دَرُّ الأعرابي الذي سئل عن قطيع إبله يومًا: لمن هذه الإبل؟ فأجاب في أبلغ قول قائلاً:

«لِلَّـهِ فِـيْ يَـدَيْ»!!!

فمالُك لَيس لك، ومِلْكُكَ مَا لَكْ، أَمَّا مَالُكَ فَلِلمَالِك، جَعل يدك عليه، كَرَجُلٍ أعطاك ماله، فإن طلبه أعطيته له، وعلى هذا فَلَيسَ لَكَ من مالك إلا مَا أكلت فَأفنَيت، أو لبست فَأبليت، أو تصدقت فَأبْقَيت!!!

هب أنني أَعَرْتُكَ مَركبتي وطلبتُهَا بَعدَ شهرٍ، أَتسخطُ عليَّ، وتشتمني، أم تدعو لِي وتشكُرُنِي؟!! لكَ أن يتعلق قلبك بِهَا أمد قيامها عندك، لكنَّ التَعَلُّقَ الزائد عقب استردادها جهالةٌ ومنقصةٌ، ثم هَبْ أني رفضت إعارتك، أَيحِقُّ لك أن تُعْلِنَ سخطك وغضبك وإساءتك؟!! حُقَّ لك أن ترتجي مني إجابتك، على أنك تحبني وأحبك، لكن علمي سبق أن المركبة شاقة عليك، ضُرُّهَا مَعلومٌ عِندِي خَافٍ عَليك، مَنعتُهَا عَنك نَفعًا لك؛ لئلا تكون وَبَالاً عَليك!!

فإلى كل مبتلى حزين، منعه الله حظًا دنيويًا كَمَالٍ أَو بنين، بلاؤكَ رِسالةٌ من بارئك، فَحْوَاهَا: أحببناك فأدبناك، وبالمرض قربناك، وبالبلاء هذبناك[1]، لكنها نعمٌ لا تُدرك إلا يوم كشف الغيب لك!! فَكَم ندمك يومها، وقد أدركت قدر جهالتك في تعاملك مع

(١) عائض القرني/ المقامات/ المقامة الشفائية ص (١٨٠).

الله!!!

٢ـ إياك وعقوق أحكام الألوهية فيك:

إن المتبصر بحال المبتلين يلحظ أن أكثرهم إن ابتلاهم الله قالوا: ﴿أُفٍّ﴾!! ثم أعلنوا الشكوى، ونكران البلوى، وهذا -وربي- خَدْشٌ في التوحيد، ومنقصة تستحق الوعيد؛ فإنه شكوى الخالق إلى المخلوق، ولهذا أشعل الفضيل بن عياض نار وعظه على رجل يشكو أمره لأخيه فقال: يا هذا، أتشكو من يرحمك، إلى من لا يرحمك[١]؟!!

وإذا عَرَتْكَ بليـــةٌ فاصبرْ لـهـــا ... صبرَ الكريـمِ فإنـــه بـك أعلـمُ

وإذا شكوتَ إلى ابن آدم إنمـــــا ... تشكو الرحيمَ إلى الذي لا يرحم

قال **الأحنف بن قيس**: شكوت إلى عمي وجعًا في بطني فنهرني، وقال: إذا نزل بك شيءٌ فلا تَشْكُهُ إلى مخلوق مِثلك، لا يقدر على دفع مثله عن نفسه، ولكن اشْكُ لمن ابتلاك به؛ فإنه قادر على أن يفرج عنك، يا ابن أخي: إن إحدى عيني هاتين ما أُبْصِرُ بها من أربعين سنة، وما أخبرت زوجتي بذلك، ولا أحدًا من أهلي!!

بل إني أخاطب من باشر الإيمانُ شغافَ قلوبهم أن الشكوى لا تليق بمن يفقه عن الله ورسوله، قال سفيان: إن من لم يَعُدَّ البلاء نعمة، والرخاء مصيبة، ليس بفقيه عندنا!!

وقال **شقيق**: من شكا مصيبة نزلت به إلى غير الله لم يجد في قلبه لطاعة الله حلاوة أبدًا، وفي لغة رُوَيْم: إن الصبر ترك الشكوى، أما الرضا فاستلذاذ البلوى، ورحم الله الإمام أحمد الذي أَنَّ في مرضه، فقيل له: عَدَّ طاووس الأنين شكوى، فما أَنَّ حتى مات[٢]!!

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]!!

---

(١) البيهقي/ شعب الإيمان (٧/ ٢١٩، ٢٢٠).

(٢) البيهقي/ شعب الإيمان (٧/ ٢٢٠)، وانظر: ابن القيم: عدة الصابرين ص (٢٣٢).. قال ابن القيم: والتحقيق أن الأنين على قسمين: أنين شكوى فيكره، وأنين استراحة وتفريج فلا يكره، والله تعالى أعلم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من فرائد الفوائد

قال تعالى:

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]

رسالة الآية:

إن الله ذكر الضُرَّ في مُقَابِلِ الخَير، مَع سَابقِ علمِنَا أَن الشرَّ نقيضُ الخير، وما ذاك إلا ليعلم المرء أنه لا شرَّ محض يلحَقُهُ، إنما هو وجه ضُرٍّ، في مقابل أوجهٍ كلها خير في العاجل أو الآجل، ﴿ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥]!!

تاسعًا: سحائب المنن الإلهية

وسحائب المنن لا تحصى كثرة هنا، لكني أنتقي أربعة منها لضيق المقام، أما الأربعة فإليكها:

١ـ أولئك هم المهتدون:

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]

رسالة الآية:

إن الذين صبروا عليهم صلوات ربهم ورحمته، هداهم لدينه ودعوته، ثم أسعدهم بدخول جنته، بعد أن هداهم أمرهم، وسَخَّرَ السماواتِ والأرضَ من أجلهم!!

فهذا نبي الله **يوسف** عليه السلام أراد الله عز وجل أن يجعله على خزائن مصر، فسلط عليه أقرب

المقربين ليلقوه في البئر، ثم أرسل الله سيارة تطلب الماء لِيُسِرُّوهُ بضاعةً، وَزَهَّدَهُم في الانتفاعِ به، ثم حَبَّبَ عزيزَ مِصرَ فيه، فاشتراه عَلَّهُ أن ينفعه أو يتخذه ولدًا، إلى أن راودته امرأة العزيز عن نفسه؛ لِيُسجَنَ ظُلمًا بضع سنين، ثم يُقَدِّرَ اللهُ لِمَلِكِ مصر رؤيا أخافته، لا يُعَبِّرُهَا إلا يوسف؛ لِيَخْرُجَ مؤهلاً لإمامة خزائن الأرض!!

أما لو قَدِمَ يوسف بجيوش جرارة ينتزع الخزائن من أهلها؛ لَقَاتَلَهُ ملوكها، وَلَخَرَجَت مصر تحاربه عن بكرة أبيها، فَتَعَسَّرَ على المحاربين أن يتملكوها، فسبحان الذي سَخَّرَ كثيرًا من ذوي الهيئات والمناصب، في تسييد عبدٍ بِيعَ بأزهد الأقدار والمراتب؛ ليصبح إمامًا تُشَدُّ إليه الرحال من كل جانب، فكم بين إلقائه في البئر، وبين جعله إمام خزائن مصر، فلله الأمر من قبل ومن بعد، إنما يتذكر أولو الألباب!!!

٢ـ أئمة يهدون بأمرنا:

قال **ابن القيم** في كلام يسعد الأرواح ويسر القلوب:

وإذا تأملت حكمته سبحانه فيما ابتلى به صفوته، بما ساقهم به إلى أكمل النهايات، التي لم يكونوا يعبرون إليها إلا على جسر من الابتلاء، كالجسرِ الذي لا سبيل إلى عبورهم الجنة إلا عليه، فالصورة صُورةُ نِقْمَة، والحقيقةُ أَجَلُّ رَحمةٍ ونعمة، فكم لله من منة عظيمة، وعطية جسيمة تُجْنَى من قطوف البَلِيَّةِ والمحنة، ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]!!!

فتأمل آدم وما آلت محنته إلى رفعة المنزلة، وتمام الاصطفاء، وكذا نوح الذي عبر بصبره تلك القرون كلها، حتى أقر الله عينه، وأغرق أهل الأرض بدعوته، وجعل العالم بعده من ذريته، وهذا **إبراهيم** دخل النار فخرج سالمًا، أُمَّةً شاكرًا، وهذا **يوسف** صبر حتى جاءه من ألقاه في البئر وقالوا له: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٩١]، فإيثار الله له لم يكن عطاء من غير مؤهل،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لكن الصبر أوصلهم، ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤]!!

كذا المعالي إذا ما رُمْتَ تُدْرِكُها ... فاعبرْ إليها على جسرٍ من التعب

فلله سبحانه من الحكم في ابتلائه أنبياءه ورسله وعباده المؤمنين؛ ما تتقاصر عقول العالمين عن معرفته، وهل وَصَلَ من وَصَلَ إلى المقامات المحمودة والنهايات الفاضلة إلا على جسر المحنة والابتلاء؟!!

الصبرُ يَجْمُلُ في المواطن كلِّها ... إلا عليك فإنه لا يَجْمُل

الصبرُ مثل اسمه مُرٌّ مذاقتُه ... لكن عواقبه أحلى من العسل[1]

٣ـ محبة في قلوب الخلق:

إن نار البلاء تمنح صاحبها نورًا في قلبه، يفيض ضياءً يغمر وجهه، ويعلم الله تعالى كم تهوى القلوب أناسًا أوذوا في سبيل الله؛ لما تظنه من بهاء سيرتهم، وجودة سريرتهم؛ ذلك أن الأنبياء أكثر الخلق بلاءً، فإذا أراد الله بعبد خيرًا أذاقه من البلية بِقَدر الموروث الذي استفاده من دعوة نبيه، وقد يكون الإنسان مغمورًا لا يعرف، فإن أوذي في الله أحبه الناس لِنُورٍ بوجهه لا يوصف!! فثبت عند ذوي الألباب أن الابتلاء وسيلة إعلامية ترفع سعر المغمورين من عباد الله تعالى!!

فهذا الإمام **مالك** يُبتلى في مسألة عَكَّرَت صَفْوَ أبي جعفر المنصور، فجلده ثمانين جلدة حتى خلعت يده اليمنى، فكان يحمل إحدى يديه بالأخرى، فقد ارتخت أعصابها من شدة الضرب والجلد!!

قال **الواقدي**: والله ما زال مالك بعدها في رفعةٍ وعُلُوٍّ، فَعَقَّبَ الذهبيُّ قائلاً: هذه والله

(١) ابن القيم/ مدارج السالكين (٢/ ١٥٨).

ثمرة المحنة المحمودة، فإنها ترفع العبد عند المؤمنين[١]!!

٤ـ إذا نضجوا جاءهم نصرنا:

إن نار البلاء محضنٌ تربوي، وتهذيبٌ أخوي، تَكْشِفُ عَن خبايا الأنفس فتزكيها، وتهيأ الأمة لتحمل التبعة فتؤديها[٢]، وإذا ما عظم لهيبها، واشتد حرها، وبلغ العذاب بالمؤمنين حدًا منكرًا، ثم ﴿إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠]!!

وما ذلك إلا لأن النار إن غَلَت بنا، كانت هذه قرينةً على نُضُوجِنَا، ألا ترى أن اللحم إن غلت به النار أدركت تَمام نُضُوجِه؟!! فقد تلبث الأمة عقودًا من الزمن تُعْرَضُ على النار، فإذا نَضجَت قَضَت عَلَى الباطلِ في ليلةٍ أو أقل، وهنيئًا لمن فقه عن الله سننه!!!

عاشرًا: البيان الختامي

أخي المبتلى..

إنَّ البَلِيَّةَ مِنَ الرحمنِ عَطِيَّة، وإلى رضوانه مَطِيَّة؛ إذ البلاءُ طريقةٌ مُحَمَّدِيَّة، تُرَشِّحُكَ لنيلِ العبودية، وإن أُدخِلْتَ الكِير خَرجتَ ذَهبًا، ولو سلبكَ الله شيئًا فَطالَمَا وَهبًا، بل أعطاك أجرًا كبيرًا وثوابًا طيبًا[٣]!! فَلِمَ الحزنُ والنار منذ أمد مُوقَدَةٌ؟ تُبَشِّرُ بنضوج الأفئدة، عندها يقذف بالحق على الباطلِ في أُمِّ رأسه فيدمغه، فإذا هو زاهق، إن الباطل كان زهوقًا!!

أخي عديم الصبر..

أناديك بصوت الإمام ابن القيم:

---

(١) الذهبي/ سير أعلام النبلاء (٨/ ٨١).

(٢) علي الشحود/ موسوعة فقه الابتلاء (٤/ ٢٣٧).

(٣) عائض القرني/ المقامات، المقامة الشفائية ص (١٧٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يا مُخَنَّث العزم أين أنت؟ طريقُنَا تَعِبَ فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورُمِيَ في النار الخليل، وأُضجع للذبح **إسماعيلُ**، وبيـع **يوسفُ** بثمن بخس، ولبث في السجن بضع سنيـن، ونُشِرَ بالمنشار زكرياء، وذُبِحَ السيـدُ الحصورُ يحيي، وقاسى الضُّرَّ أيوب، وزاد على الـمقـدار بكاءُ داودَ، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقرَ وأنواعَ الأذى محمد ﷺ، تُزهى أنت باللهو واللعب؟ لو عُفِيَ أحـدٌ من الابتلاء لعفى الله أنبياءه وأتباعهم وحوارييهم، فلا يزال الحال هكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٦٢]!!!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اسْتِمْطَارُ الأَرْزَاقِ بِالتَّصَدُّقِ وَالإِنْفَاقِ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أولاً: بطاقة تعريف

إِذَا افتَقَرَ العبدُ، أو ابتَغَى زِيادَةَ مَالِه، وَصَلاحَ بَالِه؛ فَعَلَيهِ بِالصَّدقَةِ، وَكَثرة النَّفَقةِ، فَإِنَّ اللهَ تَكَفَّلَ بِالنَّفقةِ عَلَيهِ، وَقَضَى لَهُ حَاجَاته، وَفَرَّجَ كُرُبَاتِه، وَيَسَّرَ حِسَابه، أَمَّا مَن بَخِلَ وَاستَغْنَى؛ لِئَلا يَقِلَّ مَاله، فَإِنَّهُ يَبقَى مُحتَاجًا، يَسأَلُ النَّاسَ سُبلاً فِجَاجًا، فَإِنْ تَعَامَلَ بِالرِّبَا لِزِيَادةِ مَالِه، تَعَرَّضَ للخِزْي وَفسَادِ حَالِه، وَمَحْقِ المَال، وَضَياعِهِ حَالاً بَعدَ حَال!!!

ثانيًا: نصوص الوحي تناديك

١ـ من أيقن بالخلف جاد بالعَطِيَّة[١]!!:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]

وقال تعالى:

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]!!

رسالة الآيتين:

إنَّ الله جلَّ وَعَلا يرزق المُتَصَدِّقَ عِوَضًا عَاجلاً في دنياه، وآجلاً في أُخراه، بِأَزْيَدَ مما أنفق، وأكثرَ مِمَّا تَصَدَّق، كَتِلكَ الحَبَّة التي تُلقَى في أرضٍ نَقِيَّةٍ؛ فَتَخرُج عُودًا يحمل سبعَ سَنابِلَ بهيَّة، وفي كل سنبلة مائة حبة؛ لِيُعَادل دِرهم العبد، في ميزان الرب [٧٠٠ درهم][٢]! وهذا تأويل قول الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]

---

(١) من كلام الحسن البصري، والمراد: أن من أيقن أجر الصدقة، وأن الله يعوض المتصدق أضعافًا كثيرة سهل عليه الإنفاق جدًا.

(٢) سيد طنطاوي/ تفسير الوسيط (١/ ٤٨٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهاك خبرًا عجبًا!!

مرت سنةُ قَحطٍ على المدينةِ النبوية، على عهد النبي ﷺ، وفي أحد أيامها دَوَّى صوتُ البشيرِ فيها قائلاً: إن قافلةً وَصَلَت، قوامها سبعمائة جمل، تحمل الحبوبَ والتُّمُورَ والزَّبِيبَ والثيابَ!!

وَسُرَّ الناس بِوُصولها، فسألوا عن صاحبها، فعرفوا أنها **لعبد الرحمن بن عوف** رضي الله عنه، فاجتمع تجار المدينة يبتاعونها، وقالوا لعبد الرحمن: نُضاعِفُ لكَ ثمنها، فنعطيك في الدرهم درهمًا!! فتكون نسبة الربح [١٠٠٪]!

فقال **عبد الرحمن**: لا؛ وجدت من زادني على ما أعطيتموني!!

قالوا: إذن نُعطِيك في الدرهم درهمين!! فتكون نسبة الربح [٢٠٠٪]! فقال: وجدت من زادني!!

قالوا: نعطيك في الدرهم ثلاثة دراهم!! فتكون نسبة الربح [٣٠٠٪]! فقال: وجدت من زادني!!

فقالوا والحيرة تُسَرْبِلُهُم: نحن تُجَّارُ المدينةِ، وَمَا زَادكَ أحدٌ!!

فقال: لا والذي نفسي بيده؛ لقد زادني اللهُ من فوق سبعِ سماوات، سبعمائة ضعفٍ إلى أضعافٍ كثيرةٍ، وذكر الآية!!! ثم قال:

أُشْهِدُكُم وأُشْهِدُ اللهَ وملائكتَهُ أنَّها في سبيل الله، لا يدخُلُ عليَّ منها دِرهَمٌ ولا دينار!!!

فَتَفَرَّقَ التجار، وأقبل الفقراء والمساكين يَقْتَسِمُونَ القافلة!!

وفي يوم تبوك تصدق ب [٢٠٠ أوقية من الذهب]، حتى هرع **عمر** رضي الله عنه إلى النبي ﷺ قائلاً: إني لا أرى **عبد الرحمن** إلا مُرتَكِبًا إِثمًا، فما ترك لأهله شيئًا!! فسأله النبي ﷺ: هل تركت لأهلك شيئًا يا **عبد الرحمن**؟ فقال: نعم يا رسول الله، تركت لهم أكثر مما أنفقتُ وأطيب!!

ولما ارتقى النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى وصل أزواجه بأربعين ألفًا[١]، كما أوصى أن تُبَاعَ حديقةٌ لِصَالِحِهن؛ وقد بِيعت بأربعمائة ألف[٢]!!

وَحَدَّثَ ولدُهُ طلحة قائلاً: كان أهل المدينة عيالاً عليه، فَثُلُثٌ يُقرِضُهُم مالَه، وَثُلُثٌ يَقضي دُيونَهم، وَثُلُثٌ يَصِلُهُم!!

هَذِه صَدَقَاتُهُ، فَهَل أَنْقَصَتْ مَالَهُ أَم زَادَتْهُ؟!!

إنَّ الله ضَاعف مالَهُ، وأصلح بالَه، وصَفَّى حَالَه، فلم تُلْهِهِ أمواله عن عبادة ربه، بل فَرَّ من الدنيا فأتتهُ رَاغمة إلى قدميه، حتى أن **عائشة** رضي الله عنها عاتبته يومًا في كثرة أمواله، وَذَكَّرَتْهُ بطول حسابِ الأغنياءِ يومِ القيامةِ، فَقَالَ لَهَا والحَزَنُ يَمْلأُ قلبَه:

وماذا أفعل يا **عائشة**؟!!

فَكُلَّمَا أنفقتُ عشرةً في الصباح، رزقني الله مائةً في المَساء!!!

ولَمَّا شَعَر بِقُربِ أَجلِه أوصى بإنفاق [٥٠ ألف دينار] في سبيل الله، ولكل من تَبَقَّى مِمَّن شَهِدَ بَدْرًا [٤٠٠ دينار]، وكانوا يومَهَا [١٠٠] فَأَخذُوهَا، ثُمَّ أوصى ب [١٠٠٠ فرس] في سبيل الله، وَخَلَّفَ ذَهَبًا كثيرًا كان يُقطَعُ بالفئوس، حتى تَوَرمَت أيدي الرِّجَالُ منه، وترك [١٠٠٠ بعير]، و [١٠٠ فرس]، و [٣٠٠٠ شاة] تُرعَى بِبَقِيعِ المدينةِ، وورثت كل واحدة من زوجاتِه الأربعة [٨٠ ألفًا][٣]!!!

نسائم الروح

إن الله جلَّ وَعَلا يَستحِثُّكَ لِتُقْرِضُهُ من مَالِك، وَهُوَ غنيٌّ تمامًا عنكَ..

---

(١) سنن الترمذي (٣/ ٢١٩)، وقال الألباني: حسن.

(٢) سنن الترمذي (٣/ ٢١٩)، وقال الألباني: صحيح.

(٣) مصطفى مراد/ الثلاثون المبشرون بالجنة ص (٧٣-٧٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فإنَّ اللهَ لم يسأل القَرضَ مِن عَدَمٍ، ولكن لِيَبْلُوَ الأخيارَ، وتُجْزَى الأعْمَال[١]!!

٢ـ يمحق الله الربا:

قال تعالى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢٧٦]

رسالة الآية:

إنَّ المُرَابِيَ مَمحُوقُ المَالِ، أي: يَضِيعُ حَالاً بعد حال، فلا يَفقِدُهُ جُملةً واحدة، وإنَّمَا يَتَسَلَّلُ لِوَاذًا وَخَرابًا دون أن يَشعُرَ، حتى يَضيعَ منه كُلِّيَّة كَأَنَّهُ مَقطوعٌ أَبتر[٢]!!

ومحق المال له أوجه، ألمعها وجهين، إليكهما:

الأول: رفعُ بركة المال، وإبطاله يوم القيامة، مع العذاب الأليم عليه والمهانة!!

يقول سيدُ قطب: إنَّ البركة ليست بضخامة الموارد المالية، بقدر ما هي في الاستمتاع الآمن بها، ولذا تجد البشرية في حرب أعصابٍ دائمةٍ، بخلاف المجتمع التكافلي؛ فإن السماحة والسعادة تجد لها فيه مرتعًا[٣]!!

ألا تلحظ أن الاقتصاد العالمي الذي تأسس على الربا يَتَرَنَّح اليوم؟!! ولهذا لا عجب أن تخرج مسيرة في بريطانيا تطالب بتفعيل نظام الزكاة الإسلامي في المجتمع الغربي!!!

قال الشيخ **محمد راتب النابلسي**:

زرتُ بَلدًا في شرقِ آسيا، لا يزيد سُكَّانُهُ عن [٢٣ مليونًا]، كانوا يسكنون الغابات قبل ربع قرن، أما اليوم فهم يُصَدِّرُونَ أعلى كمية صَادِرَات في العالم العربي كله، وفائض مالهم [٦٠ مليار دولار]، فلما نَقَّبْتُ عن السر عرفتُهُ؛ فإنَّ تأمينَهُم إسلامي، وبنوكهم إسلامية، ولا يوجد فوائد قط، أعطوا للاستثمارِ مَجالاً فَسيحًا، فِي الزِّراعَةِ والصناعة والتجارة،

(١) البيهقي/ شعب الإيمان (٣/ ٢٣٢).
(٢) تفسير الشعراوي (١/ ٧٦٨).
(٣) سيد قطب/ في ظلال القرآن (١/ ٣٠٩).

فَضَاعَف اللهُ أموالَهُم، وأغدقَ الرزقَ عليهِم، حتى أكلوا من فَوقِهِم، ومن تحتِ أَرجُلِهِم!!

وقد جاءَهُم قبلَ مُدَّةٍ شخصٌ كبيرٌ من أوروبا، فاقترح عليهم مُحاكَاة الغرب في نظام اقتصادهم، فقالوا له: ضعْ حِذاءكَ فِي فَمِك، ولا تَنْطِقُ إلا بما يَعنِيك، فإننا لا نُريد أن نطبق إلا شرعَ الله تعالى، وَطَرَدُوه!!!

والثاني: ما يلاقيه المُرابِي من الوساوس التي تُصيبُهُ في نفسه، وَتَتَهَدَّدُهُ في بيته، وتُشغِلُهُ وتَأسِرُه، حتى يُشغَلَ عن طعامه وشرابه وأهله وولده ورحمه، ثم ما يجده من خوفٍ على مالِهِ؛ فإنَّهُ عدوُ المحتاجين، وبغيضُ المَعُوزين؛ إذ يعتقدون أنَّ لهم حَقًا فِي مَالِه، فإنما هو لله في يده[١]!!

من فرائد الفوائد

ذيل الله آية مَحقِ الربا بقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾.

دلالة جلية على أن الرِّبا شعار الكُفْرِ وأهلِهِ، وأنَّ المُرابِيَ يَتَسَمُّ ببعضِ خلالهم وَصِفَاتِهم[٢]!!

٣ـ الصدقة منجاة وتركها مهلكة:

قال تعالى:

﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]

رسالة الآية:

إنَّ تَرْكَ النفقةِ في سبيل الله إلقاءٌ بالنفسِ إلى التهلكة، وهذا قَوْلُ حُذَيْفَةَ وَالْحَسَنِ وَقَتَادَةَ وَعَطَاء وَعِكْرِمَةَ[٣]!!

---

(١) محمد رشيد رضا/ تفسير المنار (٣/ ٨٤).

(٢) الطاهر بن عاشور/ التحرير والتنوير (٣/ ٩١).

(٣) تفسير البغوي (١/ ٢١٥).. وقال ابن عباس رضي الله عنه: أنفق في سبيل الله وإن لم يكن لك إلا سهم، ولا يقولن أحدكم إني لا أجد شيئًا، وهذا ما عناه مجاهد بقوله: لا يمنعكم من النفقة خشية الفقر والعيلة!!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَتَتَأَكَّدُ النفقةُ في الثَّغْرِ الجهادي؛ ذلك أنها جِهَادٌ مالي، وهو فرضٌ كَالجِهَاد البدني، بل إنَّ الجهاد لا يقوم إلا على سَاقِ النفقةِ، كَإعداد العُدَّةِ، وَصِنَاعةِ الأسلحة، فهي إذن روحُهُ، وفي تَركِهَا إبطالٌ له، فَكَان الفتور فيها من عَلائِم التهلكة[١].

ألا ترى أنَّ العَدُوَّ إن شَعَر بِعَجزِنَا هاجمنَا، وَفَتَنَنَا في ديننَا، أما لو رأى إعدادنَا؛ لخافَنَا وَهَابَنَا، فهل أدركت دور النفقة في ساحة النفير بعدُ يا أخي[٢]؟!!!

أخي..

إنَّ خَيراتِ النفقةِ لك، ألم تقرأ: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، فَمَالُكَ مَذخُورٌ لك، فَلِمَ تكونُ عدو نفسك؟!! أَيُرضِيك أنَّك مِنَ البُخَلاء؟!! ألم تقرأ: ﴿هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَـٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨]، فإنَّ اللهَ جَعَلَ البَخيلَ المُعْرِضَ عن النفقات من جُملةِ الفقراء!!

وإنَّ فَقْرَ البَخيلِ هَذا لا يُؤْجَرُ عليهِ!!

بل إنَّهُ يَعيشُ في مَحيَاهُ عَيشَ الفُقَراءِ، وَيُحاسَبُ في أُخراهُ حِسابَ الأغنياءِ!!

ثالثًا: من غيث الرسالة

١ـ حديث مشفوع بقسم:

أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**ثَلَاثٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنْ كُنْتُ لَحَالِفًا عَلَيْهِنَّ لَا يَنْقُصُ مَالٌ**

(١) تفسير السعدي ص (٩٠).
(٢) تفسير الشعراوي (١/ ٥١٠).

مِنْ صَدَقَةٍ فَتَصَدَّقُوا..»[١].

رسالة الحديث:

إنَّ العبدَ إن تَصَدَّقَ وأنفق، فَلَنْ يَنقُصَ من شيءٍ مِنَ المالِ قط!!

آهٍ يا غَافِلٍ!! آهٍ يا مُسلِم!! إنَّها رسالةٌ مَشفُوعَةٌ بِقَسم!!

والله لو أخبرنا نبينا ﷺ بِدُون قسم لصدقنا، ولآمنا وما شككنا، وكأني بالنبيِّ ﷺ يَسْتَشْرِفُ أن قلوبًا من أمته سَتَأْتِي لا تُصَدِّق كلامه من أول مرة، فَرَاحَ يُقسِمُ أنَّ من تصدق لن يَنقُصَ مالَه؛ ليكونوا أوثق بِوَعد ربهم، من مالهم الذي في جُيوبِهم!!

فهل بَقِيَ في فؤادك بعد القسم شكٌّ؟!! أم شَقَّ اليقينُ شِغَافَ قَلبِك؟!!

أما نبيُّنَا ﷺ أكثرُ الخلق يقينًا وإيمانًا، وأعظمُهم عطاءً وإحسانًا؛ فقد كان أجودُ الناسِ نفسًا وَيَدًا، يُعطِي عطاءَ من لا يخشى فقرًا أو شدةً، بل لَمَّا جاءه أُناسٌ من الأنصار أَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ[٢]، بل كان يُسرُّ كُلما أعطَى، ويتهللُ وجهُهُ فَرحًا كُلَّمَا جَاد!!

تــراهُ إذا مـــا جئتـه متهلـلاً ... كأنك تُعطيه الذي أنتَ سَائِلُه

فطعامُهُ مَبذُولٌ، وَكَفُّهُ مِدرار، فَلَم يضجُر من طالبٍ، ولم يرد سائلاً أو يقول له: ﴿لَا﴾، بل لما سأله سائلٌ ثوبَهُ الذي يلبسه أعطاه إياه!!

ما قال لا قط إلا في تَشَهُّـــدِهِ ... لَولا التَّشَهُّدُ كانت لاءَهُ نَعَـمُ

نسائم الروح

أخرج الترمذي في سننه بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً فتصدقوا منها،

---

(١) مسند أحمد، رقم الحديث: (١٦٧٤)، (٣/ ٢٠٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٨١٤).

(٢) صحيح البخاري، رقم الحديث: (١٤٦٩)، (١/ ٣٢٤)، صحيح مسلم، رقم الحديث: (٢٤٧١)، (٣/ ١٠٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«مَا بَقِيَ مِنْهَا؟ قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلاَّ كَتِفُهَا، قَالَ: بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا!!»(١).

فَمِيزَانُ العبد أن الصدقة ذَهبت، وَميزَانُ الربِّ أَنَّ الصدقة بَقِيت!!

أنت للمال إذا أمسكته وإذا أنفقته فالمَال لك

أخي..

إذا تقرر في ظلال غيث الرسالة المتقدم أن الصدقة لا تنقص المال؛ فإن الحديثين الآتيين يَشِيَان بزيادة تحصل، وإليك البيان:

٢- أنفق أُنفق عليك، فالصدقة شيء عجيب:

أخرج **البخاري** في صحيحه من حديث **أبي هريرة** رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله عز وجل: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ وَقَالَ: يَدُ اللَّهِ مَلْأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ**»(٢).

وأخرج **البخاري** في صحيحه من حديث **أبي هريرة** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ**(٣) **حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ**»(٤).

---

(١) سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٤٧٠)، ص (٥٥٦)، وقال الألباني: صحيح.

(٢) صحيح البخاري، رقم الحديث (٤٦٨٤)، (٢/ ٤٤٠).

(٣) الفلو: المهر الصغير إذا فُطِم.

(٤) صحيح البخاري، رقم الحديث: (١٤١٠)، (١/ ٣١٠-٣١١).

رسالة الحديثين:

إنَّك إن أنفقتَ؛ تَكَفَّلَ الله بالنفقة عليك، وإذا كانت نفقةُ العبدِ تُنَاسِبُ عُبودِيته؛ فإن نفقةَ الربِّ تُناسِبُ رُبوبيته!!! فإن اللهَ جلَّ وعلا يقبلُ صدقتك بيمينه، ويربيها لك؛ كما تربى فرسك، حتى يصبحَ درهمك الواحد؛ كجبل أحد، ولعلك تعلم أن قطره [٦٠٠٠ متر]، فكيف بباطنه وارتفاعه؟!!

أرأيت لو أن رئيس امبراطورية عقد اتفاقًا معك؛ بأن تعلم أولاده مقابل أن يتكفل نفقتك وأهلك؛ أنه سيعطيك أضعافًا مضاعفة على الأجر المقرر؟!!، فإذا كان هذا صُنعُ البشر للبشر؛ فَمَا ظنُّكَ بِصُنع رب البشر للبشر؟!!

وإليك ما يؤيد ذلك:

جاء مسكينٌ إلى **عَائشة** رضي الله عنها يَسأَلُهَا طَعامًا، وكانت صَائمة، وليس في بَيتها إلا رغيف، فقالت لمولاتها: أعطه إيَّاه! فقالت: ليس لكِ ما تُفطِرين عليه! فقالت: أعطه إيَّاه! ففعلت، فلما اقترب موعد الإفطار أُهْدِيَ لها شاة وكتفها، فدعت **عائشة** رضي الله عنها مولاتها، وقالت لها:

كُلِي مِن هَذَا، فَهَذَا خَيرٌ مِن رَغِيفِكِ[1]!!!

من فرائد الفوائد

إنَّ زِيادةَ مَال المتصدق أَمرٌ ثابتٌ ليس فيه لبس، وهذا ما تطمئن إليه النفس، فَنَحمِل النصوص على ظاهرها، فإن الله تعالى بكرمه وَجُودِهِ جَعَلَ الصدقةَ سَببًا شَرعيًا لِمُضاعفةِ المَال، ولا يتناقضُ هذا مَع حصولِ البركة؛ فإنها مُقدرةٌ أزلاً، لأننا إن لم نَقُل بِذَلك لَحَصَل الفُتورُ في الصدقةِ؛ فَيَختَلُّ المعنى الذي قَصَدَهُ النبيُّ ﷺ من المبالغةِ في تَرغيبِ الأمةِ فيها!!

والله تعالى أعلم،،

(١) الأثر منقطع، لكن يجوز الاستدلال به استشهادًا لا اعتقادًا، وفق الشروط التي ذكرها الفقهاء في جواز الاستدلال بالحديث الضعيف.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رابعًا: مآثر الأيام

١ـ السماء في خدمتك:

أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِفَلاَةٍ مِنَ الأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتاً فِي سَحَابَةٍ، اسْقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءهُ فِي حَرَّةٍ[١]، فَإِذَا شَرْجَةٌ[٢] مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَت ذَلِكَ الماءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ المَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الماءَ بِمِسحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللّهِ، ما اسمُكَ؟ قال: فُلانٌ للاسم الذي سَمِعَ فِي السَّحابةِ، فقال له: يا عبدَ اللّه، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوتاً فِي السَّحابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ، يقولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ لاسمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟! فَقَالَ: أَمَا إِذ قلتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثاً، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ»[٣].

رسالة المأثر:

إن الله جلَّ وعلا سَخَّرَ سماءَهُ في خدمة من أَنفق وتصدق، فَلَو عَقِلَ العبادُ سُنَّةَ ربهم؛ لأكلوا من فوقهم، ومن تحت أرجلهم، إلا أن الله تعالى أحاطَ الصدقةَ بِحِجَابٍ مِنَ المَكَارِه، وأسوارَ من الجَهل؛ لِيَصطفي اللهُ لَهَا مَن يشاءُ مِن عِبَادِه، واللهُ ذُو الفَضلِ العَظِيم!!

٢ـ أنفق درهمًا تأتيك أضعافٌ عشرة:

وإليك المأثر بلسان فارسه الشيخ سعيد بن مسفر، الذي قال:

---

(١) الحرة هي: الأرض الملبسة حجارة سوداء.

(٢) الشرجة هي: مسيل الماء.

(٣) صحيح مسلم، رقم الحديث (٧٦٦٤)، (٨/ ٢٢٢).

كُنتُ خارجًا من الحرم المكي في رمضان، عقب صلاة التراويح، مُتوجهًا إلى سيارتي، فرأيت سيارةً حديثةً فارهةً يَقُودُهَا رجلٌ يظهر أنه ذو مكانة، فَمَررتُ بجانبه؛ إذْ كان يمشِي بِبُطءٍ لِكَثرةِ الزِّحَام، فرآه رجلٌ فقيرٌ فقال له: أعطني لله! فأبى، وقال: رِزقُكَ على الله! فرد عليه الفقير قائلاً:

أعلمُ أنَّ رزقِي عَلَى الله، لكنِّي أردتُ أنْ أَختبِرَك؛ فإنَّ اللهَ ابتلانِي بِالفَقْرِ فَمَا صبرتُ، وابتلاكَ بِالغِنَى فَمَا أعطيت!!

عَايَنَت المشهد امرأةٌ أفريقية، كانت تبيعُ الحلوى بِجِوار الطَّريق، فآلمها ما رأت من الرجل؛ فقامت وأعطت المسكين ريالاً، أما صاحب السيارة فما إن مشى أمتارًا قليلة حتى تَأَثَّر، واستيقظ ضميره، فَفَتَحَ باب سيارته وبيده [١٠ ريالات]، وَعَاد لِيُعطِيَهَا للرجل، فَبَحثَ عنه فلم يَجِدْهُ، فأعطاها للمرأة الأفريقيَّة!!!

فقلت: لا إلــه إلا الله!! أَنْفَقَتِ المرأةُ ريــالاً؛ فأتتها عشرة حالاً، فهذا أعظم مجال استثماري، وصدق الرب إذ يقول: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ:٣٩][1]!!

٣ـ رجل لاحقته الأموال:

أسطر لك هذا المأثر العذب بلسان الشيخ أحمد القطان الذي قال:

خطبتُ الجمعة بمسجد الدوحةِ بالكويت، وشاء الله تعالى أن أَعِدَ إمام المسجد بزيارته عقب صلاة العشاء بمكتبة المسجد، فلما دخلت المسجد لاحظت في إحدى زواياه رجلاً أفغانيًا بملابسَ رَثَّةٍ؛ تَشِي بفقرهِ المُدْقِع!!

وأذهلني اجتماع ثلة من الأفغان حوله؛ كأن على رؤوسهم الطير، مما تَشْعُرُ معه أن الرَّجُلَ على درجة من الأهمية والمنزلة، فسألت الإمام عنه، فقال لي: هذا رجل من كبار

(١) دروس الشيخ سعيد بن مسفر (١٩/ ١٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المحسنين في أفغانستان، فَلَديه مزارع تفاح وعنب تعادل نصف مساحة الكويت، وعنده أحياء يملكها كلها!!

وأشهر أعماله الخيرية أنه أنشأ ديوانًا كبيرًا بعدما كثر ماله، ووضع فيه مكتبًا لِحَلِّ مشاكل الناس، فإذا رأى قبيلتين متشاجرتين قُتِلَ منهما؛ دفع الدِّيَّات وأصلح بينَهُم، وإن عَلِمَ بمسكينٍ أو يتيمٍ اشترى له بيتًا، وجعل له دابة يحلبها، فَشُغلُهُ في الليل والنهار خدمة الناس!!

فلما غزا الشيوعيون أفغانستان؛ دخلوا مدينة هيرات، فأحرقوا الأخضر واليابس، واستطاع الرجل أن يَفِرَّ بأهله، وبعضهم الآن ذهب للهند، وبعضهم لإيران، وبعضهم لباكستان، أما هو وابن له فقد هيأنا له إذنًا بدخول الكويت، ولكننا لم نَجِد من يَكْفَلُه؛ إذْ إننا فقراء، وأقرباؤه هنا فقراء، بل أكثرهم لا يملك إلا دينارًا أو دينارين!!

فقلت لإمام المسجد: أنا أكفله على أنه طَبَّاخ فِي الجوازات؛ فأخذته في اليوم التالي لمكان عمله، وأقرضته [٢٤٠ دينارًا]، وقلت له: إن تَيَسَّرَ أمرُكَ؛ فادفعها لمندوب المجاهدين تبرعًا!!

وراح فاشترى سيارة قديمة جدًا، وبعد ساعاتٍ أربعةٍ تعرض لحادث تهشمت السيارة كلها على إِثْرِه، وشاء الله تعالى أن يخرج سليمًا، فقال: فَتَّشْتُ جَيبِي فوجدت فيها [١٠٠ فلس] فأخذتني الحيرة، أأستقل سيارة لأصل بها لولدي، أم أشتري بها طعامًا لي وله؟!!!

ثم تَذَكَّرَ أني وكيل مدرسة؛ فجاءني دون أن يشكو حادثه أولاً، بل حدثني عن المجاهدين، وبينا نحن كذلك، شاء الله أن يَتَصِّلَ بي أحدُ الأثرياء، فقلت له: عندي رجل من وُجهاء أفغانستان ومُحسنيهم، والآن هو محتاج، ولديه خبرةٌ بالتجارة، فَرَحَّبَ به، وذهب إليه وَجَالسه، فخرج من عنده بقرض [١٠ آلاف دينار كويتي] في جلسةٍ واحدة!!!

فقلت له: كيف تمكنت من إقناعه؟ فقال: كلمته عن الكويت قديمًا، وذكرت له بعض

أسماء الناس الذين أعرفهم، فَوَثَقَ بِي، وأعطاني!!

وَبِلا تعقيدٍ وَضَعَ المال في جيبه ونزل إلى سوق الوُرَش وَقِطَع الغَيار، فوقف عند أحدهم، وقال له: معي [١٠ آلاف دينار]، أَتُشَارِكُنِي في تجارة قطع الغيار؟!!

فتهلل الرجل سرورًا، فوافق فورًا، ثم سأله: أي قطع غيار؟ قال: نبيع بطاريات!!

وما إن بدأ يبيع حتى أقبل الناس عليه بكثافة غير مسبوقة لجيرانه التجار، وخلال شهر ونصف ربح [٢٥ ألف]، فتعجب صاحب المحل، وعرض عليه شركته في كل المحل، فوافق، وقبل مضي سنة سد الآلاف العشرة، وأصبح من الأثرياء، وما هي إلا سنوات قليلة حتى افتتح عدة محلات ومخازن في شارع شويخ!!

واشترى بيتًا، و[٤] سيارات، وكان يحج ويعتمر كل سنة، وعاد يُجْرِي صدقته على المجاهدين والأيتام والأرامل والمساكين من جديد!!

وأصبح ماله يتكاثر زيادة كَالجَرَاد؛ جزاء صدقته وإحسانه، ولو أن أي إنسان حاول محاولته لما كان له مثله؛ فإنِّي ما زلتُ وكيل مدرسة ولم أتغير، وإمام المسجد لم يتغير، وأقرباؤه الفقراء الذين كان يجمعون له المال لم يتغيروا، ولكنها سنة الله تعالى التي تكافئ المتصدقين بكثرة أموالهم، وزيادتها، ونمائِها[(١)]!!!

خامسًا: ذخيرة الأسرار

١ـ جواد يحب الجود ويكرم أهله:

إن الله كريم يحب الكرماء، جواد يحب أهل الجود، وقد جاءَ في مصنف ابن أبي شيبة بسندٍ صحيحٍ من رِوايةِ طلحةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ «**إنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُود،**

(١) خالد الزهراني/ أخبار المُنفقين ص (٣٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الأَخْلاَقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»[١].

فمن اقتدى بِمُقتَضَى صِفةٍ من صفاته أَغْدَقَ عليهِ بِمَا يُناسِبُهَا، فَمَن جَادَ على إِخوانِهِ؛ جَادَ اللهُ تعالى عليه، فضلاً عما يزرعه في قلبه من السعادة؛ ذلك أنه أَسْعَدَ عِبَادَه، فمن أَسْعَدَ الخلقَ، أَسْعَدَهُ الخالقُ سبحانه!!

نسائم الروح

قال **أبو الدرداء** رضي الله عنه: من كَان له كَنْزٌ فَليَكْنِزْهُ في السماء؛ فإنَّ القلب معلقٌ بالكنز!!

فَقَلبُكَ مُعَلَّقٌ بِمَالك، وَمَالُكَ عندَ الله؛ فَيَبْقَى قَلبُكَ مُعَلَّقٌ دَومًا بِالله!!!

٢ـ تأتي الأرزاق على قدر الملمات:

إن الله يرزقُ العبدَ بِقَدْرِ نفقتِه، فمن أَكثر أُكثِرَ لَه، ومن أَقَلَّ أُقِل له!! ولذا قيل قديمًا: إن المَعُونةَ تَنزِلُ من السماء على قَدرِ المؤونة!!

ولعل هذا هو سِرُّ توفيق الله تعالى لأهل الصدقة في تلبية حاجات إخوانهم وسائليهم، أما من اعتاد هجران الصدقة؛ فإنَّ رزقَهُ لا يُجاوز قضاء حاجة نفسه، وهذا سِرٌ دقيقٌ فتأمله!!

سادسًا: بشائر العافية

١ـ عمارة الآخرة أحب إليه!!

من آثَرَ أُخراهُ على دنيــاه؛ خَرَجَت صدقتُــهُ دُون مُعَانَاة، وعــدَّ الســائل نعمةً عليه من الله عز وجل!!

(١) ابن أبي شيبة/ المصنف، رقم الحديث: (٢٧١٤٩)، (١٣/ ٥٥٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم: (١٨٠٠) (١/ ٣٧٠).

فإن سألتني: هل عمارة الآخرة أحبُّ إليَّ فأنا من أهلها، أم عمارة الدنيا فأنا من أربابها؟!!

أجبتك مستعيرًا قاعدة الإمام **علي** رضي الله عنه؛ فإنها قاعدة ضابطة جاء فيها:

هَبْ أنه دخل عليك شخصٌ بِهَدِيَّةٍ، وآخر يطلب منك صَدَقةً فلأيِّهما تَبَشُّ؟ إنْ كنت تَبُشُّ لِصَاحبِ الهدية فأنت من أهلِ الدُّنيَا، وإن كنت تَبَشُّ لِطَالب الصدقة فأنت من أهل الآخرة!!!

وإني لأحسب شيخ الإسلام **الفضيل بن عياض** مِمَّن آثَرَ الآخرة على الأولى؛ فإنه لما جاءه سائلٌ يسأله مالاً، وألحَّ عليه؛ تَدَخَّلَ **فيضُ بن إسحاق** قائلاً له: يا هذا لا تُؤذِ الشيخ!! فَزَجَرَهُ الفضيلُ قائلاً له:

إيَّاك أن تَمَلَّ النعمة فَتَحِلَّ النِّقمَة!!

أما عَلِمْتَ أنَّ حَوائِجَ الناس إليكم؛ نِعمٌ من الله عليكُم؟!!

أَلَا تحمدُ الله الذي جعلك مَوضِعًا تُسأَل، ولم يجعلك مَوضِعًا تَسْأَل[1]؟!!

وقد ألفيت ابن دريد يرجز هذا المعنى شعرًا بقوله:

لا تدخلنك ضجرة من سائل فلخير دهرك أن تُرى مسئولا

لا تجبهنْ بالردِّ وجـه مُـؤَمِّل فبقاء عزك أن تُـرى مأمـولا

أخي..

إنَّ السائِلَ يُصلِحُ لك ما بينك وبين الله، وأنت تُصْلِحُ دُنياه، ولذا؛ لما اتَّخَذَ الصالحُونَ سَائليهِم مِعْرَاجًا إلى ربِّهم؛ رأينا ثلةً منهم تجعل المال بِيَدِهَا، وتدعو الفقير لتناولها؛ لتكون يدُ الفقيرِ هي العُليا، ويد المتصدقِ هي السُّفلى[2]!!

(١) ابن كثير/ تلخيص كتاب الاستغاثة (١/ ٢٢٣).

(٢) ذكر فعل بعض الصالحين الشيخ خالد أبو شادي/ صفقات رابحة ص (١٤٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢ـ نفع الناس مقدم لديه!!

إن الله جلَّ وعلا يَصطَفِي من كلِّ قريةٍ من يتصدى لأجرِ منفعة أهلها، وخدمة سكانها، وهذا ثغرٌ بحاجة لفقيهٍ فَذٍّ **كابن عباس** ﷺ، الذي آثر خرق الاعتكاف لإنجاز حاجة أحد الناس، ولما عوتب أجاب قائلاً:

«والله لأن أمشي مع أخ في حاجته خير لي من صيام شهر، واعتكافه في مسجدي هذا»!!!

ولهذه القصة أختٌ عند عائشة ل؛ فإنها آثرت غيرها عليها، وإليك خبرها على لسان مولاتها:

منَّ الله تعالى على **عائشة** ﷺ بعطاءٍ مالي أرسله **محمد بن المنكدر**؛ قدره [٨٠ ألف درهم]، فدعت **عائشة** ﷺ بِطَبَقٍ، وهي يومئذ صائمة في يومٍ شديد الحر، فَوَزَّعت المبلغ كله في مجلسها، فأمست وما عندها منه شيء، وَبِحُلُولِ المغرب قالت لمولاتها: هَلُمِّي فُطُورِي!! فجاءتها بِخُبزٍ وَزَيتٍ، وقالت لها: لو أَمْسَكْتِ شيئًا ممَّا أنفقْتِيهِ اليوم؛ لاشترينا به لَحمًا وَأَفْطَرنَا عليه، فقالت **عائشةُ** ﷺ: لو ذكرتيني لفعلت!!!

سابعًا: مراقي الصعود

١ـ لا ترد سائلاً بل بادر إليه!!:

إذا رَجَا العبدُ ربه ألا يرد حاجاته ومسائله؛ فعليه ألا يرد حاجة سائله، كَضَرِيبةٍ يُقدِّمُهَا لِنَيلِ مَطَالِبِه!!

فهذا رجلٌ مَدِينٌ يأتي للإمام **عبد الله بن المبارك**؛ فسأله أن يقضي عنه دينًا، فأعطاه ابن المبارك كتابًا لوكيله المالي، فسأله الوكيل عن المبلغ الذي طلبه من الإمام؛ فقال الفقير [٧٠٠ درهم] فكتب الوكيل لإمامه: إن الرجل سألك أن تقضي عنه [٧٠٠ درهم] وإنك

كَتَبْتَ له [٧٠٠٠ درهم] وسوف يَفْنَى المَال!! فكتب إليه **ابن المبارك** قائلاً:

إن كان المالُ فَنِي؛ فَإِنَّ العُمْرَ أيضًا قَد فَنِي، فَأَجِزْ لَهُ مَا سَبَقَ بِهِ قَلَمِي[١]!!!

وقد أفاد كُتَّابُ السِّيَرِ أن سعدَ بن عبادة ﷺ كان يتصدق كل ليلة على [٨٠ صحابيًا] من أهل الصفة، الذين أوقفوا أيامهم على الجهاد في سبيل الله، فكان يُعَشِّيهِم وَيُكْرِمُهُم دون أن يَسأَلُوه!!

فخرج الشبلُ من ذَاكَ الأسد؛ فإنَّها ذُرِيَّةٌ بعضُها من بعض!!

فقد مرض ولده قيس ﷺ يومًا؛ فاستبطأ إخوانَه في الزيارة، فسأل عنهم، فقيل له: إنهم كانوا يستحيون مما لك عليهم من الدين، فقال: أخزى الله مالاً يمنع الإخوان من الزيارة، ثم أمر مناديًا ينادي: من كان **لِقَيسٍ** عليه مَال فَهُوَ مِنْه في حِلٍّ، فما أمسَى حتى كُسِرَت عتبَةُ بَابِه مِن كَثرةِ من عَادَه!!!

وقد عدَّ الإمام **الشافعي** اعتذاره من سائله إن لم يجد ما يعطيه مصيبة وبلية؛ فألفيته يقول:

يا لـهـــف نفسي على مـــال أفرقـه ... على المقلين مـن أهل الـمـــروءات

إن اعتذاري إلى من جاء يسألنـــي ... ما ليس عندي من إحدى المصيبات

ولذا قال ناصيف اليازجي فأحسن القول:

إن الكريم الذي لا مال فـي يـده ... مثل الشجاع الذي في كفـه شلل

والمال مثل الحصى ما دام في يـدنا ... فليـس ينفع إلا حيـن ينتقـل[٢]

٢ـ معرفة أجور الأعمال:

قالوا قديمًا: مَن عَرَفَ أُجورَ الأعمالِ؛ هَانَت عليهِ فِي كُلِّ الأَحْوَال!!!

(١) الخطيب البغدادي/ تاريخ بغداد (١٠/ ١٥٩).

(٢) خالد الزهراني/ أخبار المنفقين ص (١٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إذا اتخذ العبدُ صدقَتَهُ سبيلاً إلى ربه، مُستشعرًا ثوابَهُ وأَجرَه؛ تَصَدَّقَ كما يَتَنَفَّس، دون أن يخاف فقرًا أو يَتوجس!! ولهذا لما جاء **عثمان بن عفان** رضي الله عنه بسبعمائة ألف درهم إلى **طلحة بن عبيد الله** رضي الله عنه ثمن أرض اشتراها منه قال **طلحة** رضي الله عنه: إن رجلاً تبيتُ هذه في بيته، لا يَدري ما يَطرقهُ من أَمْرِ الله؛ لضريرٌ بالله! فَبَاتَ ليلتَهُ ورسلُهُ في سكك المدينة توزع ماله حتى أسحر وما عنده منها درهم!!

أما إن غابت شمس الأجور عن سماء الغَنِيِّ جاءه الشيطان واعظًا، وقال له: إنك أحوج للمال، والأيام تتقلب، وفي عمرك سِعَةٌ وَبَقِيَّة، وقد تَصِلُ الصدقةُ أو لا، وهل يستقيمُ أن يَستَحوِذَ فقيرٌ على مَالٍ تَعبْتَ في تحصيله؟!! فَتَمُرُّ الأيامُ، وتُقطَعُ الأعوام، ويدُ صاحبنا مغلولةٌ إلى عُنُقِهِ، وهذا وربي خذلانٌ وحرمان!!!

نسائم الروح

قال **الحسن البصري** رحمه الله تعالى:

«لَو شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُم أَغْنِيَاء لَا فَقِير بَينكُم، وَلَكِنَّهُ ابتلى بَعضَكُم بِبَعض»!!!

٣ـ فك قيدك:

إنَّ دائرةَ التوبة متفاوتةٌ بين البشر؛ فَتَوبةُ المتثاقل عن الجهاد إنما تكون بإعلانِ جهاده، وتوبةُ العالِمِ الفاتر بِبَثِّ علمه، وكذا توبة الذي آتاه الله مالاً؛ فإنها لا تُبرمُ بِرَكعتين والناس نيام، ولكن بإخراج النفقة، وإعلان الصدقة؛ فإن المال مال الله، وقد وضع يدك عليه!!

الله أعطـــاك فابـــذل مـن عطيتـه ... فالمال عـــاريّـة والعمْـر رحَّـــالُ

المال كالماء إنْ تحبس سواقِيَـه يأسـن ... وإن يجرِ يعـــذب منـــه سلسالُ

أخي..

إنك إن ذهبتَ من الدنيا تركتَ مالك كله، ثم تُحاسب عليه كُلِّه، ولذا؛ فإنَّ المُتَصدق

أَحوجُ لأجرِ صدقتِهِ من افتقار الفقير لها، وهذا ما عناه الشعبي بقوله:

«مَن لم يرَ نفسه إلى ثواب الصدقة أحوج من الفقير إلى صدقته، فقد أبطل صدقته، وضرب بها وجهه»!!

وإنَّ العبد الموفق الذي يفني ماله قبل فناء عُمُرِه، فإن جَالستَهُ ألفيتَهُ لا يَخشَى المسكنةَ والفقر، بل لَكَأَنَّهُ مالك كنوز البحر، ولآلئ البَر، بل إنه يتمنى ألَّو خَرج عَن مالِهِ كُلِّه، بل يُخاطِبُ نفسَهُ وأهلَهُ بقوله: الثيابُ على غيرنَا؛ أحسنُ منهَا على أنفسنا، والدواب عند من سِوَانَا؛ أفضلُ منها عندنَا!!!

فهذا مُثابٌ مَأجُورٌ، وسعيُهُ مشكورٌ، وإنه من أهل الدُّثُور؛ الذين ذهبوا بِعَظَائِم الأُجُور[١]، وقد وعظ النبي ﷺ بلالًا رضي الله عنه بقوله:

«أَنْفِقْ يَا بِلاَلُ، وَلاَ تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلاَلاً»[٢]!!!

أنفق ولا تخش إقلالاً فقد قسمت ... على العباد من الرحمـــن أرزاق

لا ينفع البخل مع دنيـــا مولية ... ولا يضـــر مـع الإقبـال إنفـاق

نسائم الروح

قضى **ابن شبرمة** حاجة أخٍ له؛ فَجَاءَهُ بِهَدِيَّةٍ، فقال له **ابن شبرمة**:

خذ مالك عافاك الله؛ فإنك إن سألت أخاك حاجةً، فَلَم يُجْهِد نفسَهُ في قضَائِهَا؛ فَتوضأ للصلاة، وكَبِّر عليهِ تكبيراتٍ أربعةٍ، واعددْهُ من جُملةِ الأموات!!!

---

(١) د. عائض القرني/ المقامات، المقامة التجارية ص (١٥٦).

(٢) الألباني/ صحيح الترغيب والترهيب للمنذري، رقم الحديث: (٩٢١)، (١/ ٢٢٤)، وقال الألباني: صحيح لغيره.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثامنًا: إشارة حمراء

١ـ المال أنت أمينه لا صاحبه:

قال تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور: ٣٣]

رسالة الآية:

إنَّ جهلَ العبدِ بقانون التَّمَلُّكِ المَالي يَبُثُّ في مُعتقَدِهِ أنَّ المالَ مالُه، والمتاعَ متاعُه، وغَفِلَ أنه لله لكنه تحت تَصَرُّفِهِ، ولله در الأعرابي الذي سئل عن قطيع إبله يومًا: لمن هذه الإبل؟ فأجاب في أبلغ قول قائلاً:

«لِلَّـهِ فِـيْ يَـدَيْ»!!!

فإن الله جلَّ وعلا أتى بك إلى الدنيا فقيرًا، وَسَتَخْرُجُ منها فقيرًا، وإنَّهُ استخلفَك فيما بينهما بِمَالٍ أعطاهُ لك؛ لِتَضَعَ عليه يَدَك، فإنَّه ليس لك، بل لِمَالِكِك، ثم طلبك منه قرضًا له لينفَعَك، فقال: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد:٧] فهل تبخل وتقول: لا؟!! أم تُقرِض ربَّك المالَ وصاحبَهُ؟!!

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يومًا أن ترد الودائع

أخي..

هب أنني أَعَرْتُكَ مَركبةً لِي، وطلبتُ إليكَ أن تَنقُلَ أصحابًا لي بها إلى بيتي، أَتُبَادِرُ فورًا شُكْرًا لِي، أم تَتَمَنَّع وربما تَشتُمُنِي؟!! وإن الله جلَّ جلاله أعطاك مالاً كثيرًا، واستقرضك منه قليلاً، لينفعك إن قدمت عليه يومًا حسيرًا فقيرًا ذليلاً، فَلِمَ الشُّحُّ إذن؟!!!

أخرج **أبو داود** في سننه بسند صحيح من حديث **عبد الله بن عمرو** رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «**إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ، أَمَرَهُمْ**

بِالْبُخْلِ فَبَخَلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا»(١)!!

نسائم الروح

كان **عبد الرحمن بن عوف** رضي الله عنه يطوف بالبيت، ويدعو بقوله: رب قِنِي شُحَّ نفسِي!! وليس له دأبٌ غيرها، فقيل له: أما تدعو بغير هذه الدعوة؟!! فقال: إذا وقيت شُحِّ نفسي فقد أفلَحْتُ، يتأول قول الله تعالى:

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩](٢)!!

٢ـ يا تارك الزكاة:

إن الزكاةَ وَاجِبَةٌ، يُثابُ فاعلها، ويأثم تاركُها، فإن أداها العبدُ تَمَّهَا الله له حتى تُصبِحَ كَالجَبَل، وإن مَنَعَهَا فَشُؤْمٌ يلحقُهُ في دُنياه، وعذابًا في أُخْرَاه!!

أما شؤم الدنيا فَكَالذِّي أخرجه **ابن ماجه** بسند حسن من حديث **ابن عمر** رضي الله عنهما قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «**يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ! وعدَّ منها: «وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا**»(٣)!!

أما عذابُ الآخرة فَكَالذِّي أخرجَهُ مُسلِمٌ في صحيحِهِ من حديثِ **أبـي ذر** رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ وَلَا بَقَرٍ وَلَا غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهَا إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْظَمَ مَا كَانَتْ وَأَسْمَنَهُ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا كُلَّمَا نَفِدَتْ أُخْرَاهَا عَادَتْ عَلَيْهِ أُولَاهَا حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ**»(٤)!!

---

(١) سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٦٩٨)، ص (٢٦٢)، وقال الألباني: صحيح.
(٢) ابن القيم/ الوابل الصيب ص (٤٩).
(٣) سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٤٠١٩)، ص (٦٦٤)، وقال الألباني: حسن.
(٤) صحيح مسلم، رقم الحديث: (٢٣٤٧)، (٣/ ٧٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رسالة الحديثين:

إن مَالَكَ إمَّا لَكَ وإما عليك، فإن أديت حقَّهُ كان صَاحبك، وإن تمنعت كَان عَدُوَّكَ وخَصمَك، وإن لك منه كل إهانة في دُنياك، وَطَرَفًا من العذابِ فِي أُخْرَاك، فَثَبتَ أنَّ العَقْلَ كل العقل فيمن اتخذ ماله سبيلاً كريمًا إلى ربه سبحانه وتعالى!!!

٣ـ لا يكنْ أحدٌ أهمَّ إليك من نفسك!!:

أخرج **البخاري** في صحيحه من حديث **عبد الله** رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ: فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ**»(١).

وأخرج **مسلم** في صحيحه من حديث **عبد الله بن الشخير** رضي الله عنه قال: أَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ قَالَ: «**يَقُولُ ابْنَ آدَمَ: مَالِي مَالِي، مَا لَكَ مِنْ مَالٍ إِلا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ**»(٢).

رسالة الحديثين:

إنَّ المَالَ يَتَنَقَّلُ بين الإنسان وَوَرثَتِه، فَأَيُّهُم أنفقَ مِنْهُ كانت ملكيةُ المالِ المُنفَقِ باسمِه، وإنَّ المُوَفَّقَ مِن العبادِ الذي يُؤثِرُ نفسَهُ عن ورثته، وإلا انتقل ماله إليهم عند موته، مُعلِنًا رِضَاهُ أم شَاهِرًا سخطَه، وقد وعظنا **ابن مسعود** قائلاً: دِرهَمٌ يُنفِقُهُ أحدُكم فِي صِحَتِّهِ؛ أفضلُ من مائةِ دِرهَمٍ يُوصِي بِهَا!!

ولذا لما جاء رجلٌ يسألُ النبيَّ ﷺ عن ماله كيف يتصدق فيه؟ فقال له النبي ﷺ: «**نَعَمْ وَاللَّهِ لَتُنَبَّأَنَّ أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَأْمُلُ الْعَيْشَ وَتَخَافُ الْفَقْرَ وَلَا تُمْهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ نَفْسُكَ هَا هُنَا قُلْتَ مَالِي لِفُلَانٍ وَمَالِي لِفُلَانٍ وَهُوَ لَهُمْ وَإِنْ**

(١) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٦٤٤٢)، (٣/ ٢٣٤).
(٢) صحيح مسلم، رقم الحديث: (٧٦٠٩)، (٨/ ٢١١).

كَرِهْتَ»[١].

وإليك قصة أعظك بها على لسان الشيخ **سعيد بن مسفر** الذي قال:

منَّ الله تعالى على أحد سكان مكة؛ فجاءته [١٠٠ مليون ريال] تعويضات؛ فوضعها مباشرة في البنك، دون أن يُنفِقَ منها رِيالاً واحدًا، بل كان من بُخْلِه لا يمشى إلا في حِذَاءٍ قديمٍ جدًا مَوسُوم ب [الشبشب]، ولم يعبأ بنفقات نفسه وأولاده، وفي كل ليلة يتصل بالبنك يسأله: كم الرصيد والأسعار؟!! وشاء الله أن يموت والحال على ذلك، وإذا بأولاده الستة يرقصون طربًا من الفرح؛ ذلك أن حَجَرَ العَثرةِ ذهب من طريقهم، وكم دعوا ربهم أن يُمِيتَ والدهم!!!

فما إن انتَهَى العزاءُ حتى جمعوا أموال أبيهم، وقسموها على أنفسهم، واشتروا [٦] سيارات «مرسيدس بنز» كل واحدة بـ [٣٠٠ ألف ريال]، وسكنوا بِعِمَارةٍ فخمةٍ بالعزيزية، فلما جاء عمُّهُم من الطائف وَعَايَنَ مسكنَهُم وسياراتهم الحديثة قال لهم: ما هذا يا أولاد؟!! قالوا: اسكت يا عم؛ لقد وَلَّى عهدُ أبي شِبشِب!!!

فهل تتخيل أنَّ هؤلاء سيكون لهم قدَم صدقٍ في النفقات؟!! بل لو تكلموا لقالوا: لو كان في أبينا خير لأنفق هو، أفننفق عنه نحن؟!!

نسائم الروح

باع **عبد الله بن عبد الله بن عتبة** أرضاً له بـ [٨٠ ألفاً]، فقيل له: لو اتَّخَذْتَ لِوَلَدِكَ من هذا المال! فقال:

أنَا أَجعلُ اللهَ ذُخرًا لِوَلَدِي من بَعدِي، وأجعلُ هذا المالَ ذُخرًا لي عند الله!!

وقسَّم المالَ عَلَى الفُقراء!!

(١) سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٢٧٠٦)، ص (٤٥٩-٤٦٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤ـ إياك ومكيدة الشيطان!!:

أخرج الإمام **أحمد** في مسنده من حديث **بريدة** رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا يُخْرِجُ رَجُلٌ شَيْئًا مِنَ الصَّدَقَةِ حَتَّى يَفُكَّ عَنْهَا لَحْيَىْ سَبْعِينَ شَيْطَانًا**»(١).

رسالة الحديث:

إن صدقتك تَدْحَرُ بِهَا الشياطين؛ ذلك أنَّ مَقصُودَ الصدقة مَرضاةُ ربِّ العالمين، فَتَجتَهد الشياطينُ في صَدِّكَ عن رتبتك هذه، فإن أخرجتها كانت دلالة جَلِيَّة على استقامتك، وَصِدق نِيَّتِكَ، وَجَودةِ طَوِيَّتِكَ(٢)!!

نصحٌ أخوي:

إذا ابتغيت التَّصَدُّق، واجتاحَكَ الوسواس الشيطاني يَصُدُّك؛ فَأَنْفق ضِعف ما ابتغيتَ التَّصَدُّقَ بِه؛ فإنَّه لن يعودَ إليك، بَل سَيَفِرُّ مِنكَ!!

تاسعًا: سحائب المنن الإلهية

١ـ لا خوف عليك ولا حزن!!!:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٤]

رسالة الآية:

إنَّ من أنفق من ماله؛ وسعى في نَفْعِ عيالِه، ومنفعة الخلق، فتصدق عليهم وأنفق؛ فبشره بِزَوَالِ هَمِّهِ، وذَهاب غَمِّه، فَلا خوفٌ عليهم من أنفسهم أو غيرهم، ولا حَزَنٌ ينالهم عند

(١) مسند أحمد، رقم الحديث: (٢٢٩٦٢)، (٣٨/ ٦٠)، وقال الألباني: صحيح، كما في صحيح الجامع برقم: (٥٨١٤).
(٢) المناوي/ فيض القدير (٥/ ٦٤٤).

مُعاينة أجرهم!!

فقد أوردَ المنذري في ترغيبه وترهيبه بسند حسن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إنَّ المَيِّتَ إذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ.. يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، فَيَقُولُ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ وَالْمَعْرُوفُ وَالإِحْسَانُ إِلَى النَّاسِ: لَيْسَ مِنْ قِبَلِي مَدْخَلٌ**»(١)!!

وأورد المنذري أيضًا بسند صحيح من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الآخِرَةِ، وَأَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الآخِرَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ أَهْلُ المَعْرُوفِ**»(٢).

نسائم الروح

قال **عبد العزيز بن عمير**:

الصلاةُ تُبَلِّغُكَ نصفَ الطريق، والصوم يُبَلِّغُكَ بابَ المَلِك، والصدقةَ تُدخِلُكَ عَليه!!

٢ـ لَكَ من المال أضعافٌ مضاعفة!!:

إن الصدقة وسيلةٌ شرعية لجمع المال، وصَفَاء البال، وقضاء الحاجات، وَحَلِّ الأزمات، وإنَّ مَنِ اختَصَّهُم اللهُ بالفَهمِ والمَعرفة؛ فَهِمُوا أن مال الصدقة لا تلحقه آفةٌ، ولا تمسه عَاهَةٌ، بل يُضاعَفُ كل ساعة(٣)!!

وقد حدثني من أثق بقوله أنه لما سمع بأن الله يعوض المتصدق بعشرة أضعاف صدقته أنه تصدق ب[١٠٠ دولار]، وكان صاحبي من عُسْرِ الحال بِمَكان، فأقسم لي أن الله رزقه [١٠٠٠ دولار] وصلته عبر دفعات خلال شهرين فقط، ومن حيثُ لا يَحتسب!!

---

(١) المنذري/ الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (٥٤٠٠)، (٤/ ٢٠٠)، وقال الألباني: حسن.. وقد أفاد بقية الحديث أن الصلاة تحرس الرأس، والزكاة تحرس الميمنة، والصوم يحرس الميسرة، وتتولى الصدقة حراسة القدمين!!

(٢) المنذري/ الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (١٣١٩)، (٢/ ١٦)، وقال الألباني: حسن.

(٣) ابن حجر/ فتح الباري (١٣/ ١٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وحدثني آخر قائلاً: تصدقت بمبلغ عقب صلاة الجمعة مباشرة، مع شدة حاجتي للمبلغ الذي تصدقت به، فقلت في نفسي: كيف سيعوضني الله خيرًا من مالي وأنا مشغول لا ألتقي الناس هذه الفترة؟!! فَعُدْتَ إلى بيتي عصر اليوم نفسه فَوَجَدْتُّ بعض أرحامي من أودع أهلي هدية مالية لي، فلما عددتها وجدتها عشرة أضعاف المبلغ الذي أنفقْتُهُ قبلَ ساعات!!!

٣ـ خاتمة ترضي العبد، وصدقة تطفئ غضب الرب:

أخرج **ابن أبي الدنيا** بسند صحيح من حديث **ابن عباس** رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**عَلَيْكُمْ بِاصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهُ يَمْنَعُ مَصَارِعَ السُّوءِ، وَعَلَيْكُمْ بِصَدَقَةِ السِّرِّ؛ فَإِنَّهَا تُطْفِئُ غَضَبَ الربِّ** عز وجل»[(١)].

رسالة الحديث:

إن من ابتغى رضا الله عنه، والنجاة من غضبه عليه، وأن يسعد بِخَاتِمَةٍ حسنة، فَعَلَيهِ باصطناع المعروف، وكثرة الصدقة، وقد فَطِنَ **محمدُ بنُ الحنفية** لذلك فقال جازمًا:

صَانِعُ المَعرُوفِ لا يَقَعُ، وَلَو وَقَعَ لا يَنْكَسِر!!!

قال **النابلسي**: كنتُ في تعزيةِ أحد إخواننا، وجلس بجواري أحد علماء دمشق، فلما خرج أوصله شاب بِمَركبته إلى بيته، والعجيب أنه لا يعرفه، فما إن وصل الشيخ إلى بيته في الطابق الرابع، وخلع جُبَّتَهُ، واستلقى على فراشه، وإذا بالروح تصعد لباريها!!

فهذا لو مات قبل دقائق ماشيًا في الطريق؛ لكان أمر شاقًا على النفس، لكنَّ اللهَ تعالى وَقَاهُ مَصَارِعَ السوء، بعد أن قَيَّضَ له من يُوصِلُه؛ ليموتَ مُعززًا مُكرمًا في بيته!!!

(١) ابن أبي الدنيا/ قضاء الحوائج ص (٢٥)، وقال الألباني: صحيح، كما في صحيح الجامع، برقم: (٧٥٠٠).

٤ـ وشفاء من كل داء:

حدثني أحدُ أعلام العمل الخيري في قطاع غزة، أن أحد الخَيِّرِينَ من مدينة خان يونس قام بِكَفالة يتيمٍ على هيئةِ مبلغٍ ماليٍّ يصلهُ شهريًا، وقد ابتدأه قبل سنواتٍ ستة، وقدر الله تعالى أن يُصاب ولدُه بِسَرطان الدم قبل عدة سنوات، فذهب إلى أطباء غزة، وإلى الخارج، ولكن بلا جدوى!!

ثم إنه جاءني قبل ستة أشهر، وتحديدًا في مطلع عام [٢٠١١م] وتكفل يتيمًا آخر؛ بِنِيَّةِ شفاءِ ولدِه، واستجابة لحديث النبي ﷺ: «**دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ**»(١)، فيقول: والله لقد شُفِيَ الولدُ الآن تمامًا قبل مضى ستة أشهر عليه، حتى ذُهِلَ كلُّ الأطباءِ الذين عالجوه!! وشكرًا لله تعالى جاءني وتكفل يتيمًا ثالثًا!!

وقال لي: والله إني لأعيش الآن بِسَعادةٍ وبركةِ مال، ورزقني ربي بأولاد حفظوا كتاب الله تعالى، وقد زارني في البيت قبل أيام، وقال لي: والله إني لأشعر بسعادة لو كانت هي نعيم أهل الجنة في الجنة؛ لكانُوا فِي عيشٍ طيبٍ!!!

وهذا رجل آخر بمدينة غزة رزقه الله [٨] بنات، ثم رزقه اللهُ ولدًا، فطارَ بِهِ فَرِحًا، وشاء الله تعالى أن يمرض الطفل مرضًا شاقًا عليه، فقد أصيبت صفيحات الدم عنده، حتى أصبحت [٢٩ درجة]، فإذا ضربه أحدٌ يُصاب بِتَجَلُّطٍ في الدماء، فذهبوا به إلى ألمع أطباء فلسطين، والأردن، ولكن بلا جدوى كثيرة، وجلس أبواه يرقبانه بألم، ويدعوان الله له بالشفاء!!

ثم أخذه أبوه إلى المدرسة، وشرح لِمُدِيرها ظروفَ ولده؛ لئلا يضربه أحد، وأثناء خروج الأب من المدرسة لاحظ أن أطفال المدرسة يشربون الماء المالح، وبجوار المراحيض، فاشترى خزان ماء، ووضعه في المدرسة، وكان في كل يوم يُوَفِّر الماء على حسابه الخاص!!

---

(١) البيهقي/ السنن الكبرى (٣/ ٣٨٢)، وقال الألباني: حسن، كما في صحيح الجامع رقم الحديث: (٣٣٥٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وبعد أيامٍ من عذابات العلاج؛ رأى الأب في نومه [٤] من الملائكة أخذوا ولده، ووضعوه على طاولة كَطَاولةِ العلميات، وأجروا له العلمية، فبدأ الأب يكبر:

اللهُ أَكبَرُ.. اللهُ أَكبَرُ.. اللهُ أَكبَر!!

فاستيقظ مُكَبِّرًا، فَفَزِعَت زوجته، فقال لها: أبشري! لقد شَفَى اللهُ ولدَنَا من مرضه!!!

وما إن هَلَّ الصباح حتى ذهب به للفحص الطبي، فكانت النتيجة أن صفيحات الدم عنده أصبحت [٥٩٠ درجة] بدلاً من [٢٩ درجة]؛ فلم يصدق الدكتور، وشك في جِهَاز الفحص، فأرسل المريض إلى طبيبٍ آخر للتأكد من سلامة الفحص؛ وبعد الفحص الثاني تبين أن الولد شُفِيَ تمامًا؛ فلما ذهبوا إلى الطبيب الأردني وأخبروه هتفَ قائلاً:

نحن الأطباء نُعَالج المرضى، لكن الله هو الذي يَشفِي المَرضَى!!

وأختم هذه السحابة بكلم نفيس لابن القيم جاء فيه:

إن للصدقة تأثيرًا عجبًا في دفع أنواع البلاء، حتى لو كانت من فاجرٍ أو ظالمٍ بل من كافرٍ، وهذا معلومٌ عند أهل الأرض كلهم، خاصتهم وعامتهم؛ لأنهم جربوه، وقد ورد في بعض الآثار: «بَاكِرُوا بِالصَّدَقَةِ؛ فَإِنَّ الْبَلاَءَ لاَ يَتَخَطَّاهَا»[(١)]!!

من فرائد الفوائد

الرزق رزقان: رزق إيجاب، ورزق سلب..

أما رزقُ الإيجاب؛ فَكَأَنْ تأتيك [١٠٠ جنيه] من حيث لا تحتسب، فهذا رزقٌ من جهة الإيجاب!!

أما رزقُ السلب؛ فكأن يُنَجِّيكَ الله جلَّ وعلا بِصَدقتك من نَفَقَاتٍ إِضَافيَّةٍ، فمثلاً: رجل راتبه [١٠٠٠ جنيه]، وآخر راتبه [٢٠٠ جنيه]، فقدر الله للأول نفقات لم يَكْفِهِ راتِبُهُ

(١) ابن القيم/ الوابل الصيب ص (٤٩) والأثر ضعفه الألباني في تخريجه للجامع الصغير، رقم الحديث: (٢٣١٧)، ويصلح للاستئناس لا للاستدلال.

لقضائِها، وَنَجَّى الآخر منها؛ فَادَّخَر من راتبه، فهذا رزقٌ من جهةِ السلب!!

أذكر أنني ذهبت بولدي للطبيب، وأنا في صالة الانتظار حدثني أحد الإخوة أنه أجرى لولده عملياتٍ جراحيةٍ أربعة، وقد استهلك من النفقات ما قدره [٣٠٠٠ دولار]، فقلت لزوجتي: إن ولدنا أكبر منه بأربع مرات، ولم ننفق عليه سوى [٣٠٠ دولار] فيكون الله قد رزقني [٢٧٠٠ دولار] من جهة السلب، فكيف لو ضاعفت المبلغ أربع مرات احتسابًا للعمر؟! وأنا لم أتيقظ لها إلا الآن، غفر الله لنا تقصيرنا في شكره!!!

ورزقُ السَّلبِ قَلَّ من يفطن له، فَضلاً عن أن يَشْكُرَ ربَّهُ عليه، وهو من أعجبِ أَسْرَارِ الصدقة، فَإِنَّ أجرهَا إن لم يظهر للعبدِ من جِهَةِ الإيجاب، فإنَّهُ آتٍ من جهة السَّلْبِ، كَدَفعِ الآفات، والنجاة من الكربات، والسعيدُ الموفقُ من فقه عن الله سننه!!!

٥ـ سعادة قلبية غامرة:

إنَّ صاحِبَ الصدقة قلبُهُ عنوان السعادة، وَكَنزُ الإفادَة، وَصدرُهُ بنك السرور، ومصرف الحبور؛ ذلك أنه استمد عطاءَه من لطيفٍ بِعِبَادِهِ، مَعروفٍ بإمداده، جوادٍ في إسعاده!!

فأي لسانٍ يُحَدِّث بالسعادة التي شَعَرُوا؟!! وأيُّ قَلمٍ يَسطُر اللذةَ التِّي وَجَدُوا؟!!

وهاك شهادةَ من ذاق، يُتحِفُنَا بِنَسائم الأشواق، والمَذاق الرقراق، إنه الصحابي الجليل **حكيم بن حزام** رضي الله عنه الذي كان يجتاحه الهمُّ والحَزَنُ إذا مرَّ به يومٌ لا يجد فيه محتاجًا يقضي حاجته، حيث قال:

ما أصبحتُ وليسَ بِبَابِي صاحبُ حاجةٍ؛ إلا علمت أنها من المَصائِبِ التي أسألُ اللهَ تعالى الأجرَ عليهَا!!

ولذا قال **الرافعي**: إنَّ السعادةَ الإنسانيةَ الصحيحةَ فِي العَطَاءِ دُونَ الأخْذِ، وإنَّ الزَّائِفَةَ هي فِي الأخذِ دُونَ العطاء، وهذا آخر ما انتهت إليه فلسفةُ الأخْلاق!!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اختبـــارٌ عملـــي:

خُذ [١٠٠ ريالاً] لعائلةٍ فقيرةٍ، أو بقدرها طعامًا يُحِبُّونَه، أو كساءً يَلبَسُونَه، أو متاعًا تعرِفُ أنَّهُم يحتاجُونَه، ثم أخبرني عن اللذة الروحيةِ القلبيةِ النفسيةِ التي سَتَشْعُر، وإن كانت الإجابة معلومة إليَّ سلفًا؛ إذ إن الخبر ليس كالمعاينة!!!

٦ـ سيادة الناس:

أفاد **ابنُ عباس** رضي الله عنهما أن الصدقة سبيل مآله سيادةُ الخَلقِ، فَقَال:

ساداتُ النَّاسِ فِي الدُّنيَا الأسخِيَاء، وفِي الآخرةِ الأتقياء!!

وهذا ما عناه **صلاح الدين الصفدي** بقوله:

من جَادَ سَادَ وأحيا العالمون له ... بديع حمد بمدح الفعل متصـل

من رام نيل العلا بالمال يجمعه ... من غير حلٍّ بلى من جهله وبلي

أخي..

إنَّ من أحسنَ إلى العباد فَقَد سَادَهُم، وَكَم سَتَرَ اللهُ عُيوبَ المتصدقين إكرامًا لهم!!

ويُظْهِرُ عيبَ الـمـرء للناس بُخْلُهُ ... ويستره عنهم جميعًا سخـــاؤه

تَغَطَّ بأثـواب السخاء؛ فإننـــي ... أرى كل عيب، فالسخاء غطاؤه[1]

عاشرًا: البيان الختامي

أخي..

إنَّ من صِفَاتِ الله تعالى أنه يرحم عبادَهُ ويسترُهُم، ويُكْرِمُهُم وينفعُهُم، ويجودُ عليهم،

(١) الوابل الصيب ص (٤٩).

ويُحسِنُ إليهم، وإن من وافقَ اللهَ تعالى في صفةٍ من صِفَاتِه؛ قَادَتْهُ تلك الصفة إليه بِزمامه، فَأَدخَلَتْهُ عَلَى رَبِّه، وأَدْنَتْهُ مِنْهُ، وَقَرَّبَتْهُ من رحمته، وَصَيَّرتْهُ مَحْبُوبًا له، فمن رَحِمَ عبادَ اللهَ رَحِمَه، ومَن سَتَرَهُم سَتَره، وَمَن أكرمَهُم أكرمَه، وَمَن نَفَعَهُم نَفَعَهُ، وَمَن جَاد عليهم جَادَ عليه، وَمن أَحسَنَ إليهِم أَحسَنَ إليه، وَمَن يَسَّرَ علَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ عليهِ حِسَابَه[1]!!!

أخي..

أنقذْ إخوانَك بِصَدَقَتِك، وأَعْلِ صَرحَ الإسلامِ بِنَفَقَتِك، وَبَرهِنْ علَى حياةِ فُؤَادِك بِإخْرَاجِ مَالِك، ما لك تَتَرَاخَى فِي تَزكِيَةِ نَفسِك، وطهارةِ مَالِك؟!! أَمَعَكَ من الحسنات قَناطِير؟!! أم إذا نَظَرْتَ إليها ارتدَّ بَصَرُكَ خاسئًا وهو حَسِير؟!! أم ما زلت تُعلِنُ المَعاذِير؟!! وأنك مسكين أو فقير؟!! ونسيت أنَّ الصدقة سببٌ شرعي في مضاعفة المال أضعافًا كثيرة؛ لِتُصَيِّرَ الفقيرَ غَنِيًّا، وهذا ما قصدتْهُ عائشة رضي الله عنها بقولها:

إذا افْتَقَرتُـــم فَتَصَدَّقُـــــوا!!!

(١) ابن القيم/ الجواب الكافي ص (٤٤)، الوابل الصيب ص (٤٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تَحْصِيلُ الأَمْوَالِ بِتَرْكِ الشَّكْوَى وَالسُّؤَال

أولاً: بطاقة تعريف

إذَا سَأَلَ العبدُ أَحدًا سِوَى الله عَزَّ وَجَل؛ كَأن يَسأَلَ صَدقةً أَو قَرضًا أَو شَيئًا مِنَ الخَيرِ؛ فَتَحَ اللهُ عليهِ بَابًا مِنَ الفَقرِ؛ فَزَادت بِالمَسألةِ حَاجَتُهُ، وَعَظُمَت بَلِيَّتُهُ، أمَّا مَن تَركَ سُؤالَ العَبدِ، وَلَم يَشْكُ هَمَّهُ لأحدٍ، وقَصَد الربَّ سبحانه، يَسألُهُ وَيُنادِيه، وَيَدعُوهُ وَيُناجيه؛ أَجابَ اللهُ سُؤَالَه، وَكَثَّرَ مَالَه، وَقَرَّبَهُ وَرَعَاهُ، وَنَصَرَهُ وَتَولاه، وَجَعَلَ السماءَ فِي خِدمته، والأرضَ رَهْنَ إِشَارَتِه!!!

على عتبات المسير

المسألة التي نقصد!!

إن المسألة دوائر شتى؛ أولها وأخبثها التسول، ثم سائل المعونة والمساعدة، ثم طالب القرض، ثم الحاجات التي يشقُّ الانفراد بأدائها، ثم عموم المسألة؛ كأن لا يطلب من أحد شيئًا، ولو كأس ماء من زوجته وولده، وهذه شاقة معسورة، بل إن النبي ﷺ حث عليها دون أن يفعلها؛ لئلا يشق على أمته!!!

وكلما اجتهد العبد في الخلاص من الدائرة الأولى فالتي تليها؛ كانت هذه أمارة سدادٍ وتوفيق!!

ثانيًا: نصوص الوحي تناديك

١ـ ما أمر إلا ليعطي:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢]

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رسالة الآيتين:

إن الله أَوْجَبَ علينَا مسألته ودعاءَه؛ لِنَرتَجِي مَنعَمتَهُ، ونَرقُبَ عطاءَه، كَأَنَّهُ يقول: «ادعوني بالسؤال؛ أستجب لكم بالنوال والإفضال»[١]، وهذا ما نَصَّ عليه **سفيان بن عيينة** صراحةً بقوله: إن الله تعالى لم يَأْمُر بالسؤال إلا لِيُعْطِي!!

أمَّا لو تراخت إجابة الرب لعبده؛ فإما لِطَوِيَّةٍ خبيثة عند العبد، أو لِحِكْمَةٍ يُرِيدُها الربُّ تعالى؛ ذلك أن الله بحكمته يأبى أن يَستجيب لِعَجلةِ المتعجلين، الذين لا يعقلون سُنَّة الله عَزَّوَجَلَّ في تعليق الأمورِ بالمَصالحِ والحِكَم!!

بل ما من دعاء إلا وكان خيرًا عميمًا لصالح العبد، إما عاجلاً في دنياه، أو مذخورًا له في أخراه، أو يدفع الله بقدره مقابله من بلاياه!! ومن أنفس ما آنسه بصري رائعة التابعي **عطاء بن أبي رباح** بقوله:

«العَطَاءُ مِنَ المَخلُوقِ حِرمَانٌ، والمَنْعُ مِنَ الخَالِقِ إِحْسَانٌ»!!!

اقتنصها مؤنس الشاعر فَصَيَّرَهَا شِعْرًا قال فيه:

إنّ الوقوف على الأبواب حرمان ... والعجز أن يرجو الإنسان إنسان

متى تؤمّل مخلوقًا وتقصده ... إن كان عندك بالرَّحمن إيمان؟

ثق بالّذي هو يعطي ذا ويمنع ... ذا في كلِّ يوم له في خلقه شان

فإن الله ما منعك إلا لِيُعطِيك، وما أَحْزَنَكَ إلا لِيُرضِيك، وما أَمْرَضَكَ إلا لِيُشفِيك، وما ابتلاكَ إلا لِيُعَافِيك، فَكُلُّ بَلِيَّةٍ من الرحمن عَطِيَّة، وإلى رِضْوانه مَطِيَّة، ولو سلبكَ الله شيئًا فَطالَمَا وَهبا، بل أعطاك أجرًا كبيرًا وثوابًا طيبًا!!!

---

(١) القشيري/ لطائف الإشارات (٣/ ٣١٣).

من فرائد الفوائد

لم يؤمر العبد بِمَسألةِ أحد إلا ذوي العلم؛ لقول الله تعالى ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]؛ ذلك أنه كلما زدت فيه زاد عندك، فضلاً عن أن العلم يجب بَذْلُهُ، وإلَّا أُلْجِمَ بِلِجَامٍ من نَارٍ كَاتِمُه[١]!!

٢ـ فتح عليهم باب فقر بمسألتهم:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: ٦١]

رسالة الآية بلسان الدكتور يونس الأسطل:

إن بني إسرائيل لم يقبلوا مائدة ربهم، وراحوا يلتمسون ألوانًا شتى لِمَطعمهم، فقيل لهم: {اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ}، أي: إن كنتم مصرين على مطلبكم من البصل والثوم وما معها فعودوا إلى مصر، حيث الذلة والعبودية تحت حكم الفراعنة؛ لتأكلوا ما تطلبون وأنتم مستعبدون، إما إذا رغبتم في الحرية والكرامة؛ فإن لهما ضريبة، وهي الحرمان من بعض المطعومات، والاقتصار على لونين جيدين من الطعام، وهما المنُّ والسلوى!!

ثم قال الشيخ: ومن عجائب الآية أن ظاهرها يشي باستجابة الله لهم، إلا أن باطنها يدل على أن الله أفقرهم بِمَسألتهم؛ لِتَكُونَ بابَ فقرٍ وذِلَّةٍ وَمسكَنةٍ فتحوهُ بأيديهم، فسبحان الله العظيم كم للمسألة والشحاذة من شُرور؟!! فمن خدعَهُ بريقُهَا مَسَّه الغَرور؛ بل إنَّ رابحَهَا خاسرٌ، ونائلَهَا قاصرٌ، فَلَزِمَ الحَذَر!!

---

(١) ابن تيمية/ قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٢/ ٦١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن فاكهة الأخبار أن الشيخ **العز بن عبد السلام**، كان إذا قرأ عليه الطالبُ وانتهى يقول له:

اقْرأ مِنَ البَابِ الذي يَليْهِ وَلَو سَطراً؛ فَإِنِّي لا أُحِبُّ الوُقُوفَ عَلَى الأَبْوابِ!!!

٣ـ مسألة تفوت خيرًا:

إنَّ سُنَّةَ الله تعالى في طَلَبِ المَسألة كَأَخَواتِهَا مِنَ السنن التي تجري على كَافَّةِ العِبَاد، مؤمنهم وكافرهم، إمامهم ومأمومهم، فاضِلُهم ومَفضُولهم!!

فما الذي حَرَمَ الصحابة ﷺ حَظَّهُم من المَغَانِم إلا مسألتَهم عنها؟!! ليقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١]، فَخَرجَت عن أيديهم، وأَضْحَت حَظًا خَالصًا لله والرسول!!!

وما الذي أَزْجأ فِكَاكَ يوسف من حَبسِه إلا مسألته لِمَخلوقٍ مثلِهِ، ونسيانه سؤال ربه؟!! بعد أن قال ﴿لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢]!!

ثالثًا: من غيث الرسالة

١ـ من ابتغى الفقر والمسكنة فعليه بالمسألة:

أخرج **الترمذي** في سننه بسند صحيح من حديث **أبي كبشة الأنماري** ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ثَلاَثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلاَ ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا، وَلاَ فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسأَلَةٍ إِلاَّ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ**»[(١)]!!!

(١) سنن الترمذي، رقم الحديث (٢٣٢٥)، ص (٥٢٥)، وقال الألباني: صحيح.

رسالة الحديث:

أقسم النبي ﷺ أن من فتح باب السؤال مع الغَير، فتح الله عليه باب فَقْر، فَكُلَّمَا زَاد ماله زادت حاجته، وَعَظُمَت بَلِيَّتُهُ، فَظَاهِر مسألته زيادةُ مالٍ كثيرٍ جم، أما باطنها فزيادة ألمٍ وهمٍ وغم!!

آهٍ يا مسلمون!! آهٍ يا غافلون!!

كَأَنِّي بالنبيِّ ﷺ يَسْتَشْرِفُ أن قلوبًا من أمته سَتَأْتِي لا تُصَدِّق كلامه من أول مرة، فَرَاحَ يُقسِمُ أنَّ من سأل مَسَّهُ الفَقر؛ علَّهم أن يصدقوه!! أَبَقِيَ في فؤادك شكٌ؟!! أبقي في صدرك ريبٌ!!

فإن أَصَرَّ العبدُ على السؤال؛ نجاةً من الهموم والأهوال، كان في انتظاره قسمٌ نبوي آخر؛ يغرس اليقين في قلبه!!

فقد أخرج **البخاري** في صحيحه من حديث **أبي هريرة** رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلاً فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ**»(١).

وأخرج **النسائي** في سننه بسند حسن من حديث **عائذ بن عمرو** رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَسَأَلَهُ فَأَعْطَاهُ فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى أُسْكُفَّةِ(٢) الْبَابِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا فِي الْمَسْأَلَةِ مَا مَشَى أَحَدٌ إِلَى أَحَدٍ يَسْأَلُهُ شَيْئًا**»(٣)!!!

سمع المحدث **ابن حبان** بهذين الحديثين فأوجع السائلين بقوله:

إني أستحب للعاقل أن لو اضطر لأكل القَدِيدِ، وَمَصِّ الحَصَى، ثم صبر وصابر، لكان

(١) صحيح البخاري، رقم الحديث: (١٤٧٠)، (١/ ٣٢٥).

(٢) أسكفة الباب: أي: العتبة السفلى التي توطأ. شرح النووي على مسلم (١/ ٩٢).

(٣) سنن النسائي، رقم الحديث (٢٥٨٦)، ص (٤٠٤)، وقال الألباني: حسن.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أحرى به من أن يسأل لئيمًا حاجة، فإعطاؤه شين، ومنعه حَتْفٌ وموتٌ!!!

وهذا **سيد قطب** يُحْكَمُ عليه بالإعدام شنقًا، ثم تأتيه شفاعات الشافعين، فَيُسَاوم على جملتين يعتذر بهما لحاكمه مقابل نجاته، فقال لمن جاءه: إن السبابة التي تشهد أن لا إله إلا الله لا يمكن أن تخط كلمة واحدة تُقِرَّ بها حُكْمَ طاغوت!!!

٢ـ من لم يسأل الله يغضب عليه:

أخرج **الترمذي** في سننه بسند حسن من حديث **أبي هريرة** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَسْأَلْ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ**»(١).

رسالة الحديث:

إنها رسالة رائعة ماتعةٌ، وَجيزةٌ قَاطِعةٌ!!

إن الله ربنا يُحِبُّ أن تَسأَلَهُ فضلَه، فِي كل لَحظَة، وإلا غَضِبَ عليْكَ، وَاتَّجَهَ سخطه إليك!! وفي الحديث إشارةٌ جَلِيَّةٌ تُوجِبُ الدعاء على العبد؛ مَفَادُهَا: أنَّ تَجَنُّبَ ما يُغضِبُ الرب، لا خِلاف فِي كَونِه لازِمٌ فَرض(٢)!!

وقد وفق الله الإمام **الحليمي** ليستنبط نصحًا ذكيًا من مكامن الحديث فقال فيه:

لا ينبغي لك أن يمر بك يومٌ وليلة دون دعاء، فَهُمَا أعدلُ الزمن، وما وراءهما تكرار، وإن دعوت ربك فيهما خَرَجْتَ عمَّا يُوجِبُ غضب الرب عليك!!!

وإذا كان ربنا بِجُودِه وكرمه يحب أن يُسأل كل لحظة، فإن العبد قد يغضب إن سألته في أي لحظة!!

لا تسألنَّ من ابن آدم حاجة ... وَسَلِ الذي أبوابُه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وَبُنَيُّ آدمَ حين يُسأَلُ يغضب

---

(١) سنن الترمذي، رقم الحديث (٣٣٧٣)، ص (٧٦٦)، وقال الألباني: حسن.

(٢) ابن قيصر الأفغاني/ جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (٢/ ١١١٣).

بل إنك لو رجوت العبد حِفنةً من تراب في كل ساعة لأعلن تعبه وضجره، مع أن التراب سهل نيله، مَجانِيٌ سِعرُه!! فكيف لو سُئِلَ شيئًا نادرًا يملكه؟!!

ولذا؛ أرجز ابن الأعرابي شعرًا جيدًا قال فيه لصديقه **أبي هانئ**:

أبا هانئ لا تسأل النـــاس والتمس ... بكفيـــك فضـل الله فالله أوسـع

ولو تسأل الناس التراب لأوشكوا ... إذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعـوا[1]

إذا تقرر هذا..

أدركت الآن لِمَ لَمْ يترك أوصل الخلق بربه ﷺ الدعاء في أي ساعة من ليلٍ أو نهار!! فمن تأمل الأدعية النبوية المأثورة دهش عجبًا، وعلم أن سؤال الله مُخُّ العبادة في ديننا وإسلامنا!!!

نسائم الروح

قال **محمد بن حاتم لأبي بكر الوراق**: عَلِّمْنِي شيئًا يقربني إلى الله تعالى ويقربني من الناس، فقال:

أما الذي يُقَرِّبُكَ إلى الله تعالى فَمَسألَتُه، وأما الذي يُقَرِّبُكَ من الناس فترك مسألتهم!!!

رابعًا: مآثر الأيام

١ـ أبى المسألة ففتح الله عليه باب غنى!!:

حدثني من أثق بدينه وإخلاصه وصدقه أن الله تعالى منَّ عليه بمنحةٍ جليلةٍ في هيئة مِحنةٍ ثقيلة، فَدَخَل سجون الاحتلال الصهيوني بضعَ سنين، وشاء الله تعالى أن يجالس شيخًا

(١) ابن حمدون/ التذكرة الحمدونية (٢/ ٤٨٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قعيدًا مريضًا في نفس السجن، لمدة تقترب من سنواتٍ أربعةٍ، ولازمه في زنزانة واحدة لمدة [٤٥ يومًا]، وكان الشيخ القعيد هو الشيخ أحمد ياسين!!

وإليك المأثر بلسان فارسه:

قال صاحبي: لازمت الشيخ في زنزانته فوجدت أمرًا عجبًا!!

رأيت حشودًا من البلايا والرزايا ابتلى الله بها هذا العبد، فقد حُكِمَ عليه بالسجن ما يزيد عن [٣٠٠ سنة]، وهو يبتسم كأنَّ مَا به بَأس، ثم إنه مشلول الجسد كله، لا يتمايل فيه إلا رأسه، وحتى رأسه كله لم يسلم، فقد جاءنا طبيب العيون يُعالِجُ الشيخَ، فقال له وهو يُطَبِّبُه: أَتَرَى ولو مِثقَال ذرة بعينِكَ اليُمنى؟! فقال الشيخ: لا!!!

فَدُهِشْتُ وتَنكرت للشيخ بعد خروج الطبيب، وقد اشتطت غضبًا بمستوى غير مسبوق في حياتي، كيف أُلازِمُهُ ولا يُخبِرُني بعماه؟!! فقلت له: يا شيخ، لِمَ لَمْ تقل لي؟!!

فقال الشيخ بهدوء جم: ليش أقول لك؟!!

فقلت: إنك تعاني، وأنا أود إعانتك يا رجل!!

فقال: إنك الآن عرفت، فماذا ستفعل لي؟!!!

فَسَكَتُّ؛ إذ لا إجابة!! ثم قلت له: سَأُفَتش الآن جسدك؛ لأعرف كل مرضٍ أصابك!!

وما هي إلا لحظات إلا والفجأة تجتاح كياني، فقد وجدت مرضًا صعبًا يعاني الشيخ منه ما يعاني، وهو ساكتٌ لا يتكلم، وَعَجِبْتُ أن معه دواء من الطبيب، عبارة عن «مرهم ليدهن به مرتين يوميًا «فلما عاتبته أخبرني أنه يستحيي أن يشكو داءَهُ لأحد، فَدَهَّنْتُ له أسبوعًا، ثم طلب مني التوقف، وبعد إلحاح تبين لي أنه لم يبرأ، إلا أنه يتثاقل أن يُتعِبَ إخوانه معه!!

ولك أن تتخيل أن المرض الذي وجدته ليس المرض الوحيد، فعلمت منه بعد معتبتي له أنه مريض بالباسور والناصور والالتهاب المزمن بالقصبة الهوائية، وأنه إن أكل لابد

من مكث [٤ ساعات] بعدها لا ينام؛ ذلك أن معدته لا تعمل إلا في يقظته!!

فجلست أتأمل حال الشيخ، وأن الله ابتلانا بزنزانة قاسية، كانت في جناح منفصل من السجن، وتحت الدرج، وإمكانياتها عديمة، حتى إن اليهود عاقبوا قاتل رابين بِحَبْسِهِ فيها، وكانت إدارة السجن لا تقدم لنا أي خدمة، ويأبى الشيخ أن يطلبهم شيئًا، أو أن يطلب أحد من إخوانه باسمه شيئًا، فإذا ناقشناه قال: لا نريد أي شيءٍ منهم!! ولك أن تتصور أنه لم يطلب أي حاجة منهم طيلة السنوات التي عاشها أسيرًا!!

بل لما أتاه ضابط الموساد يومًا في زنزانة العذاب فقال: أتيتك بصفقة ثمينة، سنطلق سراحك مقابل أن تسلمنا جثة الجندي الصهيوني المختطف «سعدون» فقال الشيخ: أنا لا أقبل على نفسي أن يفرج عني، في مقابل جثة لا قيمة لها ولا وزن[1]!!!

فتأملت حال هذا الرجل، وشعرت أن النَّفْسَ تتلاشى وتختفي أمام عظمة صبره على بَلِيَّتِه!! وفي تلك الأيام كنا نسمع بمؤتمر مدريد، وخطورته على القضية الفلسطينية، فسألت الشيخ: هل أنت خائف؟!!

فقال لي في كلمات باهرة زاخرة نادرة:

يَا بُنَي، إِنَّنَا لَمْ نَجِدْ ابْتِلاءً بَعْدُ!!!!!

فقلت: يا الله!! أيُّ عبدٍ هذا؟!! إنه لا يشكو من أي أمر، وهو يحتاج لكل أمر!!

إِنَّهُ تَجاوَزَ عائق الشكوى، ويأبى أن يسأل أحدًا من العباد شيئًا!!! ووالله إن الظروف الجسدية والنفسية تجعل معيشة البهائم أفضل حالاً منه، لكنه يتكلم بثقة بالله فريدة، وتشعر بجلوسك معه بضع دقائق أن حكمه [٣٠٠ عام] كأنها أيامٌ ثلاثة، بل كأنه يخرج اليوم أو صبيحة الغد!!

ويعلم الله تعالى أن كلمته هزتني هزًا عنيفًا، أجد أثرها في قلبي ليومي هذا، وقررت

(١) هذه الحادثة ليست من كلام فارس المأثر!!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بعدها ألا أشكو أمرًا إلا لله رب العالمين!!!

ويشاء مالك الكون، ذو الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة أن يخرج الشيخ من سجنه بعد أيام، في صفقةٍ نادرة، وتَجَوَّلَ على عددٍ من الدول الإسلامية، وشاء الله أن يُعالِجَ ثلةً من أمراضه فيها!!

فلما خرجت من السجن ابتلاني الله بِمَرضٍ شديد، واستوجب السفر إلا أنني مَحرومٌ مِنْهُ، فلما ساءت الحالة، وخشي الطبيب حُلولَ التسمم، قال لي: لابد من تدارك الأمر!!

فَعُدتُ لِبَيْتِي، وَرَتَّبْتُ حَياتِي مَع الله، وَبَعدَ أيامٍ عشرة شَعرتُ بِحُضُورِ قَلبِي في مُناجاةِ الله، وأيقنت أن أبواب السماء مفتوحة، وكان يوم جمعة، فدعوت الله ألا يأتي رمضان إلا قد عافاني، وكان بيني وبينه [٣ أشهر]، وفي ذات اليوم اتصل بي من يخبرني بإمكانية السفر، وكان أمرًا نادر الحصول!!

فاتصلت بطبيب في إحدى الدول؛ ليخبرني أن تكلفة العملية [٣٥ ألف دولار]!!!، فلم أَشْكُ حالتي لأحد، وشاء الله أن يسألني أحد زملائي في العمل عن تكلفة العملية، فلما أخبرته ذهب يلتمس من رئيس مجلس إدارة الشركة المُسَاهَمة، فكان رد الرئيس غريبًا باهرًا، فقال له:

أَخْبِرهُ أن يَتَّصِلَ بطبيبه في الدولة التي سَيَذهب، لِيُخْبِرَهُ بالتكلفة التي يطلب وأنا سأتكفل بها كاملة وافية إن شاء الله تعالى!!!

وشاء الله تعالى أن أُعَالَجَ مَجانًا دون أن أَشْكُو، وقد آتت تربية الشيخ أحمد ياسين أُكُلَهَا، فذهبت، وأجريت العملية بِنَجاحٍ ميمون، ولا أنسى قط أنني عدت في يوم [٢٢/ ١١/ ١٩٩٩ م] وقد شُفِيتُ تمامًا، وكان تالي اليوم الذي وصلت فيه مُعافى أول أيام شهر رمضان المبارك، وقد استجاب الله الدعاء!!!

نسائم الروح

كَانَ **الصدِّيقُ** رضي الله عنه لا يسأَلُ الناسَ شيئًا، فَنَزَلَ فيهِ قولُه تَعالَى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٩-٢١] وحتَّى نبيُّهُ ﷺ ليسَ لهُ عِنْدَهُ نعمةٌ تُجزَى؛ إذ إنَّ أجرَهُ الدعوي عَلَى الربِّ، لا مِنَ العَبْدِ!!!

٢ـ ومع النورسي حكاية عجيبة:

إنه بديع الزمان سعيد النورسي العالم التركي المجاهد [ت.١٩٦٠م]!!

رأى رسول الله ﷺ في المنام، وسأله أن يدعو الله أن يُفَهِّمَهُ القرآن، ويرزقه العمل به، فبشّره الرسول الكريم ﷺ بذلك، قائلاً له:

«سَيُوهب لك علمُ القرآن، شريطةَ ألا تسأل أحدًا شيئًا»!!

وأفاق النورسي من نومه كأنما حِيزت له الدنيا، وآلى على نفسه ألا يسأل أحدًا شيئًا؛ استجابةً حرفيةً لِشَرطِ رسول الله ﷺ، فآتاه الله فَهمَ القُرآن، ومنَّ عليه بتأليف جملةٍ من الرسائل فيه، وله تفسيرٌ مَوسومٌ بـ {إشارات الإعجاز} فراجعه إن أردت أن يُبْسَطَ لك في علمك!!

وشاء الله تعالى أن يكون الإمام النورسي من أعلام العمل بالقرآن، فكان -كما يقال- قرآنًا يمشي على الأرض، ورزقه الله قوة الحجة به، فكان يتكلم دون أن يخشى في الله لومة لائم، أو مَسَبةً من رَاجِم!!

بل إن رأس العلمانية مصطفى كمال أتاتورك تمنى أن يكون في صَفِّهِ، فلما قدم النورسي أنقرة في عام [١٩٢٢ م] ودخل على نواب الشعب، ولاحظ أن أكثرهم لا يصلون، راح يصدر بيانًا استهله بقوله:

يا أيها المبعوثون.. إنكم لمبعوثون ليوم عظيم!!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقام [٦٠ نائبًا] وأدوا فريضة الصلاة!!

فاشتاط **أتاتورك** غضبًا قائلاً له: لا شك أننا في حاجة أستاذ قدير مثلك، نستفيد من رأيك، لكن أول جهودك كانت بَثَّ الفرقة بين أهل المجلس، بِحَدِيثك عن الصلاة!!

فرفع النورسي يده بحدة وقال: باشا.. باشا.. إن أعظم حقيقة تتجلى بعد الإيمان هي الصلاة، وإن من ترك الصلاة خائن، وحكم الخائن مردود!!!

فأبعده **أتاتورك** عن العاصمة، وَعَيَّنَهُ واعظًا للولايات الشرقية، بِمُرتبٍ عالٍ، فرفض النورسي الوظيفة والراتب، وعاش علمًا باستغنائه عن الناس!!!

خامسًا: ذخيرة الأسرار

ظلمات بعضها فوق بعض:

تأمل **ابن القيم** ذخيرة أسرار المسألة، وفي لحظات صفاء جادت قريحته بكلم نادر ذهبي ثمين، وهاك هو:

اعلم أخا الإسلام أن مسألة الناس في أَصْلِهَا حَرامٌ، وإنما أُبِيحت لِحَاجةِ الأنام؛ ذلك أنها ظُلمٌ في حَقِّ الربوبية، وظلمٌ في حَقِّ السائل، وَظُلْمٌ في حَقِّ المسئول!! وإليك البيان:

أولاً: ظُلمٌ في حق الربوبية:

ذلك أن سؤال العبد لغيره ذُلٌّ، وافتقاره لغير الله فيهِ نوعُ عبودية، ومعلومٌ أن العبودية لا تكون إلا لله، فلما وَضَعَ السائل مسألته في غير موضعها، وأنزلها بِغَير أهلها؛ ظَلَمَ توحيده، وإخلاصَه، وفقرَه إلى الله، وتوكلَّه عليه، ورضاه بقسمه، بل إنه استغنى بسؤال الناس عن مسألة رب الناس، ولا يَخفَى على لبيب أن كل هذا مما يَهضِمُ حقَّ التوحيدِ في قلبه، ويُطفِئُ نوره، ويُضعف قوته!!!

ثانيًا: ظلم للسائل نفسه:

ذلك أن السائل أراقَ ماء وجهه، وَذَلَّهُ لِغَيرِ خَالقِه، وأَنزلَ نفسَهُ أدنى المنزلتين، وَرَضِيَ لها أَبخَسَ الحَالين، فذهب عِزُّه وشرفُه، وباعَ صبره ورضاه وتوكله وقناعته، فَصَغَّرَ نفسَه وَحَقَّرَهَا، وجعلها تحت نَفسِ المسئول، ويده تحت يده، وفي هذا مَذلَّة ونوع عبودية حقًا!!! ولولا الضرورة لم يُبح ذلك في الشرع[١]!!

نسائم الروح

كان الإمام **أحمد** رحمه الله تعالى يقول في دعائه:

اللهم كما صُنتَ وَجهي عن السجود لغيرك؛ فَصُنْهُ عن المَسألةِ لِغَيرك[٢]!!!

ثالثًا: ظلمٌ للمسئول:

ذلك أن العبد سأله ما ليس له عنده، فأوجب له بسؤاله حقًا عليه لم يكن له عليه، وَعَرَّضَهُ لِمَشقةِ البَذلِ، أو لَومِ المنع، فَيُعطيه على كراهة، ويَمنَعُهُ على استحياء، اللهم إلا إن سَأَلَهُ حقًا ثابتًا له، فليس هذا من الظلم في شيء[٣]!!

والخلاصة:

إن من سأل غيره افتقر لغير الله فأشبهَ الشرك، وَذَلَّ لغير الله فَظلَم نفسه، وآذى المسئول وهذا ظلمٌ له[٤]!!!

إذا تقرر هذا..

فلا ريب في أن من ظلم توحيده ونفسه وغيره بسؤاله؛ يستجلب له كل باب من أبواب

---

(١) ولذا أجاز الفقهاء للمسلم الصلاة عاريًا إن كان في استعارته ثوب أحد مِنَّةٌ عليه، بل قال أبو حنيفة: إن المسافر لا يسأل رفيقه الماء، ولو تيمم قبل الطلب أجزأه؛ ذلك أن السؤال ذل، وربما لا يعطيه!! انظر: شرح أبي داود للعيني (٦/ ٣٩٣).

(٢) ابن القيم/ حادي الأرواح ص (٦٣).

(٣) ابن القيم/ مدارج السالكين (٢/ ٢٣٢).

(٤) ابن تيمية/ قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٢/ ٧٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفقر والمسكنة، ويتأكد هذا جليًا في الدوائر الأربعة الأولى للمسألة، والتي مرت بنا في {على عتبات المسير}!

من فرائد الفوائد

الاستغناء نوعان: متعذر، وممكن!!

أما المُتَعذِّر؛ كَتَحَصُّلِكَ على رغيف الخبز، فإن ثمةَ من ابتاع الأرض، وهذبها، وسقاها، وزرع البذرة فيها، وعَنِيَ بها، وحصدها، ونقلَها، وطَحَنَها، وعجنَهَا، وخبزَهَا، فيتعذر الاستغناء عن كل من سخره الله لك!!

أما الشاق الممكن؛ كألَّا تلتمس المعونة من أحد، ولا تستدين، ولا تشكو أمرك، وتلجأ لربك فقط في مُصَابِكَ، فهذا عِزٌّ بَاهِر، وفضلٌ زَاخِر، وإلا وَكَلَكَ الله لمن توجهت له[1]!!

ودليل ذلك ما أخرجه **الحاكم** في مستدركه بسند حسن من حديث **سهل بن سعد** ﷺ قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: «اعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»[2].

نسائم الروح

مَسَّ الحَزَنُ يعقوبَ فلم يفزع إلا لله وهتف قائلاً: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، وقد قيل لنبينا ﷺ: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾ [الشرح: ٨]، فَصَيَّرَهَا نصيحةً أهداها **لابن عباس** ﷺ بقوله: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسأَلِ الله، وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بالله»، **ولأبي ذر** ﷺ: «لاَ تَسْأَلِ النَّاسَ شَيْئًا»[3]!!

(١) عبد المحسن عباد/ شرح سنن أبي داود (٩/ ٦٢).

(٢) الحاكم/ المستدرك على الصحيحين (٤/ ٣٢٦)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم: (٨٢٤).

(٣) ابن تيمية/ الرد على البكري (١/ ٢١٦)، والحديث في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٨١٠)، (١/ ١٩٨) وقال الألباني: صحيح.

سادسًا: بشائر العافية

١ـ استشعار الاستغناء عن الخلق:

إن الله خلقنا، وهو أعلم بنا مِنَّا، فلما أوحى لنبينا أن من تمام عبوديتنا ألا نسأل الناس شيئًا، وقد نص في كتابه أنه لم يكلف نفسًا إلا وسعها، علمنا أن الاستغناء عن الناس أمرٌ مقدورٌ، وإن كان شاقًا معسورًا!!

اضـــرع إلـى اللـه لا للنـاس ... واقنع بعزٍ ولو كان فـي اليـاس

واستغـــن عـــن كل ذي رحـم ... فإن الغني من استغنى عن الناس

أخي..

أخرج **أبو داود** في سننه بسند صحيح من حديث **ابن عمر** رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:

«مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللّهِ فَأعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللّهِ فأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا ما تُكَافِئُونَهُ بِهِ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَد كَافَأْتُمُوهُ»[1]!!

رسالة الحديث:

جعل النبي ﷺ الدعاء جزاءً يُكَافئ المعروف، وفي هذا إشارة لا تخفى إلى أن العبد يُمكِنُه أن يستغنى عن الناس في كل حاجة حتى الدعاء، ولذا أطل علينا **ابن تيمية** بعبقريته الفذة يقول:

إذا قال الأخ لأخيه: ادعُ لي، فإن الأصل ألا يَقْصِدَ الاستفادة من دعاء أخيه؛ إذ التوجه

(١) سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٦٧٢)، ص (٢٥٨)، وقال الألباني: صحيح.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إلى الله أصلٌ عنده، وإنما يَقْصِدُ حصول الداعي بِمِثْلِ دعائِه؛ لقول النبي ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو لأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ بِدَعْوَةٍ إِلَّا وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ مَلَكًا كُلَّمَا دَعَا لأَخِيهِ بِدَعْوَةٍ قَالَ المَلَكُ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ**» وإن كان ينتفعُ باستجابة الله دعاء الداعي له[١]!!!

سَمِعَت **عائشةُ** رضي الله عنها الحديث؛ فأثبتت أنها تعلمت رسالته جيدًا من زوجها النبي ﷺ، فكانت إذا أرسلت صدقة لقوم توصي رسولها بوصية نادرة قائلة:

اسمع ما يدعون لنا به؛ لِنَدعُو لهم بمثل ما دَعَوْا لنا، ويبقى أَجرُنَا عَلَى الله!!!

٢ـ الرضا بما قدره الله لك!!:

إن حقيقة الرضا أن توافق ربك فيما ارتضاه لك، وأوصله إليك، ولهذا حُقَّ لي أن أسألك:

هَل أَنْتَ رَاضٍ عَن رَبِّك؟!!

فإن من رَضِيَ عن ربه؛ رَضِيَ بما كَتبه عليه، واختاره له، ففرح به، وَسُرَّ له؛ إذ كيف يُنكِرُ عقلٌ خلقه الله أمرًا على خالقه الذي فطره وسَوَّاه؟!!! فإن الخَيرٌ لا يعلم مَوضِعه إلا الله!!

ولذا أمدك **ابن الجوزي** بخاطرة رقراقة من خواطره فقال:

ومن أراد أن يعلم حقيقة الرضى عن الله عزوجل في أفعاله، فليتأمل في أحوال رسول الله ﷺ؛ فإنه لما تكاملت معرفته بالخالق سبحانه رأى أنه مَالك، وللمالك التصرف في مملوكه، وهو بحكمته لا يصنع شيئًا عبثًا، فَسَلَّمَ تسليمَ مَملوكٍ لحكيمٍ، فَكَانت العجائب تَجْرِي عليه، دون أن يُوجَدَ منهُ تَغَيُّر، ولا من طبعه تَأَفُّف[٢]!!!

فالسعيدُ المُوَفَّقُ من وَطَّنَ نفسه على لُزومِ الرضا عن ربه، والاستغناء عن الناس، ولو

(١) ابن تيمية/ الرد على البكري (١/ ٢١٩).
(٢) ابن الجوزي/ صيد الخاطر ص (٩٨).

عاش بقليل المعاش!!!

واستغنِ بالشيء القليل فـإنـه ما صان عرضَك لا يقال قليل
فأخوك مَنْ وَفَّرْتَ مـا في كفـه ومتى علقت بـه فأنـت ثقيـل

سابعًا: مراقي الصعود

١ـ لا تشكو بليتك لمخلوق:

إذا تأملت حال الناس وجدت أكثرهم يعلن الشكوى، فالفقير يشكو، والغني يشكو، والموظف يشكو مديره، والمدير يشكو موظفيه، وكلاهما يشكو رُتْبَته، والأعزبُ يشكو عزوبيته، والناكح يشكو زوجته، وهي تشكوه، والجار يشكو جاره، فالكل يشكو من الكل، فالمصائب تَحِل، ولا ندري ما الحل؟!!

وكلهم عند التأمل يشكون قدر الله فيهم!! ولذا؛ فقد أخرج الفضيل بن عياض سياط غضبه لما رأى رجلاً يشكو حاله لأخيه فقال له:

يا هذا، أتشكو من يرحمك، إلى من لا يرحمك؟!!

ومن قبله زين العابدين بن الحسين رضي الله عنه ألبس تذمره من هؤلاء ثوب النصيحة الشعرية فهتف قائلاً:

وإذا بليت بِعُسرةٍ فاصبـــر لـهـا صَبْرَ الكريـم فإن ذلك أحـــزم
لا تشكـــونَّ إلـــى الخـــلائق إنمـا تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم[1]

أخي..

إن أحاط بك همٌ، وسَربَلكَ غَمٌ، وأردت مالاً فلم تجد، وانتظرت مددًا فلم يأت أحد،

(١) بهاء الدين العاملي/ الكشكول (١/ ٥٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فانتظر الليل بفارغ صبرك، وانصب قدميك بين يدي ربك؛ لتعلن شكواك، بعد أن يسمع نجواك، ويصعد إليه بكاك!!

وليكن لك قدوة خير في الشيخِ المَكُّوديّ الذي قال:

إذا عرضت لـــي في زمانيَ حاجةٌ ... وقد أشكلت فيها عليَّ المقـــاصدُ

وقفت ببـــاب الله وقفةَ ضـارعٍ ... وقلت: إلهي إننـــي لك قاصـدُ

ولست تراني واقفاً عنـــد باب ... مَنْ يقول فتاهُ: سيديْ اليومَ راقـد

٢ـ تَعَفَّفْ وَتَصَبَّرْ يُعِفَّكَ الله ويصبرك!!:

أخرج **البخاري ومسلم** في صحيحهما من حديث **أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، قَالَ: «**مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ، فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ، يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَصْبِرْ، يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً هُوَ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ**»[(١)]!!

رسالة الحديث:

إن النبي ﷺ بِجُودِه وجميل عطائه أعطى سائليه مرارًا دون تضجر أو شدة، حتى إذا نَفِدَ ما عنده؛ غرس فيهم نبات وعظه، فأخبرهم أن العِفَّةَ بالتعفف، والصبر بالتَصَبُّر؛ إشارة إلى أن المرء لم يُولد متعففًا ولا متصبرًا، ولئن فَعَلَ ذلك أَعَفَّهُ الله، وَصَبَّرَهُ الله، وأتته رياح الأرزاق من حيث لا يحتسب!!!

أخي..

إن ضاقت بك الدنيا ولم تجد مالاً، أو بيتًا وسيعًا، أو مركبة مريحة، أو ملبسًا وضاءً، أو طعامًا لذيذًا، فَتَصَبَّرْ حتى تصبر، وَتَعَفَّف عن المسألة حتى تكون تَعِف، وإليك أُنموذجًا

(١) صحيح البخاري، رقم الحديث: (١٤٦٩)، (١/ ٣٢٤)، صحيح مسلم، رقم الحديث: (٢٤٧١)، (٣/ ١٠٢).

عجبًا لشيخٍ شابٍ مُتصبرٍ متعفف!!

كان الشيخ سليم المسوطي يسكن في غرفةٍ بِجَامع التوبة بدمشق، وشاء الله أن يَمُرَّ عليه يومان دون أن يأكل فيهما شيئًا، وشَعَرَ في اليوم الثالث كَأَنَّهُ مُشرِفٌ على الموت، بِحَدٍّ يُبِيح له أكل لحم الميتة أو السرقة بِقَدرِ الحاجة، وكان المسجد يَتصل سَطحُهُ بالبيوت المُجاورة، فَفَكَّرَ في دُخولِ أحد البيوت والأكل منها!!

فصعد إلى السقف، وتَنَقَّلَ على أَسطُحِ المنازل، فاشتمَّ رائحةً جَذبته لِيقفز قَفزتين في شُرفةِ المنزل المنبعثة منه، ولم يجد فيه أحدًا، فأسرع إلى المطبخ فَكَشف غطاء القدر، فَوجد باذنجانًا مَحشُوًا، فتناول واحدة دون أن يعبأ بِسُخونتها، وَعَضَّهَا، فلما شعر بحرارتها تذكر حرارة جهنم، فتذكر دينه، وقال: يا ويلتى!! إنني طالبُ عِلْمٍ، مُقِيمٌ في المسجد، ثم أقتحم البيوت وأسرق ما فيها، وَكَبُرَ عليه ما فَعل، ونَدِمَ واستغفر، وعاد من حيث جاء!!!

ثم حضر درس شيخه دون أن يَعقل ما يقال من شدة جوعه، وعقب الدرس جاءت لشيخه امرأة مستترة فَكَلَّمَتْهُ، ثم التفت الشيخ ولم يَرَ إلا الشيخ سليم، فدعاه وسأله: أمتزوج أنت؟!! قال: لا!!

فعرض عليه نكاح المرأة، فسكت ولم يُبْدِ جوابًا، وبعد تكرر إلحاح شيخه قال: يا شيخي، ما عندي رغيف خبز آكله، فكيف أتزوج؟!!

فقال الشيخ: هذه امرأة تُوفِي زوجُها، وهي غريبةٌ عن بلدنا، وليس لها في الدنيا أحد، إلا عمٌ لها فقير، وإنها ورثت مال زوجها، وترغب في الزواج؛ لئلا يُطمعَ فيها، فوافق الشيخ سليم، وَقَبِلَت المرأةُ به، ودعا الشيخ عمَّها وشاهدين، وَدَفَعَ المهرَ عن تلميذِه، وَعَقَدَ العقد، ثم قادته المرأةُ إلى بيتها، فلما كَشفت عن وجهها رأى شبابًا وجمالاً، وَدُهِشَ أن بيتها هو الذي اقتحمه قبل قليل!!

فَعَرضت عليه تناول الطعام؛ فَقَبِلَ بلا تفكير، فَكَشفت غطاءَ القدر، فلما رأت الباذنجانة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قالت: عجبًا من الذي دخل البيت فعضها!!!

فبكى من مَقالَتِها، وَقَصَّ عليها خبره، فقالت له:

عففت عن الباذنجانة بالحرام؛

فأعطاك الله البيت كله وصاحبته، والباذنجان بالحلال[١]!!!!

٣ـ كن قانعًا زاهدًا!!:

رأى الإمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه جابر بن عبد الله وبيده شيءٌ من لحم، فقال: ما هذا يا جابر؟!! قال: اشتهيت لحمًا فاشتريته، فقال عمر:

«أَوَ كُلَّمَا اشتهيتَ اشتريت»!!!

أما تخاف يا جابر أن يقال لك ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠][٢]!!

أخي..

إنك إن ابتَغَيْتَ كَمالاً، ولم تَجِد مالاً؛ فاقنع! إن اشتهيت مَركبةً فارهةً ولم تجدها؛ فعليك بدراجة تقنع بها؛ لئلا تلهث خَلف سُؤال الهيئات والبنوك والأشخاص، ويصبح اسمُك على كلِّ لسان، وَفِي كُلِّ ميدَان، فَتَفْقِدَ شرفك ومجدك، ووقارك وهيبتك!!

وقد رزق الله الإمام الشافعي فقهًا وحكمةً فقال:

قنعت بالقوت من زماني ... وصنت نفسي عن الهوان

خوفا من الناس أن يقولوا ... فضل فلان على فلان

من كنت عن ماله غنيًا ... فلا أبالي إذا جفاني

(١) إبراهيم الحازمي/ من ترك شيئًا لله عوضه خيرًا منه ص (٥٩-٦١)، نقلًا عن الشيخ علي الطنطاوي!!

(٢) المحب الطبري/ الرياض النضرة في مناقب العشرة (١/ ١٧٨).

أدرك السلف عظم هذا المرقى فكانوا من أعلامه!!

فهذا محمد بن واسع يبل الخبز بالماء ويأكله قائلاً: من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد!!

وهذا أمير المؤمنين يكتب إلى أبي حازم أن يرفع له حاجته، فكان رده: هيهات! رفعت حاجتي إلى من لا يَخْتَزِنُ الحوائجَ؛ فما أعطاني قَنِعْت، وما أَمْسَك عَنِّي منها قَبِلْت!!

وفي منثُورِ الحِكَم: الْعَبْدُ حُرٌّ مَا قَنِعَ وَالْحُرُّ عَبْدٌ مَا طَمِعَ!! وهذا ما صَرَّحَ بِهِ شاعرٌ فحلٌ بقوله:

أَطَعْتُ مَطَامِعِي فَاسْتَعْبَدَتْنِي وَلَـوْ أَنِّي قَنِعْتُ لَكُنْت حُـرًّا

من فرائد الفوائد

إنَّ شكواك لربك الجليل؛ لا تَقْدحُ في صَبرِكَ الجميل، فهذا حَزَنٌ يجتاح قلبَ يعقوب فَأعلَنَ قائلاً: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞ﴾ ، وهذا نبيُّنَا ﷺ يُؤذِيهِ سُفهاءُ الطائفِ فَرَفَعَ يديه لِرَبِّهِ شَاكِيًا: «**اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ**»!!

ثامنًا: إشارة حمراء

١ـ الزهد في الدعاء:

إن المرءَ ليعجبُ من زُهدِ الناس المُتَنَامِي في سؤال الله، مع أنَّ أصلَ التوحيدِ سُؤال الله وحده، وأصل الشرك سؤال غير الله تعالى!!

أدرك خطورة الداء الدكتور لطف الله خوجه، فلفت أنظارنا إليه قائلاً:

لا نعلم أمرًا اجتمع الناس على نسيانه، والتفريط فيه؛ كَنِسيانِ سُؤالِ الله وحده، وترك

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سؤال المخلوق، مع أن ذلك أصلُ التوحيد، ونداء الخالق سبحانه لنا {وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ}، إلا إنه ما زال مجهولاً خفيًا!!

ولهذا لما نزلت البراءة **بعائشة** رضي الله عنها قالت لها أمها: قُومِي إلى رسول الله!! قالت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمدُ إلا الله؛ فإنَّهُ الذي أنزلَ براءتي!! وكذا حين نزلت التوبةُ **بِكَعب بن مالك** رضي الله عنه، وجاء إلى النبي ﷺ فسأله: أَمِن عِندِكَ أم من عند الله؟!! قال: «**لا؛ بل من عند الله**»، ولم يَغضَب ﷺ من كلام **عائشة** رضي الله عنها، ولا سُؤالِ كَعب، ولم يَعُدُّهُ من سوءِ الأدب مع مقام النبوة؛ ذلك أنه هو الذي رباهم على ذلك[١]!!!

وليكن لك قدوة خير في أبان بن عثمان رضي الله عنه الذي كان يتمثل دومًا قول الشاعر:

إني لأُكْـــرِمُ وجهـي أن أوجِّهـه ... عند السُّؤال لغير الواحد الصَّمد

عزّ القنـاعة والإيمـان يمنعـني ... من التَّعـرُّض للمنَّـــانـة النَّكـد

رضيت بالله في يـــومي وفي غـده ... والله أكـــرم مأمـولٍ لبعـد غـــد

٢ـ إياك وعبودية الدينار:

قرع **ابن تيمية** بوعظه الأسماع قائلاً:

إن العبد لابد له من مال، فإن طلبه مباشرة من الله؛ استجابةً لِنُصحِ إبراهيم لنا بقوله: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾[٢]، وإنفاذًا لعظة النبي ﷺ **لابن عباس** رضي الله عنهما بقوله: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**»؛ صارَ العبدُ عبدًا لله حقًا، فقيرًا إليه صدقًا، أما إن طلب مسألته من مخلوق؛ صار عبدًا له، فقيرًا إليه[٣]!!

---

(١) مجلة البيان/ العدد (٢٠٨)، الصادر عن شهري [يناير وفبراير/ ٢٠٠٤] ص (٤).

(٢) فائدة: قال الله ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾، ولم يقل: فَابْتَغُوا الرِّزْقَ عِنْدَ اللهِ؛ لأن تقديم الظرف يشعر بالاختصاص والحصر، كأنه قال: لاَ تَبْتَغُوا الرِّزْقَ إِلَّا عِنْدَ اللهِ!

(٣) ابن تيمية/ إقامة الدَّليل على إبطال التحليل (٣/ ٤٢١).

وعليــه:

فكل من هيمــن الــدرهمُ في قلبه فهو عبدٌ له، وإن أردت صفتَــه؛ فإنَّــهُ الــذي إن أُعْطِيَ رَضِــي، وإن مُنِــعَ سَخِــط، فَرِضَاهُ لِغَيــرِ الله، وَسَخَطُهُ لغيــرِ الله، قــال الله تعالى:

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [التوبة: ٥٨]!!!

وإليك شاهد عدل يؤيد **ابن تيمية** في كلامه!!:

دخل **مالك بن دينار** السوق يومًا، فرأى رجلاً يبيع التِّين، فاشْتَهاه، فقال للبائع: أَتُقْرِضُنِي شيئًا منه للغد، فَأَبَى، فقال: لو رَهنْتُ عندَك حذائي أتقبل؟!! قال: لا!! فَسَار ولم يتكلم!!

فَتَنكَّرَ الحضورُ للبائع، وأخبروه أن الذي يطلب منه تينًا؛ الإمام الزاهد: **مالك بن دينار!!**

فندم البائع وقال لعبده من فَورِهِ: اذهب لذاك الرجل، وَبِصُحبَتِكَ عَربة التين كلها، فإن قَبِلَهَا منك فأنت حُرٌ لِوَجهِ الله!!!

فطار العبدُ سُرُورًا، وَحَثَّ الخُطَى فَعَرضَها عليه، فأباها وقال له: قل لسيدك:

إن **مالك بن دينار** لا يَشْتَرِي التينَ بالدِّين!!

وإن **مالك بن دينار** قد حَرَّمَ على نفسه أَكلَ التِّين، إلَى يَومِ الدِّين!!!!

فقال العبد: خُذْهُ يا إمام!! فإنك إن أخذْتُه كَان عِتْقِي!! فقال مالك:

إن كان فيه عِتقُكَ، فإن فيه عُبوديتي وَرِقِّي!!!

www.alukah.net

تاسعًا: سحائب المنن الإلهية

١ـ سلعةٌ ثمنها للجنة؟

أخرج **أبو داود** في سننه بسند صحيح من حديث **ثوبان** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَكَفَّلَ لِي أَنْ لاَ يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا، وَأَتَكَفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟!**» فقلتُ: أنَا، فَكَانَ لاَ يَسْأَلُ أَحَداً شَيْئًا «فكان ثوبان يقع سوطه وهو راكب فلا يقول لأحد ناولنيه حتى ينزل فيأخذه»[(١)].

رسالة الحديث:

إنها رسالة واضحةٌ، قاطعةٌ صادحة!!

من لم يسأل الناس شيئًا، تكفل النبي ﷺ له بالجنة!!

شق الحديثُ شغافَ قلب **أبي الدرداء** رضي الله عنه، واستقر فيه عملاً وأداءً، وما إن لاقى زوجته حتى نهاها قائلاً: إياك أن تسألي الناس شيئًا!! فقالت: فإن احْتَجْتُ أمرًا!! فقال: تَتَبَّعِي الحَصَّادِين، فانْظُرِي مَا يَسقُطَ منهُم فَخُذِيه فاطحنيه ثم اعجنيه، ثم كليه ولا تسألي أحداً!!

إخوتاه..

إن الله تعالى نَزَّهَ عباده في الجنة عن المسألة، فإن تمنى العبدُ فاكهة أو حاجة وجدها أمامه؛ ليتم الله النعمة عليه، ويكون في نعيمٍ تامٍ واصلٍ إليه، فلا يستذل أو يفتقر إلى أحد بالطلب منه[(٢)]!!!

---

(١) سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٦٤٣)، ص (٢٥٤)، وقال الألباني: صحيح.

(٢) دروس للشيخ أبو إسحاق الحويني.

٢ـ والأموال تلاحقهم:

قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]

رسالة الآية:

إن ثمة ثلة من الفقراء أبوا أن يدخلوا في مِنَّةِ أحدٍ أبدًا، فلم يسألوا الناس إلحاحًا، حتى ظَنَّهُم الجُهَّالُ أغنياءَ من تَمَامِ عِفَّتِهِم، فَعَرَّفَ الله المؤمنين بسيماهم وَصِفَاتهم؛ كَتَوَاضُعِهم ووقَارهم، وهَيبتهم وجَلالَهم، فَصَار من يتفرسهم فَيعرِفَهُم؛ ينقلُ الأموالَ إليهم، فأتتهم كَفالةٌ مَاليَّةٌ ربانية، دون أن يتكلموا بكلمة أو يخبروا بِطَوِّية!!

أخي..

إن رزقَكَ يُطارِدُكَ، تمامًا كما يُلاحِقُكَ أجلُك، فَرِزْقُكَ آتيك وإن لم تَأتِه، ولكن تأبى سنة الله تعالى إلا أن تزيد المُتَعَفِّفَ غِنىً، والسائلَ فَقرًا، ورحم الله الشافعي الذي أَحَبَّ أن يُطمئِنُكَ فقالَ لك:

سيُفتَحُ بابٌ إذا سُدَّ باب نعم ... وتهون الأمـــور الصعـــاب
مـــع الهم يُسْران هَوِّن عَليـــكَ ... فلا الهمُّ يُجْدِي ولا الاكتئـــاب
ورزقٌ أتـــــاك ولـم تـــأتـه ... ولا أرق العيـن منه الطِّـلاب
إذا احتجت النـاس عن سائل ... فما دون سائل ربـــي حجـاب
يعود بفضل على مـن رجـــاه ... وراجيه في كل حين يُجـاب[1]

ذكر الشيخ **عبد الله عزام** رحمه الله خبرَ رجل مُحسن من كبار المنفقين على الجهاد الأفغاني،

(١) ديوان الشافعي ص (٢٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اسمه «إبراهيم الجليدان «كان موظفًا في مطار المدينة النبوية، فجاءه أحد الأمراء وطلب منه أن يشتري له مجموعة من الأراضي حول المطار، وكانت بخسة الثمن؛ إذ إنَّ المطار في بداية نشأته، فاشترى مساحات شاسعة ب [٤٠ ألف ريال] وقد استدان المبلغ من أناس لا يُحصون كثرة، فلما أتى الأمير وأخبره؛ تَنكَّرَ لَهُ، وقال: ضاق الحال بي، ولا أريد الأرض!!!!

فقال: دفعت [٤٠ ألف ريال] من أين أُعِيدها لأصحابها؟!!

قال: لا علاقة لي بذلك!!

فاسترجع الرجل، وسأل الله الفِكَاكَ من الكارثة، وبدأ يَعِدُ هَذا بِأَجَلٍ، وآخر بِأَجَلٍ، ويُصَبِّرَ هَذا، وَيرجُو هذا، وَدَارت الأيام؛ لِيَكُونَ المطارُ مَعلمًا لامعًا تُشَدُّ رِحَالُ المُسافِرِينَ إليه، وأصبحت قطعةُ الأرضِ الصغيرة تباع بمئات الملايين، وأصبح من كبار أغنياء المملكة العربية السعودية، فقد جاءه الرزق رغم أنفه، فأنا أريد، وأنت تريد، والله يفعل ما يريد[١]!!!

٣ـ شرف النفس وسيادة الخلق:

دخل أعرابيٌّ البَصرةَ بالعراق، فَهَالَهُ ثَناءُ النَّاس على الإمام الحسن البصري، وأن له شرفًا يَنْطِح النُّجُوم، وَيَعْلُو جَنَاح النَّسْرِ، وَيَزْحَمُ مَنْكِب الْجَوْزاء، فسأل عقلاءَهُم عن سُلَّمِ إمامهم الذي أَعرَجَ فيه، فقالوا له:

احتاج الناس إلى علمه، واستغنى هو عن دُنيَاهم!!

فَنَقَّبتُ عن مذهبِهِ في المسألة؛ فألفيتُه يقول: لا يزال الناس يكرمونك ما لم تعاط ما في أيديهم، فإذا فعلت ذلك استخفوا بك، وكرهوا حديثك وأبغضوك!! وهذا ما عناه الخطابي

(١) عبد الله عزام/ تفسير سورة التوبة ص (١٩٣).

بقوله: إن الأغنياء لا يعطونك بقدر ما يغنونك، إنما يعطونك بقدر ما يفضحونك[١].

وفي الاتجاه المعاكس:

سأل أعرابيٌ قومًا إعانته فقال ببلاغةٍ باهرة: رحم الله امرءًا لم تَمُجُّ أذنه كلامي، وقدم له معذرة من سوء مقامي، فإن البلاد مُجدبة، والحال صعبة، والحياء زاجر عن كلامكم، والفقر عاذر يدعو إلى إخباركم، والدعاء إحدى الصدقتين، فرحم الله امرءاً آسى بِمِير، أو دعا بِخَير!!

فعجب القوم من فصاحته فقالوا له: ممن أنت؟ فقال:

اللهم غفرًا؛ إن لُؤمَ الاكتساب يمنع الانتساب!!

إذا تقرر هذا؛ فمن ابتغى معراج شرفه عرفه، ومن أراد سبيل ذله أدركه، والحال كما قال **أبو الفرج البيغاء**:

ما الـــذُّلّ إلاَّ تحمّـــل المنـن فكن عزيزاً إن شئت أو فهن

٤ـ لذة المناجاة مع الله:

قال أحد العُباد العارفين بالله:

إنه لتكون لي حاجة؛ فأنصب قدمي داعيًا ربي إياها؛ فيفتح عليَّ من مناجاته، ومعرفته، والتذلل له، ما أحب أن يؤخر عني قضاؤها، وتدوم لي تلك الحال، فيكون ما نلت أكثر مما تمنيت!!!

تحدث الشيخ **محمد المختار الشنقيطي** عن هذه الساعة فقال:

ما ألذَّ العبودية لله، ولقد ذهبت من الدنيا حلاوتها، وانقضت طلاوتها، وتغير الزمن، وكثرت الفتن، ولم يَبْقَ من الدنيا إلا الأنس بالله، ومناجاة الله، حين يقوم وليُّ اللهِ تَاركًا حِبَّهُ

(١) الخطابي/ العزلة (١/ ٦٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وزوجَه، ينصبُ قدميه بين يدي ربه، يناديه، ويناجيه، فما ألذها من ساعة؟ وما أعظمها من سعادة؟!!!

فكيف لو علمت عظيم محبة الله لعبده إذا دعاه وسأله، وقد اقتنصتُ لك كلامًا ذهبيًا من روائع كلم **ابن القيم** قال فيه:

إن الله جواد له الجود كله، يحب أن يُسأل ويطلب منه، ويُرغَب إليه، فَخَلَقَ من يَسأله وألهمه سؤاله، وخلقَ له ما يسأله، فهو خالقُ السائل، وسؤاله، ومسئوله، وذلك لمحبته سؤال عباده له، وغضبه على من لم يسأل، مع أن السؤال يعود على سائله بالخير!!!

نسائم الروح

جاء فقيرٌ إلى **بشرِ الحافي** يطلب منه أن يدعو الله أن يُذهِبَ عنه الفقر، فقال له **بِشر**: إذا قال لك عيالُك: ليس عندنا دقيق ولا خُبز؛ فادع الله عَزَّوَجَلَّ أنت في ذلك الوقت؛ فإن دعاءك أفضل من دعائي!!

٥ـ ومنحك النصرة:

من أبى مسألةَ العبد، وأدمن سؤالَ الرب، قَرَّبَهُ وَرَعَاه، ونَصَرَهُ وتولاه، بل جعل السماءَ فِي خِدمته، والأرضَ رَهْنَ إشارته، فَمَن وَجَدَ الله فَمَاذا فقد؟!! ومن فَقَد اللهَ فَمَاذا وَجَد؟!!

فهذا **صلةُ بن أَشيَم** يَعتَلِي فَرسه وينطلقُ مُجاهِدًا في سبيل الله في غزوة فَمَات فرسه، فتلفت يمينًا وشمالاً، ثم قال: اللهم لا تجعل لِمَخلوقٍ عليَّ مِنَّة؛ فإني أستحيي من سؤال غيرك!! وعلم الله صدقه في سَرَّائه وضَرَّائه؛ فأحيا الله تعالى له فرسه، فَرَكِبَهُ، وأمضى ما كان من أمره، حتى إذا وصل أهله قال لغلامه:

فك السرج؛ فإن الفرس عَارِّية!!! فما نزع السرج إلا وهبط والفرس ميتًا[1]!!!

(١) ذكرها الشيخ علي القرني في محاضرته: علمتني الحياة في ظل العقيدة!! ومعنى عاريَّة: أي مستعارة.

وهذا ما أراد **عمر** ﷺ غرسه في بنيان شخصية **أبي عبيدة** ﷺ من خلال المشهد الآتي:

كتب **أبو عبيدة بن الجراح** ﷺ عام اليرموك إلى **عمر** ﷺ يلتمسه مددًا يستنصر به على الكفار، وأن جُموعًا لا قِبَلَ لَهُم بها قد نزلت بِهِم، فلما وصل الكتابُ بَكَى الناسُ، وأشدهم بكاءً **عبد الرحمن بن عوف** ﷺ، فأشار على **عمر** ﷺ بالخروج، لكن **عمر** ﷺ كان يرى أن هذا لا يمكن، فَكَتبَ إلى **أبي عبيدة** ﷺ رسالةً وجيزة قال له فيها:

«إنَّهُ مهما ينزل بامرئ مسلمٍ من شدة، فيُنزلها بالله ﷻ، يجعل الله له فرجًا ومَخْرجًا، فإذا جاءك كتابي هذا؛ فاستعن بالله وقاتلهم»!!

فأنزل **أبو عبيدة** والذين معه مسألتهم بالله تعالى؛ فقاتلوهم وانتصروا!!

نسائم الروح

كان **ابن تيمية** يبقى حتى الضحى في محرابه؛ يذكر الله ويدعوه، فسأله ابن القيم عن مبالغته في ذلك، فقال: هذه غَدوتِي، إن تركتها سَقَطَت قُوَّتِي!! فكانت تأتيه قناطير الذهب والفضة ويردها على الفقراء، وما عنده إلا ثوب واحد!!!

عاشرًا: البيان الختامي

أخي..

حين تسلك الطرق فتجدها قد سُدَّت، وتطرق الأبواب فتجدها قد أُغلقت، وتطلب العون من أهل العون؛ فما ثَمَّ إلا عاجز أو جبان، فاعلم أنه إنما سَدَّ عليك الأبواب كلها؛ لِتَطرِقَ بابَه، وقطعَ عنك الحبالَ جميعها؛ لِتَعتَصِمَ بِحَبلِهِ، وأنه اشتاقَ إلى أن يَسمَعَ منكَ نَغمات هتاف:

يا رب.. يا رب[1]!!!

(١) خالد أبو شادي/ صفقات رابحة ص (٤٨).

www.alukah.net

أخي..

من أبى سؤال العبد، وأدمن دعاءَ الرب؛ فتوفيقُه ظاهِرٌ باهر، ومن سأل الرب، واستعان بالعبد؛ فهذا إيمانُه منقوصٌ قاصر، أما من هَجَرَ سؤال ربه، وأدمن سؤال مخلوق مثله؛ فهذا مخذولٌ فاتر، وإن قَدَّمَهُ الناس فهو في الأواخر!! فمن أي رتبةٍ أنت؟!! أيُرضِيكَ ذُلُّ الطلب والمسألة؟!! أَتَقْبَلُ بابِ فقرٍ ومسكنة؟!! أو كُلَّمَا أَعسرْتَ استدنت؟!! وَكُلَّمَا اشتهيتَ اشتريت؟!! لو أردتَّ كُلَّ مَغنَمٍ في دُنيَاك، فَهَل بَقِيَ للجنَّةِ فائدةٌ في أُخرَاك؟!!

إذا كان بابُ الذُلِّ مِن جَانبِ الغِنَى سَمَوْتُ إلى العَلياءِ مِن جَانِبِ الفَقْر

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مَنْ شَغَلَتْهُ أُخْرَاه
كَفَاهُ اللهُ هُمُومَ دُنْيَاه

أولاً: بطاقة تعريف

مَن جَعلَ الهمومَ هَمًا وَاحِدًا هَمَّ المعاد، وَقَضى عمره خادمًا لدينه نافعًا للعباد، أَيامُهُ بينَ عِبَادةٍ وَجِهادٍ، وَرِسَالةٍ وَإعدادٍ، تَكَفَّلَهُ الله بِرِزقٍ ما لهُ من نَفَاد، وَكَفاه همَّهُ والأولاد، ورَزَقَهُ السعادة والرشاد، أما من كَانت الدُّنيا همَّهُ فقد تشعبت به الهموم والأحقاد، ولم يَأْتِهِ مِنهَا إلا ما قُدِّرَ له بِلا بَركةٍ ولا ازدياد، وكان عندَ الله هَالكًا مَذمومًا يومَ التَّنَاد!!

على عتبات المسير

تأملت حال الإنسان، فوجدته مشغولاً برزقه، مع أن الله تكفل له به، بل الرزق يلاحق صاحبه كما يطلبه موته، إلا أن الشيطان أنساه وعد ربه، وَدَبَّرَ له ألف حيلة وحيلة؛ لِنَيلِ أَمرٍ مقطوعٍ به، فثبت لديَّ أن أكثر الخلق يعلنون حربًا ضد أنفسهم، ويخططون دومًا لشقاء ذواتهم، فكانت هذه الكلمات تذكيرًا بِسُنَّةِ الله ﷻ؛ علَّ الله سبحانه أن يؤوي بها أُنَاسًا ضَلُّوا، فَيَجِدُوا السعادة التي فقدوا، إنَّ ربي على كل شيءٍ قدير!!

ثانيًا: نصوص الوحي تناديك

١ـ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣١، ١٣٢]

رسالة الآيتين:

نزل بالنبي ﷺ أضيافٌ ولم يكن عنده ما يُطعِمُهُم، فَأرسَلَ أبا رافع إلى يهودي ليستَلِفَ

www.alukah.net

دقيقًا، فأبى إلا بِرَهْنٍ، فلما عَلِمَ النبيُّ ﷺ بِمَقالته اشتدَّت عليهِ، فَنَزَلَ جبريلُ بِهَذهِ الآيات ليُقِرَّ بها قلبه وَعَينيه(١)..

والرِّسالةُ مفادها: يا مُحَمَّد: لا تُطِل نظرك ميلاً لِمَا متعنا به الكفار من المناصب والمال، والمناكح والجمال، بل اجعلها في زنزانة الإهمال، فإنها لهم فتنة، وعليهم وَبَال، وإنَّ ما أنت فيه من رزقٍ خيرٌ مما هُم فِيهِ، ولكن اشتغل بِرِسَالةِ رَبِّك، يكفيك دنياك ورزقك، فمن كان في عملنا كُنَّا في عمله، وإذا فَعَلت ما نُرِيد، أعطيناك من الرزقِ ما تُريد ونزيد(٢).

فَقِهَ الرسالة جيدًا الحسنُ البصري فراح يقول:

لولا حُمقِ الناس لعَمُرَتِ الآخرة وخربت الدنيا، فإن الله أمرنا بِالدِّين وتكفل لنا بالرزق، وكأني به يطوف بِخَياله يتذكر أصحاب محمد ﷺ فقال: رحِم الله أقوامًا كانتِ الدّنيا عندَهم وديعة، فأدَّوها إلى مَن ائتمنهم عليها، ثمّ راحوا خفافًا!!!

٢ـ وطائفة أهمتهم أنفسهم:

قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى: ٢٠]

رسالة الآية:

إنَّ ثلة مغبونة محرومة مخذولة لا تبتغي إلا دنياها، ولو فاتتها أخراها، وإنَّ أسمى أمانيها إشباع بطونها وشهواتها، والتحصل على رغائبها، وقد يعطيها ربها ما أرادت استدراجًا لها، ومكرًا بها، ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٢]!!

فنحن أمام أنموذج همه نفسه، وشهوته وبطنه، لا يعبأ أن تنتصر دعوة ربه، كذاك المنافق الذي لما رأى تنافس الصحابة على البيعة تحت الشجرة؛ انفلت يبحث عن جملٍ له أحمر،

(١) السيوطي/ أسباب النزول في حاشية تفسير الجلالين ص (٢٧١).
(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٢٨)

وقال: لحُصولي على جملي هذا أحبُّ إليَّ من بيْعتِكُمْ!! فَوَرَدَ النَّصُّ النبويُّ يُصَرِّح: «**كُلُّكُمْ مَغْفُورٌ لَهُ إِلَّا صَاحِبَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ**»!!

فَحَزِنَ الصحابةُ لهذه الهِمَّةِ الدنية؛ فذهبوا إليه وقالوا له: «تَعَالَ يَسْتَغْفِرْ لَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: وَاللهِ لَأَنْ أَجِدَ ضَالَّتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي صَاحِبُكُمْ»[١]!!!

نسائم الروح

قرع **الحسن البصري** باب قلوبنا؛ ليفضح كل خائف على رزقه أن يضيع، فقال:

قَرَأْتُ فِي تَسعِينَ مَوْضِعًا فِي القُرْآنِ أَنَّ اللهَ قَدَّرَ الأَرْزَاقَ، وَقَرَأْتُ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ فَشَككنَا فِي قَوْلِ الصَّادِقِ فِي تِسعِينَ مَوضِعًا، وَصَدَّقْنَا قَوْلَ الكَاذِبِ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ!!

ثالثًا: من غيث الرسالة

١ـ ميزان راجح:

أخرج **الترمذي** في سننه من حديث **أنس بن مالك** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ**»[٢].

رسالة الحديث:

جعل الله تعالى فئات العباد تندرج تحت لواءين: الدِّين والدُّنيَا، فَقَضَى بِحِكمَتِهِ أَنَّ من

(١) صحيح مسلم، رقم الحديث: (٧٢١٥)، (٨/ ١٢٣).

(٢) سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٤٦٥)، ص (٥٥٦)، وقال الألباني: صحيح.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَامَ بِحَقِّ الأولِ وَهُو الدِّين، فَإِنَّه يَتكَفَّلُ أمرَهُ في الآخر وهو الدُّنيا، أما الفَاتر في الأول فَمَوكُول إلى نفسه، وَمحرومٌ من العِنَايةِ الإلهية في الآخر..

أخي..

إنَّ من تَفَرغَ لِخدمة دِينه؛ فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَتولاه، شَاءت دُنْيَاه أم أَبَتْ، بل يَحيا فِيهَا سَعيدًا بِلا غَمٍّ وَلا هَمٍّ، ولا يخشى فَوات دينارٍ ولا دِرهَم، ولَّما غضَّ عنها البصر، وجد ربه يكفيه كل أَمْر، فَأَعمَلَ وقتَهُ كله في إعلاء لواء دينه، والتهيؤ لِيَوم الحساب، فَأتاه رزقُ الله من حيث لا يَحتَسبُ بِغَيرِ عِدَادٍ ولا حِسَاب..

أما من كانت الدنيا همه، كَثُرَ في الدنيا والآخرة غمُّه، وأكثر اللهُ مهامه وشغله، وعُرِضَت له الشهوات عرضًا، حتى سيطرت على كيانه وقلبه، وحُرم من حُبِّ الطَّاعة، وَكَثرةِ المُناجَاةِ والضَّراعةِ، ثم تتمنع عليه الدنيا، فلا تُعطِيهِ إلا ما كُتِبَ له، بلا زيادةٍ ولا بَرَكة، بل يَتَنقَّل من أزمةٍ إلى أخرى، وفي الأثر:

«يَا دُنيَا اخْدِمِي مَنْ خَدَمَنِي، وَأَتْعِبِي مَن خَدَمَكِ!!»

عقد وهب بن منبه المقارنة بين الدنيا والآخرة، وبعد التحقيق، أفاد بفهمه الدقيق:

«إنَّهُمَا كَالضُّرتين إذا أَرضَيتَ إحداهُما أَسْخَطتَ الأُخْرَى!!»

وقد جسَّد الشاعر هذا المعنى بقوله الرقراق:

عَتِبْتُ على الدنيا لِرفعة جاهلٍ ... وخفضٍ لذي علم، فقالتْ: خُذِ العُذْرا

بنو الجهلِ أبنائي لهذا أُجِلُّهم ... وبنو العلم أبناءُ ضُرَّتِي الأخرى

أَأَتْرُكُ أبنائي يموتون ضَيْعةً ... وأُرضِعُ أبناءَ ضرتي الأخرى

استجاب سلفنا الصالح لنتيجة المقارنة، فَعَمَّرُوا آخرتهم، وإذا بالدنيا تسخط، فَعَجِبَ عُشَّاقُهَا منهم كيف تركوها ومنها يَفِرُّون، فَأَخذُوا منهم يضحكون، وإذا مروا بهم

يتغامزون، وقد رأى الإمام الحسن البصري الفريقين، فكتب تقريرًا دقيقًا جاء فيه:

«أَدْرَكنَا أقْوَامًا لَو رأيتُمُوهُم لَقُلْتُم مجَانِين، وَلَو رَأَوْكُم لَقَالُوا شَياطِين»!!

فَلَمَّا كان يومُ القيامةِ، وإذا بِأَهلِ الدُّنيا يأتون، وفي أعينهم الحَزَن، أما أولئكم فيتقدمون وهم يَضحَكُون، فهل هؤلاء كهؤلاء يا أخي؟ حقًا وربي لا يستوون!!!، اقرأ إن شئت قول الله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [البقرة: ٢١٢]!!

٢ـ الهم المنتصر:

أخرج **ابن ماجه** من حديث **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه قال: سمعت نبيكم ﷺ يقول: **«مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا هَمَّ الْمَعَادِ كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهِ هَلَكَ»**[1].

رسالة الحديث:

يا الله.. ما أزكى هذا الحديث!! وما أَجَلَّ هذا الكلام!!

إنَّ من تغافل عن كل الهموم إلا هم مَعَاده وآخرته تكفل الله له بهمومه الباقية جميعًا، أما من عاش حياته في تلك الهموم؛ فلا يُبَالِ اللهُ في أي مكانٍ هلك..

أخي..

إنَّ الإنسان بِجَهالته يفكر اليوم في ألف هَمٍّ وَهَم، ويعلم اللهُ أَنَّ النفسَ تضيقُ بِهَمٍّ واحدٍ، فَكَيفَ بِثَانٍ وَثَالِثٍ وَألف؟! فَتَجِدْهُ يمشي كَالعَرجاء، مُتَخبطًا في الظلماء، يَقتَرِفُ الشبهات علَّه يُحَصِّل درهم، ويحتال على الشريعة علَّه يأتي بدينار، وما عَلِمَ أَنَّهُ يُحارب نفسه، وينتقم من ذاته، ويُلقِي بها في مَهاوِي الردى..

---

(١) سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٤١٠٦)، ص (٦٨٣)، وقال الألباني: حسن.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إذا أتت الإساءَة من وضيعٍ ... ولم أَلُمِ المسيءَ فمن ألومُ
ولو كان همًّا واحداً لاحتملتهُ ... خواطر قلبي كلُّهنَّ همومُ

إنَّ السَّعيدَ من جَعَل الهُمومَ همًا واحدًا، فَإن سَار فَلِلَّه، وإن تكلم فَبالله، وإن سَكَت فَمَع الله، ينامُ بِلا هُموم، ويَبِيتُ بِلا غُموم، فَهَذَا عثمان بن مظعون ﷺ لما دخل عليه النبي ﷺ وهو في الموت، قَبَّلَهُ ثم زَكَّاهُ بِأَجَلِّ شَهادة:

«**رَحِمَكَ اللّهُ يَا عُثْمَان.. مَا أَصَبْتَ مِنَ الدُّنيَا وَلا أَصَابَت مِنْكَ**»[1]!!

وانظر لِعَبدِ الله بن عُمر ﷺ: كَان لَهُ حِمارٌ فَبَاعَهُ، فَقِيلَ له: لو أمسكته! فقال: لقد كان لنا مُوافقاً؛ وَلكِنَّهُ أذهب بِشُعبَةٍ من قلبي، فَكَرِهْتُ أن أُشْغِلَ قلبي بِشَيءٍ..

فَتَفَرغ -أُخَيَّ الفاضل- من هُموم الدنيا، وَكِلْهَا لمن يكفيك إياها، فإن فعلت أغناك وَسَدَّ فقرك، وكان لك بِكُلِّ خيرٍ أسرع، فقد أخرج الترمذي وابن ماجه في سننيهما من حديث أبي هريرة ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: «**يقول الله سبحانه: يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنًى، وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَلأْتُ صَدْرَكَ شُغْلاً، وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ**»[2]!!

وفي الأثر الإلهي:

«عبدي.. كُنْ لي كما أريد أكنْ لك كما تريد، أنت تريد وأنا أريد، فإذا سلمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد، وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد، لي عليك فريضة، ولك عليَّ رزق، فإذا خالفتني في فريضتي لم أخالفْك في رزقك، وعزتي وجلالي إن لم تَرْضَ بما قسمته لك؛ فلأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البَرِّيَّة، ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك ولا أبالي، وكنت عندي مذمومًا»!!

---

(١) السيوطي/ جامع الأحاديث (١٣/ ١٣٠).

(٢) سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٤٦٦)، ص (٥٥٦)، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٤١٠٧)، ص (٦٨٣)، وقال الألباني: صحيح.

رابعًا: مآثر الأيام

١ـ المحمدون الأربعة وخبرهم العجيب:

محمد بن خزيمة، ومحمد بن جرير، ومحمد بن هارون الروياني، ومحمد بن نصر المروزي، جمعتهم الرحلة في طلب العلم بِمِصر، فجمعوا نفقاتِهم حتى فَنِيَت، وليس عندهم ما يَطْعَمُونه، فَلَمَّا اشْتَدَّ بهم الجوع اتفق رأيهم أن يَستَهِمُوا فمن خرجت القرعة في حقه سأل لأصحابه الطعام، وإلَّا هلكوا، فَرَشَّحَتِ القرعةُ ابن خزيمة، فقال لأصحابه: أمهلوني حتى أصلي صلاة الاستخارة، فاندفع يصلي..

وإذا بِرِجَالِ السلطان أحمدَ بنِ قولون يطرقون الباب، فتقدم أميرهم قائلاً: أيكم **محمد بن نصر**؟ قيل: هو ذا، فدفع إليه صرة فيها خمسون دينارًا ذهبيًا، وَكَذا للثلاثة الباقين وقد سمَّاهم بأسمائهم، ثم قال: إن الأمير كان نائمًا فَرَأَى طيفًا يخاطبه: إن المحامد جياع، إن المُحَمَّدِينَ الأربعة في بلدك نيام، وأَرَّقَهُم الجوع!!

فقام فزعًا يسأل عنكم حتى اهتدى إليكم، فدفع إليكم هذه الصُّرَر، ويقسم بالله عليكم إذا نفذت أن تبعثوا إليه ليزيدكم[1].

٢ـ والله لأجعلن الهم همًا واحدًا:

كتب **معاوية** رضي الله عنه إلى **عبد الله بن عامر** أن يُزَوِّجَ الرجل الصالح **عامر بن قيس**، ويخطب له من شاء من النساء، ونفقات الزواج من بيت المال، فلما أُخْبِرَ أَبَى العَرْضَ، وقال: أنتم أحوج إلى ذلك مني، ثم إنِّي في الخِطْبَة دائبٌ، فقال **عبد الله بن عامر**: إلى من؟ قال: إلى من يقبل مني التمرة والفلقة!!

(١) الذهبي/ سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم أقبل إلى جلسائه وقال: إني سائلكم فأخبروني.. هل منكم أحد إلا لِمَالِهِ من قلبه شعبة؟ قالوا: اللهم نعم، قال: هل منكم أحد إلا لولده من قلبه شعبة؟ قالوا: اللهم نعم، قال: هل منكم من أحد إلا لأهله من قلبه شعبة؟ قالوا: اللهم نعم، قال: والذي نفسي بيده لأَن تَختلف الخناجر في جوارحي أحب إلي من أكون هكذا، أَمَا وَاللهِ لَئِن استَطعْتَ أَن أَجْعَلَ الهَمَّ هَمًا وَاحِدًا لأَفْعَلَن[1]!!!

قَال **الحسنُ البَصري**: ففعل وربِّ الكعبة حتى لحق بالله[2]..

٣ـ أتته الدنيا راغمة فركلها:

بايع الناسُ عمر بن عبد العزيز بِالخِلافة، وقام لِيُلْقِيَ أول خطابٍ له، فتعثر في طريقه إلى المنبر؛ رهبةً من ربِّ البرية، وشعورًا بِثِقَلِ المسئولية، فلمَّا اعتدل قال: إخواني.. لقد بُويعتُ بالخلافة على غير رغبةٍ مني، وإني قد خَلعْتُ ما في أعناقكم من بيعتي، فاختارُوا لأنفسكم!! فَصَاحَ الناسُ صيحةً باكية، وقالوا بصوتٍ واحد: قد اخترناك، ورضينا بك، فبكى وهو يقول: الله المستعان.. الله المستعان، فلما نزل من منبره وجد الحرسَ أعدوا خيلَ موكب الخلافة، فأبى ركوبها وسار على بغلته!!

دخل عليه كعب القرظي العابد بعد أيام من خلافته، فَعَجِبَ من هيئته.. وجهٌ شاحبٌ، وبدنٌ نَاحِلٌ، كَأَنَّ جبال الدنيا سقطت عليه!!، فقال يا عمر: والله لو دَخَلْتُ عليك في غير هذا المكان ما عرفتك، لقد رأيتك وأنت أبهى فتيان قريش، نَضِرَ البشرة.. لَيِّنَ العيش، فقام **عمر** باكيًا، وقال:

أما إنك لو رأيتني بعد ثلاث ليال من دفني، وقد سقطت العينان، وانخسفت الوجنتان، وعاشت في الجوف الديدان، وتغير الخَدَّان، لَكُنْتَ لِحَالِي من حالي أشدَّ عجبًا، وأعظم

(١) ابن عساكر/ تاريخ دمشق (٢٦/ ٢٠).
(٢) ابن المبارك/ الزهد (١/ ٢٩٤).

إنكارًا، فَبَكَى كَعبٌ، وبكى الحاضرون، حتى ضَجَّ مجلسه بالبكاء!!!

ومضت خلافته ثلاثين شهرًا، هِيَ وربي خيرٌ من ثلاثين قرنًا، ما إن بدأ حتى منَّ الله عليه بالمال والسعة، فقضى ديون الدولة كاملة، والمال في زيادة، فأنشأ عشرات المشاريع التنموية للبلاد، إلا أن المال زاد وفاض، فأرسل من ينادي عقب كل صلاة: أين الفقراء والمحتاجون؟ فقضى حوائجهم جميعًا، حتى انتهت المسألة والتسول من دولته، ثم أرسل من ينادي بقضاء الدَّيْنِ عن الغارمين، حتى لو كان المدين صاحب مسكن وأثاث، وخادم وفرس، فقضى ديون رعيته جميعًا، ونظر إلى بيت المال، فرآه عامرًا بالأموال، فكتب كتابًا يُقرأ على الناس: من كانت عليه أمانة لا يقدر على أدائها؛ فأعطوه من مال الله، ومن تزوج امرأة لا يقدر أن يسوق إليها مهرها؛ فأعطوه من مال الله[1]!!!

هو البحر من أيِّ النواحي أَتَيْتَه ... فَلُجَّتُهُ المعروفُ والجودُ ساحله

ولـو لم يَكُ في كفه غيـر روحه ... لجاد بها، فليتـقِ اللـه سائلـه

رسالة المأثر:

إنَّ عمر لَمَّا جعل الهموم همًا واحدًا كفاهُ الله هَمَّهُ وَهَمَّ رعيته، حتى سارت تجربته تدرس في النظم الاقتصادية المعاصرة، وهذه نتيجة حتمية، فما كذبت سنة الله قط، ولكن أكثر الناس لا يتذكرون!!

خامسًا: ذخيرة الأسرار

١ـ الغلبة للأقوى:

إذا تشعبت الدنيا بِهُمومها في قلب الإنسان هَيمَنت عليه، ولما كان هَمُّ الآخرة لا يُزَاحِمُ

(١) علي الصلابي/ عمر بن عبد العزيز (٣/ ٤٨٨) وما بعدها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

غيره لِعِزِّهِ وشَرَفِهِ، فيبقى الإنسان أسيرًا لدنياه، والآخرةُ لا تتدخل، أما إن تَصَدَّى لأجرِ هَمِّ الآخرةِ، وجعل الإمامة له في القلب، فإنه يغلب غيره، فتخضع له باقي الهموم مُؤتمرة بأمره، فالدنيا والآخرة في القلب ككفتي ميزان، إذا رجحت واحدة خفَّتِ الأخرى..

ولهذا سكب الشوكاني كلمات ذهبية في فؤادك، علَّ دينك يهزمُ دنياك، فقال:

على المرء أن يُفَرِّغَ قلبَهُ لِيُصَادف الغيث مَحِلاً ينزلُ فيه، وهذا شرطٌ هَامٌ لتنزلات غيث الرحمة، وإن فعل ذلك صَنعَ الله له جميلاً، وَهَيَّأَ لهُ تدبيرًا، ورأى من العجائب ما يسعده في العاجلة والآجلة[1]!!

٢ـ رُدَّ الأمرَ إلى صانعه:

لَمَّا كانت حاجات الإنسان وهمومه غير متناهية، كان لابد من الاستعانة بِمَن قدرته غير متناهية؛ إِذِ الإنسانُ عَاجِزٌ عن دفع حاجاته، أو تحصيلِ مَهَمَّاتِه، ولكن الْزَمْ هَمَّ الدِّين والآخرة، تأتك الآخرة رَاغبة، وأُنوفُ الدُّنيا رَاغمة، بل الأرزاق دومًا قائمة، تأتيك من كل حدبٍ وعينك نائمة، بلا غُمومٍ وَلا هُمومٍ، فَالنَّاسُ فِي مَساجِدِهِم، واللهُ في قضاءِ حَوائجهم!!

ورحم الله من قال:

اعمل لِوَجــهٍ واحدٍ يَكفِكَ الوجــوه كلها، ومن صَفَا صُفّي له، ومن كــدّر كُدِّر عليه، وإنما يُكال للعبد كما كال.. فمن طلب نفسه وضَيَّعَ دينــه، أضاع الله نفسه، وحرمَهُ خدمةَ دينِهِ.

إذا جعلت الهم همًا واحدًا نَعِمْتَ بَالاً وغُنِيتَ راشدًا

(١) الشوكاني/ فيض القدير (٣/ ٣٤٣)

سادسًا: بشائر العافية

١ـ الرِّسَالَةُ الدعوية أولاً:

فائدة علمية

أثبتت التجارب أن الهم رقم [١] في حياة الإنسان، يسيطر على بقية الهموم!!

وعليه:

دعني أستفزَّ همَّكَ؛ لِيَخرجَ إليَّ من أعماق قلبك، دعني أستنطقْ لسانك؛ لأدرك ما يدور بفؤادك..

لمن الإمامة في قلبك؟ لِدُنْياك أَم لِدِينِك؟

سؤال كاشف لتيسير الإجابة:

لو كنت مُدَرِّسًا، وخُيِّرتَ بين مدرستين: الأولى قريبةٌ ومريحةٌ، وأنت من سيتابع عملاً حاسوبيًا فيها، وبين مدرسةٍ بعيدة، براتبٍ أقلَّ، ونفقاتٍ أكثر، إلا أنك تجد أرضًا خصبة للدعوة إلى الله فيها، فأيهما تختار؟

إذا سرت في الطريق، ورأيت المصانع والشركات، ولاحظت قُصُورَهم في أداء الصلوات، فَعَقْلُكَ الآن بم يُفَكِّر؟ في هدايتهم، وآلية نصيحتهم؟ أم في قَدرِ أرباحهم، وتَمَنِّي المَسيرِ على مِنوالِهم؟

وأنت على فراشك: أَتَفْتَحُ صفحة الجيران والإخوان؟!! فتبكي لأن فلانًا لا يصلي، وفلانًا غلبته شهوة النساء، وثالثٌ هجر جيرانه وأرحامه، ثم تُفَكِّرُ وتُدَبِّرُ، وتقوم لورقةٍ وقلم، فَتُعِدُّ الوسائل المفيدة، والآليات السديدة الرشيدة، فالأول بحاجة لِعِظَةٍ، والثاني لزيارة، والثالث لرسالة!!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فإذا انتهيت فكرت في حاجة أهل بيتك، وترتيب قضاء الديون، ثم في رحلة ترفيهية لأهلك وَعَدْتَهُم بها منذ أمد بعيد، أَيَحْدُثُ هذا؟ أم تهجم مباشرة على فقه الادِّخار، وخطة إصلاح الدار، وآلية جلب الدولار والدينار، وتنام فجأة، فتباغتك شمس النهار؟! ثم تبدأ في يومك إلى أن تأتي ساعة النوم، وهكذا إلى أن تنام نومة طويلة، صبحها يوم القيامة!!

نسائم الروح

سُئِلَ **الجُنَيد** عمن لم يَبْقَ من تعلقه بالدنيا إلا مقدار مص نواة، فأجاب في مقارنة نادرة:

«المكاتبُ عبدٌ مَا بَقِيَ عليهِ درهم»!!

والمعنى: إذا كاتب العبدُ سَيِّدَهُ على مبلغٍ مالي مقابل حريته، ثم دفعه إليه ولم يَبْقَ إلا درهم، فلا يزال أسيرًا لعبوديته حتى يؤدِيَه، وكذا صاحب الدنيا، فلو تَخَلَّصَ من كل هَمٍّ دُنيوي، إلا واحدًا جعله إمامًا على هم الدِّينِ والمَعَاد، كَمَالٍ أو زوجةٍ، فإنه لا يزال عبد ماله وزوجته، ولا خلاص إلا بِرَدِّ الإمامة القلبية لدين الله؛ لتكون دنياك في يدك لا في قلبك!!!

٢ـ لا بواكي على الدنيا:

يَحدثُ أن يبتليَ الله صفوتَهُ من عباده بِفَواتِ الدنيا؛ لِيُظهِرَ من يَصلُحَ لموالاته ومن لا يَصلُح، فليس المُراد أن تُعذب، إنما المراد أن تُهَذَّب، فليس المال دلالة على الكرامة، ولا منعه دليل الحرمان أو الإهانة، بل إنَّ نيل الدنيا كلِّها أهو:

إهانة أم كرامة؟!

وهاك الإجابة:

كانت حُجرةُ إمام النبيين **محمد** ﷺ لا تَتَّسِع لقائمٍ وَنَائمٍ في آنٍ وَاحد، فكان إذا أراد السجودَ غَمَزَ قَدَم عائشة رضي الله عنها فَضَمَّت جسدها، فيسجد، فإن قام بَسطتهُ ونَامت!!،

وهكذا تمضي الليالي، فلا هو صلى بارتياح، ولا هي نامت بارتياح!!!

تأمل هذا المشهد أحدُ الصالحين، فأصابته عَبْرَةٌ تَخللهَا كلامٌ ذهبي، أَبُثُّهُ إليك كميزانٍ حَيَاتِي:

فَلْيَنظُر نَاظِرٌ بِعَقلِهِ أَأَكْرَمَ اللهُ مُحَمَّدًا أَم أَهَانهُ لَمَّا أزالَ عنهُ الدُّنيا؟!، من قال إنَّ اللهَ أهانَهُ فقَد كَذَب، ومن قَالَ إنَّ اللهَ أكرمَهُ فَقَد أَهَانَ غيرَهُ لَمَّا أَعطَاهُ الدُّنيَا!!

ترجمة المشهد:

أصحاب الدعوة والرسالة دومًا فرحون، رَاضون مُطمئنون، أَدمَنُوا ذَمَّ الدنيا فتقربت إليهم، أعلنوا إذلالها في كل ميدان، فأكثرت من زيارتهم، أما عُشَّاقها فأعلنوا الحرب بينهم من أجلها، فَسَقَتْهُم سُمًا، وأبدلتهم بِفَرَحِهِم هَمًّا، وأثابتهم على مَدحِهم لَها ذمًّا، وقطعت أكبادهم فَماتوا عَليها غَمًّا، فيَا مَشغُولاً بها تَوقَّع خَطْبًا مُلِمًّا.

وما هي إلا جيفة مستحيلة ... عليها كلاب همُّهن اجتذابها

فإن تجتنبها كنت سِلْماً لأهلها ... وإن تجتذبها نازعتك كلابها

أخي..

والله إنَّ الدنيا أهون في ميزان الله وأحقر من أن تكون جائزةً لطائعٍ مُحسِن، أو عقابًا لعاصٍ مسيء!!

فلو كانت الدنيا جزاءً لِمُحسنٍ ... إذًا لم يكن فيها مَعاشٌ لظالمِ

لقد جاع فيها الأنبياء كرامة ... وقد شبعت فيها بطون البهائم[1]

صبغ **ابن عمر** رضي الله عنهما هذا المعنى بلغته الخاصة فقال:

لا ينالُ أحدٌ مِنَ الدُّنيَا شَيئًا إلا نَقَصَ مِن دَرَجَاتِهِ عندَ الله، وإن كَانَ عندَهُ كَريمًا!!

(١) القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٨٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَقِهَ ابن الجوزي لُغةَ ابن عمر رضي الله عنهما فراح يُقَرِّرُ:

بِقَدَرِ صُعودك في الدُّنيا تَقِلُّ رُتبتكَ فِي الآخرةِ!!

أيها المُتْعِبُ جَهْدًا نفسَهُ يطلب الدنيا حريصًا جاهدًا

لا لك الدنيا ولا أنت لَهَا فاجعلِ الهمّين هَمًّا واحدًا

٣ـ اليقين بأن الرزق آت:

أستفتح بِشَهادةِ فارسٍ تَخَرَّجَ من مدرسة **محمد** ﷺ إنه **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه جاء في شهادته:

إنَّ اليقين ألَّا تحسد أحدًا على رزق الله، ولا تَلُمْ أحدًا على ما لم يُؤتِكَ الله، فَإِنَّ رزقَ الله لا يسوقه حرصُ حَريص، ولا يرده كراهيةُ كاره، وإن الله جعل الفرح في اليقين والرضا، وجعل الهَمَّ والحَزَنَ فِي السَّخَطِ والشَّك!!!

ولهذه الشهادة ترجمة عند **علي** رضي الله عنه، وبذكر **علي** رضي الله عنه تطيب المجالس فقال:

إنَّ أَرجَي مَا يَكُونُ الرِّزْقُ إذا قالوا: لَيسَ في الدنيا دقيقٌ!!

ومن نفس المشكاة المحمدية ما نطق به **مسروق**:

إنَّ أَحْسنَ مَا أَكُونُ ظنًا حِينَ يقولُ الخَادِمُ: ليس في البيت قَفِيزٌ من قمحٍ وَلا درهمٍ!!

وهو ما ظهر من كلام الإمام **أحمد**:

أَسَرُّ أَيَّامِي إلَيَّ يومٌ أُصْبِحُ وَلَيسَ عندِي شَيءٌ.

تشرب هذه الثقافة أحد السلف فقال في يقين:

واللهِ لَو كَانَ أهلُ مِصر كُلُّهُم عِيَالِي مَا خَشِيتُ الفَقْر!!

سابعًا: مراقي الصعود

عد إلى بشائر العافية، وكن من أهلها فإنها تكفيك، وإن أردت الزيادة فنصائح ثلاثة أُهديك:

١ـ الزم ميراث النبوة:

أورد أبو حنيفة في مسنده أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ تَفَقَّهَ فِي دِينِ اللهِ كَفَاهُ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ، **وَرَزَقَهُ مِن حَيثُ لَا يَحْتَسِب**»[(١)]!!!

ذلك أنَّ الفَقِيه حاملُ الأمانة، وَحَارسُ الشَّرِيعةِ، كُلمَا تَسَلَّقَ إلى سماءِ الشَّرع كَاذب، أَحرَقَهُ بِشِهابٍ ثَاقِبٍ، وَصَبَّ عليه العذاب الواصب، فتوى في صحيفة، أقوى من قذيفة[(٢)]، تَكَفَّلَ بحفظ الدين، وَدَلَّ الناسَ على رب العالمين، ومن كان هذا شأنه جُوزِي من جنس عمله، فتكفل الله أمره!!

وإذا شعر طالب العلم بضيقٍ وفقر، فهذا في حياته كَالبَرد وَالحَرِّ، والعافية والضُر، والأمر كما قال **قتادة**: «إِنَّ اللهَّ يُعْطِي الدُّنْيَا عَلَى نِيَّةِ الآخِرَةِ، وَأَبَى أَنْ يُعْطِيَ الآخِرَةَ عَلَى نِيَّةِ الدُّنْيَا»!!!

٢ـ عليك بالقناعة والكفاف:

أخرج **مسلم** في صحيحه من حديث **عَبْدَ اللهَّ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلاً سَأَلَهُ فَقَالَ: أَلَسْنَا مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ؟! فَقَالَ لَهُ **عَبْدُ اللهَّ**: أَلَكَ امْرَأَةٌ تَأْوِي إِلَيْهَا؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَ: أَلَكَ مَسْكَنٌ تَسْكُنُهُ؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَ: فَأَنْتَ مِنْ الْأَغْنِيَاءِ!! قَالَ: فَإِنَّ لِي خَادِمًا، قَالَ: فَأَنْتَ مِنْ الْمُلُوكِ!!![(٣)].

---

(١) مسند أبي حنيفة (١/ ٢٥).

(٢) من كلمات الشيخ عائض القرني في مقاماته/ المقامة الفقهية ص (١٩٩).

(٣) صحيح مسلم، رقم الحديث: (٧٦٥٣)، (٨/ ٢٢٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رسالة الحديث:

إن دخولك لِقَامُوسِ الأغنياء مُتَوَقِّفٌ على حُجْرَةٍ وزَوجةٍ، وإذا وجدت من يُهَيِّأ مَطعَمَك، ويَغسِل ثَوبك، ويُعينك عند مرضك، فأنت في دِيوانِ المُلوكِ، وإن لم تكن لك رعية تَحكُمُهَا، أو مُستندات تَختِمُهَا..

وإذا لم تَرْضَ بحياة الملوك، وأردت الدنيا بما فيها، فثمةَ شروطٌ ثلاثة، إليكَهَا:

أخرج **الترمذي وابن ماجه** في سننيهما من حديث **عبيد الله بن محصن الأنصاري** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، آمِنًا فِي سِرْبِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا**»(١).

وكأني بالصحابي الجليل **ابن عتبة** رضي الله عنه تعلم الدرس جيدًا من نبيه ﷺ فراح يبكي، وإليك سرّ البكاء:

أخرج **ابن ماجه** في سننه عن **سَمُرَة بْنِ سَهْمٍ** قَالَ: «نَزَلْتُ عَلَى **أَبِي هَاشِمِ بْنِ عُتْبَةَ** وَهُوَ طَعِينٌ فَأَتَاهُ **مُعَاوِيَةُ** يَعُودُهُ، فَبَكَى **أَبُو هَاشِمٍ**، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: مَا يُبْكِيكَ أَيْ خَالِ؟ أَوَجَعٌ يُشْئِزُكَ(٢) أَمْ عَلَى الدُّنْيَا فَقَدْ ذَهَبَ صَفْوُهَا؟ قَالَ: عَلَى كُلٍّ لاَ، وَلَكِنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَهِدَ إِلَيَّ عَهْدًا وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ تَبِعْتُهُ قَالَ: إِنَّكَ لَعَلَّكَ تُدْرِكُ أَمْوَالاً تُقْسَمُ بَيْنَ أَقْوَامٍ، وَإِنَّمَا يَكْفِيكَ مِنْ ذَلِكَ خَادِمٌ وَمَرْكَبٌ فِي سَبِيلِ اللهِ.. فَأَدْرَكْتُ فَجَمَعْتُ»(٣)!!!

فَرَحِمَ اللهُ عبدًا جعل الهموم همًا واحدًا، فَقَنِعَ بما كتبه الله له، وغض طَرْفَهُ عما لم يُؤتِهِ، واليقين يملأ قلبه أن الله متكفل بدنياه، فَاشتَغَلَ بما يُسعِدُهُ في آخرته ومُنتَهَاه، وَبَشِّرِ المُؤمنين!!

---

(١) سنن الترمذي رقم الحديث: (٢٣٤٦)، ص (٥٢٩)، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٤١٤١)، ص (٦٨٩)، وقال الألباني: حسن.

(٢) أي يقلقك.

(٣) سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٤١٠٣)، ص (٦٨٣)، وقال الألباني: حسن.

نسائم الروح

يُذكر أنَّ جابر بن عبد الله رضي الله عنهما كان بيده لحمٌ يأكله، فرآه **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه فقال: ما هذا يا جابر؟ قال:

اشتهيت لحمًا فاشتريته، فقرع **عمر** رضي الله عنه قلبه بِعِتَابٍ ناري، قرر فيه أُسَّ التعامل مع المتاع الدنيوي فقال غضبًا:

«أَوَ كُلَّما اشتهيتَ اشتريتَ؟!!»

أولا تخشى يا جابر أن تُحْرَمهُ في الآخرة، ويقال لك ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأحقاف: ٢٠]

٣ـ عِشْ في الدنيا كأنك غريب:

أتمنى عليك إطالة التأمل هنا، فكلمتنا هذه.. خلاصة الوعظ في الإسلام!!

إذا كنت خارج بلدتك في أداء مهمة ألا تشعر بِغُرْبَةٍ شديدة؟، ثم تهرع لإنجاز مرادك في أسرع وقتٍ، وأجود حالٍ، ولا تستقر الطمأنينة بقلبك إلا عند رؤيتك مشارف بلدتك؟؛ ذلك أن المرء مَجْبُولٌ على الحنين لوطنه الأول، ولما كانت الجَنَّةُ أرضنا الأولى فإنا على أرض الدنيا نزلاء، والنزيل مُرتَحِلٌ غير مُقيمٍ في قاموس الغرباء!!

وتأمل صاحب القلم السيال، والقول العذب الزلال.. فقد أتحفك **ابن القيم** بوصية أخوية إليك نصَّهَا:

«وينبغي للعبد أن يرتحل عن الدنيا حتى ينزل بالآخرة، ويحل فيها حتى يبقى كأنه من أهلها وأبنائها، جاء إلى هذه الدار غريبًا يأخذ منها حاجته، ويعود سريعًا إلى وطنه»[1]!!

---

(١) ابن القيم/ إغاثة اللهفان ص (١/ ٧٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي سياق متصل استنكر **ابن القيم** على المتعجب من وصيته السالفة فقال:

كيف لا يكون العبد في هذه الدار غريبًا وهو على جناح سفر، لا يَحُلُّ عن راحلته إلا بين أهل القبور، فهو مسافر في صورة قاعد وقد قيل:

وما هذه الأيـام إلا مـراحـل ... يحث بها داع إلى المـوت قاصد

وأعجب شيء لـو تأملت أنها ... منازل تطوى والمسافر قاعد[١]

لكن الغرباء عملة الزمان الصعبة يا أخي، فلا يُعطَى هذا الشرف لكُسَالى ولا بَطَّالِين؛ يَصِلُونَ الليلَ بالنَّهار شربًا وأكلاً، ويَربِطُون الصباحَ بالمَساء لهوًا ولعبًا، إنما يعطى لمن صَاحَبَ المصباح حتى الصباح، وأمضى ليله ونهاره في العلم والعمل والدعوة والإصلاح.. حتى يلقي الله على ذلك، وطوبى للغرباء!!

فاسأل الله أن يزيدك اغترابًا؛ فإنها وصية النبي ﷺ لابن عمر رضي الله عنهما: عشْ في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، صبغها ابن عمر رضي الله عنهما بلغته، وأخرجها في ثوب عملي:

إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح!!

وقد عرفت مسلك الوصول فَالْزَم!!!

نسائم الروح

قال **الشوكاني**:

ما من هم يجتاح القلب كَمَأْكَلٍ وَمَشْرَبٍ، أو مَنْكَحٍ وَمَسْكَنٍ؛ إلا حُجِبَ صاحبَهُ عن الله بِحَسَبِ قوته وضعفه، ولا خلاص إلا بتفريغ القلب من الشواغل، ولو كان ذلك بالتدرج، وكلما صفى قلبه دفع همًا من هموم الدنيا، وأنزل هَمَّ الآخرة مكانه[٢]!!

(١) ابن القيم/ مدارج السالكين (٣/ ٢٠١).
(٢) الشوكاني/ فيض القدير (٣/ ٣٤٣).

ثامنًا: إشارة حمراء

١ـ الدين أولاً؟

الناس ثلاثة:

* فئةٌ جَعَلت الهمومَ همًا وَاحدًا: هم الآخرة والمعاد، نحسب منهم الإمام الشنقيطي الذي كان لا يعرف الدينار من الدولار، ولا فئة المائة من الخمسين.. وهؤلاء أهل الله وخاصته!!

* وفئة جمعت بين هَمِّ الدين وهموم الدنيا، ففي قلبها مادتان، والحرب بينهما سجال، فالزعامة تكون للدين حينًا، وللدنيا أحيانًا، وصاحب هذا القلب مؤمنٌ ضعيف، يُخشَى عليه أن يموت وهُموم الدنيا في جولة الزعامة!!

* وفئة جعلت الهموم همًا واحدًا لكنه هم الدنيا، مطلب أحدهم من الدنيا دينار، لا يتكلم إلا في الأسعار والعَمار والعقار، ما يذكرون الجنة ولا النار، وإليك قصة أحدهم ذكرها النابلسي..

جاء أحد الشباب إلى رَجُلٍ، فقال له: أتزوجني ابنتك؟ قال له: أعندك بيت؟ قال: عندي بيت، قال: ائتني بالسندات الرسمية لملكيته، جاءه بالسند، قال له: عندك عمل؟ قال: عندي معمل، قال: ائتني برخصة المعمل، وعليها اسمك، فجاءه بالترخيص الصناعي، وعليها اسم الخاطب، قال له: عندك مركبة؟ قال له: عندي، قال: ائتني بِرُخصتها، فأتاه بها، فوافق، وفي مرحلة الخطوبة كان الشاب عند عَمِّهِ في محله التجاري، فدخل بعض التجار، فقال: هذا صهري، خاطب ابنتي، فتغير لون أحدهم، فانزوى به جانبًا، قال: كيف هذا صهرك؟ هذا ليس مسلمًا!! فنادى عليه: هل ما يقوله هذا صحيح؟ قال له: نعم، أنتَ سألتني عَنِ البَيتِ وَالمَعملِ وَالمَركَبَةِ، وَلَمْ تَسأَلْنِي أَبدًا عَن دِينِي!!!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢ـ دراسة العلوم الشرعية.. والوظيفة:

ثلةٌ وَسوسَ لها الشيطانُ؛ لِتَهْتَزَّ عندها صورة اليقين والإيمان، رغبت عن دراسة العلوم الشرعية، بحجة أنَّ الوظيفةَ بعدها أمرٌ صعب المنال، فَلَزِمَ تركها لكثرة الأعباء، وزيادة العيال!!

نصيحة أخوية:

عُد بِنَظَرِكَ لما سبق من آياتٍ وأحاديثَ وأخبارٍ، فإنها ستصيب شيطانك في مَقْتَلٍ؛ ذلك أن القانون الرباني لا يكذب، فمن تعلم دينه، وحمل همَّهُ، أتته الدنيا وهي راغمة، وقد صدق رسول الله ﷺ في ذلك وما كذب، بل إنَّ البيت الذي نَزرَعُ فيه حاملاً لِهَمِّ الدين والشريعة مُرشحٌ قويٌ لدخول بوادر الغِنَى، والبركة في الأهل والمال والولد، كما أنه لا تعارض بين دراسة أي علم دنيوي وبين جعل الهموم همًا واحدًا هو هم المعاد، فتنبه!!

٣ـ من ادعى رتبة سقط منها:

إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا سلب منه رؤية أحواله الحسنة، والإخبار بها من لسانه، وشغله برؤية تقصيره، وبقي يجاهد نفسه حتى يجعل همومه همًا واحدًا، أتكلم بهذا لأن ساحة الدعوة تحدثنا بأناسٍ بالغوا في تزكية أنفسهم، وَرَفْعِ أسعارهم، وقد تجد أحدهم يحمل رسالةَ دينه، إلا أنها في ذَيلِ قائمة الهموم، ومن ادعى رتبة سقط منها..

لقد كذبتَ في دعواكْ بأنه حقًا مُناك
لو كنت مُحِقًا بذاك لما آثرت هواك
لو كنت بِحُبِّهِ متشاغلاً لما شُغلت عنه بدنياك
ولتوكلت عليه وأيقنت بأنه حقًا كفاك
ولما ركنت للأسباب وحسبت بها قضاء حاجتك وغناك

ستَـــراها عما قريـب تنقلـب همـًا وغمـًا تزيـد شقـاك
لـو آثـرت مـــراده لـمـــا أحببت إلا ما اختـــاره مولاك
ولـو وجـــدتـه لما أثقلك هـــمٌّ ولـو دهـاك مـا دهـاك
ولجعلـت همّـك همًا واحـــدًا وكان ديدنـك رضا مولاك
ولا اتخـذت غيـره عـــــزًا لك ولـما افتخـرت إلا بـذاك
فاستغـــن عنهـم وانطلـق وحـــرر أسيرًا ينتظر الفكـاك

٤ـ فهم مغلوط:

ثلةٌ من الشباب ترك الوظيفة، وأبى الزواج، وانسحب من الجامعة، بل إن مفردات الصناعة والزراعة والتجارة والأعمال المهنية عنده من الأمور التي تُذَمُّ على كل حال، وفي كل زمان، وعلى كل لسان؛ ذلك أنها في تعارضٍ حاد مع هم الرسالة الدعوية، فكيف تستوي هذه الدنايا مع الجهاد أو الموت في سبيل الله؟!!

وهذا وربي جناب للصواب؛ إذ إن الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي طلب إلينا عمارة الدنيا، واستخلفنا فيها، وهو من أمرنا بالدعوة والجهاد، ليكون الفهم المتوازن الذي يجمع بين الأمرين بلا إهمال لأحدهما هو الذي ينبغي أن يشق طريقه إلى شِغَاف القلوب!!

ألم يكن آدمُ مزارعًا، ونوح نجارًا، وإدريس خياطًا، وإلياس نساجًا، وداود للسلاح صانعًا، ومحمد ﷺ تاجرًا، بل رَعَى الغنمَ الأنبياءُ جميعًا؟!! ألم يكن أبو بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف تجارًا، وعلي عاملاً، والزبير خياطًا، وعمرو بن العاص جزارًا، وأبو هريرة مزارعًا؟!! لكن المراد أن لا يتعلق قلبك مثقال ذرة بِهُموم الدنيا، بل تجعله منصرفًا لهم الآخرة والدين، فيتكفل الله بدنياك بتمامها بعونه تعالى!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من فرائد الفوائد

إذا سرت في حاجةٍ دنيويةٍ فامشِ دون هرولة؛ فإن الله لما ذكر الدنيا قال: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥]، ولما ذكر ذِكْرَهُ قال: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]، أما عند المغفرة والجنة فقال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، أما حين ذكر نفسه قال: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠]، ومن ارتقى بلغ المرتقى!!

تاسعًا: سحائب المنن الإلهية

أعتذرُ منك أخي القارئ، وَأُعلِنُ عجزي عن تسطيرِ المِنَنِ الإلهية الأخروية لمن جعل الهموم همًا واحدًا، فَحَسبي أَنَّهُ لا أحسن قولاً منهم، وإذا كان مؤمن آل ياسين قد نطق بِكَلِماتٍ لِيَرتقِيَ بعدها شهيدًا يصدح في أسماع قومه ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦، ٢٧]!!

فهذا تعبيرُ صاحب كلماتٍ قليلة في حادثةٍ قصيرة، فَكَيفَ بمن استعمله الله آناء الليل وأطراف النهار ساعيًا في أداء رسالة ربه، طوال أيامه وكامل عمره، وإزاء ذلك أكتفي بِسَحائب المِنَنِ الإلهية الدنيوية، وإليك ثلاثةً منها:

١ـ تحمل الله حوائجه:

وفارس هذه السحابة من قرع المجد بابه، فسكب كلماته كأنها من كلام الصحابة، إنه ابن القيم الذي متعنا فقال:

إذا أصبح العبد وأمسي وليس همه إلا الله وحده؛ تحمل الله سبحانه حوائجه كلها، وحمل عنه كل ما أَهَمَّه، وفرغ قلبه لِمَحبته، ولسانه لِذِكره، وجوارحه لِطَاعتِهِ!!

أمـــا إن أصبح وأمسي والدنيا همُّـــهُ حَمَّلَهُ الله هـمـومها وغمومها وأنكادها ووكلـــه إلـــى نفسه، فَشُغِلَ قلبُهُ عن محبته بِمَحبةِ الخلق، ولسانه عن ذكره بذكرهم، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم، فهو يكدح كدح الوحش في خدمة غيره، كمن يعصـــر أضلاعه في نفع غيـــره قال تعالى:

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف: ٣٦][1]!!!

٢ـ وأحياه حياة طيبة:

يكمل **ابن القيم** غيثه الماتع فراح يتساءل عجبًا بقوله:

وأي حياةٍ أطيب مِن حياةِ مَنِ اجتمعت همومه كلها وصارت واحدة فى مرضاة الله، ولم يَستشعِب قلبه، بل أقبل على الله عَزَّوَجَلَّ فصار ذِكْرُ محبوبه الأعلى، وحبه والشوق إلى لقائه، والأنس بقربه، وعليه تدور همومه وإرادته وتصوره، بل خطرات قلبه، فان سَكَت سَكَتَ بالله، وإن نطق نطق بالله، وإن سمع فَبِه يسمع، وإن أبصر فَبِه يبصر، وبه يبطش، وبه يمشى، وبه يتحرك، وبه يسكن، وبه يحيى، وبه يموت، وبه يبعث[2]!!

٣ـ وأنجاه من المشكلات والهموم:

فإنه لما حمل همَّ دينه، تكفل الله بتحمل همه، ولو لم يكن في الصفقة من سحائب الدنيا إلا هذه لكفت عن كل ما سواها؛ ذلك أن الواقع يقر بأن من جعل الهموم همًا واحدًا، تجده يقضي وقته في عِزِّ الدِّين، ونفع الموحدين، ولا يجد فراغًا ليفكر في هَمِّهِ، أو وقتًا لمناقشة مصيبةٍ أو غمٍّ نزل به!!

فإذا التقتْ همومه الدعوية مع الهموم الدنيوية والاجتماعية انتصرت الأولى نصرًا

---

(١) ابن القيم/ الفوائد ص (٨٤).

(٢) ابن القيم/ الجواب الكافي ص (١٣٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مؤزرًا، وَحَلَّت السعادةُ بداره، فقد وجدت لها عنده مرتعًا، ومن ذاق هذه النعمة عرف ما أقول حقًا، وستذكرون ما أقول لكم!!

عاشرًا: البيان الختامي

أخي..

أخرج الحاكم في مستدركه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، قَالَ:

«مَا سَكَنَ آدَمُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ»[1]!!!

هذه همة شيطان، لعنه الله في القرآن، مُنِعَ التوفيق وأُكسِبَ الحرمان، أما أنت فَوَلِيُّ الرحمن، منحك الله أرضًا وسماءً، وماءً وأنهارًا، وأناسًا تقيم رسالة الله فيهم!! فمن أشد همة وعزيمة: أأنت أم الشيطان؟!

الشيطان -يا أخي- أخذ عهدًا على نفسه، أَقْسَمَ فيه ليُضِلَّن ذرية آدم إلا المُخْلَصين، ثم إنه شن حصارًا رباعيًا ليغويك، فإنه آتيك من بين يديك، ومن خلفك، وعن يمينك، وعن شمالك؛ لئلا تكون من الشاكرين!!

والعجب أنه ما نسي عهده، ولا غفل عن وعده، بل سَجَّلَ نجاحًا باهرًا، ألم تقرأ: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ: ٢٠]، ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴾ [يس: ٦٢]

أيروق لك بالٌ الآنَ وأنت في حصار؟!! أتجد سكينة وراحة وأنت مُعَاقبٌ خارج أرضك الأولى؟!! أما زلت تفكر في فَرْجِك وبطنك؟!! ألم يعطِك ربُّك جسدًا صالحًا؟ أأبليته في هموم الآخرة أم الدنيا؟!!

(١) الحاكم/ المستدرك على الصحيحين، رقم الحديث: (٣٩٥٢)، (٢/ ٥٤٢).

أخي..

وصيةٌ ربانيةٌ مُهداةٌ إليك، فيها جائزة تَعرِضُهَا عليك ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦]؛ إشارة إلى أنك إذا عَبَدتَ ربَّك، تَكَفَّلَ لك برزقك، ألا ترى أنه طلب إليك أن تعبده، ثم تشكره، والشكر إنما يكون عقب النعم، والمعنى: أينما كانت العبادة قائمة، والدعوة إلى الله دائمة، أتتك الأرزاق راغمة، فما عليك عَقِبَ سحائب العطايا والمنن إلا أنْ تكون بعدها من الشاكرين[1]!!

(١) دروس الدكتور محمد راتب النابلسي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَطَايِبُ الكَلِمِ فِي بَيَانِ قَانُونِ صِلَةِ الرَّحِمِ

أولاً: بطاقة تعريف

إذا قَطَعَ العبدُ رَحِمَه؛ لئلا تَنْقُصَ دراهمه، أو يضيعَ وقته وَدهره، قَطَعَ اللهُ عُمُرَه، وَبَتَرَهُ وأَفْقَرَه؛ ذلك أَنَّهُ مُفسِدٌ في الأرضِ، مَلعُونٌ مِنَ الربِّ، أَصَمَّ اللهُ أُذُنَه، فَلا ينتَفِعُ بِعِظَة، وأَعمى بَصَره، فَلا يهتدِي بِبَصيرة، خَبيثُ الطَوِيَّةِ والسَّريرَةِ، أَمَّا مَن وَصَل رَحِمَه؛ فقد كَثَّرَ اللهُ مالَه، وأَصلَح بَالَهُ وَحَالَهُ، وزَاد فِي أجله، فَصِلَةُ الأرحامِ؛ سبيلُ الوُدِّ والوِئَام، وَمعبَرُ الجَنَّةِ بِسَلام، فَتُبْ مِنَ القطيعةِ على عَجَل، قبل أن تُدرِكَكَ المَنيَّةُ، ويُبَاغِتُكَ الأَجَل!!!

على عتبات المسير

أمران هامان

أولاً: من هم الأرحام الذين تجب صلتهم، وتقع المَأْثَمَةُ بِقَطْعِهِم؟!!

إن الأرحامَ دوائر، تبدأ الدائرة الأولى بالأم، وتنتهي الأخيرة بِعُموم المسلمين!!

والصلة الواجبة فيها: صِلَةُ الآباء والأمهات، والأجداد والجَدَّات، والأبناء والبنات، والإخوة والأخوات، وأبناء الأخ، وأبناء الأخت، والأعمام والعَمَّات، والأخوال والخالات!! فهذه صِلاتٌ واجبة، يُثَاب فَاعِلُهَا، ويَأْثَمُ تاركِهُا!!

أما المستحبة: فإنها لأبناء الأعمام والعَمَّات، وأبناء الأخوال والخالات، ذكورًا وإناثًا، وكذا أعمام الوالدين وأخوالهما، فهذه صِلاتٌ مستحبة، يُؤجَرُ فَاعِلُهَا، ولا يُعَاقَبُ تَارِكُهَا!! والله أعلم[1].

وفي بيان الأولوية والأفضلية؛ أهداك **النووي** فائدة نفيسة بهية فقال:

إنَّ الصِّلَةَ الواجبةَ مَنازِلُ وَرُتَبٌ، فَتُقَدِّمَ الأم ثم الأب ثم الأولاد، ثم الأجداد والجَدَّات،

(١) في تمييز الصلة الواجبة عن المستحبة خلاف منتشر بين السادة الفقهاء، لكني آثرت ذكر الراجح دون تفصيل فقهي؛ تيسيرًا على القارئ الحبيب.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم الإخوة والأخوات، ثم سائر المحارم من ذوي الأرحام؛ كالأعمام والعَمَّات، والأخوال والخالات، ويقدم الأقْرَب فالأقرب(١).

من فرائد الفوائد

أخرج الإمام **مسلم** في صحيحه من حديث **أبي ذر** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا؛ فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا**»، أو قال: «**ذِمَّةً وصِهْرًا**»(٢).

رسالة الحديث بلسان الشنقيطي:

أَفَادَ لفظُ الحديث النفيس أن النَّسَبَ والصِّهْرَ دائرتان من دَوائر الرَّحِم وإن بَعُدَا؛ ذلك أنَّ النبي ﷺ أَمَرَنَا أن نَستوصِيَ بِأَهلِ مِصْرَ خَيرًا؛ إذ إنَّ هاجر أم إسماعيل وأم العرب، ومارية أم **إبراهيم** وأم المؤمنين كانتا منهم، فإذا وَصَّاكَ نَبِيُّكَ ﷺ بِرَحِمٍ قائمٍ في نَسَبٍ وَصِهر مع تَبَاعُد الأزمان والبُلدان، فَكَيفَ تَكون وَصيته لِرَحمك القريب كالآباء والإخوة والأعمام(٣)؟!!

ثانيًا: صِلَةُ الرَّحِم التي نقصد

إن مفاد صلة الرحم، أن تُحْسِنَ إليهم، وتُخَفِّفَ عنهُم، وبالله تُذَكِّرَهُم!! وللصِّلَةِ حَدَّان؛ أعلى وأدنى:

أما حَدُّها الأعلى: فيكونُ بالزيارة والهدية، وتَفَقُّدِ الحَال، فإن كانوا مُعْسِرين مَدَّهُم بالمال، وَخَصَّهُم بالزكاةِ الوَاجِبَةِ، والصدقة المستحبة، وشاركَهم في الأفراح والأتراح، ما لم تُشَب بإثمٍ وَعصيان!! وَتَوجيههم وإرشادِهِم، والعمل على هدايتهم!!

---

(١) شرح صحيح مسلم (١٦/ ١٣).

(٢) صحيح مسلم (٧/ ١٩٠).

(٣) الشنقيطي/ شرح زاد المستقنع (٦/ ٢٤)، مع تصرف وزيادة.

وقد تجب الصِّلة بالمَال؛ كالإنفاق على الوالدين، أو كَأن تَضِيقَ الأرضُ بأحد أرحامك، ولم يَبْقَ له في الدنيا إلا إحسانُكَ، فَيَستَوجِب عليك صِلَتَه؛ وحَلَّ مُشكِلَتِه!! فهذا لازمٌ فَرض، حتَّى لو كان عَطَاؤُكَ له على سبيلِ القَرض!!

وإذا رُزِقت من النوافل ثروة ... فامنح عشأيرتك الأدانـي فَضْلَهَا

واعلم بأنك لم تُسَوَّدْ فيهم ... حتى تُرَى دَمِثَ الخلائق سهلها[1]

أما الحد الأدنى: كَرَدِّ السلام عليهم، والاتصال بهم، والتَلَطُّفِ مَعَهُم، وَغَرْسِ المعروف فيهم، وإنكارِ مُنكَرِهِم، والصَّفْحِ عن زَلاتِهِم، فَضلاً عن كَفِّ الأذَى عَنهُم!! وهذا الحد الأدنى، وهو حَدُّ التعامل مع كل مسلم!!

فَصِلَةُ الأرْحَام في الإسْلام تبدأُ بالهَدِيَّةِ، وتَنْتَهِي بالهِدَايَةِ!!!

ثانيًا: نصوص الوحي تناديك

١ـ صلة الرحم سبيل المال والذرية:

قال تعالى:

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٣٧].

رسالة الآية:

إنَّ الله بحكمته جَعلَ صِلَةَ الرَّحِم وسيلةً لنيلِ الرِّزقِ، وسببًا في دفع الفقر والضِيق، ألا ترى أنَّ زَكَرِيَّا لما تَكَفَّلَ مريم تَكَفَّلَهُ الله وَمَريم، حتى أَتتهَا فَاكِهَةُ المَصِيفِ في الشتاء،

(١) الأبشيهي/ المستطرف (٢/ ٢٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفاكهة الشتاء في المَصيف؟!؛ فضلاً من عند الله وَكَرمًا، وإن الله يرزقُ من يشاءُ بغير حساب!!

بل إنَّ وَاصِلَ أرحامه ساعٍ في إنفاذ أمانيه وأحلامه، وزيادة أمواله، فضلاً عن هُدوءِ بَالِه، وَصَفاء حَالِه، ونفع نفسه، وسُكُون قَلْبِه، وَصَلاح أَمره، وَزيادة عُمُرِه، ألا تلحظ أن زكريا لَمَّا كَفِلَ مريم، وعاين رزق الله حَالاً عليها في غيرِ وَقتِهِ، أنَّه دَعا ربه أن يَهَبَهُ من لَدَنْهُ ذُرِّيَّةً طَيِّبَة، فاستجابَ الله دُعَاه، وأعطاهُ مَا تَمَنَّاه،

﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٩]؟!!!

فَصِلَةُ الرَّحِم آلت لِمَالٍ، وذريةٍ، وَمَن تَأَمَّلَ هَذِه الآية كَفَتْهُ عمَّا سِوَاهَا!!!

نسائم الروح

كان **عليُّ بنُ الحُسَين** نَاصِحًا أَمِينًا لِوَلَدِه، قال لَهُ يَومًا:

يَا بُنَيَّ لا تَصْحَبَنَّ قَاطِعَ رَحِم؛ فَإِنِّي وَجَدْتُهُ مَلعُونًا فِي كِتَابِ اللهِ في مَواطنَ ثَلاثَة!!!

ثالثًا: من غيث الرسالة

١ـ صلة الرحم.. مدٌّ في الآجال، وزيادةٌ في الأموال:

أخرج **البخاري ومسلم** في صحيحهما من حديث **أنس بن مالك** رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ رِزْقُهُ، أَو يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»(١)!!

(١) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٢٠٦٧)، (١/ ٤٥١)، صحيح مسلم، رقم الحديث: (٦٦٨٧)، (٨/ ٨).

وفي رواية أحمد في مسنده «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُعَظِّمَ اللَّهُ رِزْقَهُ، وَأَنْ يَمُدَّ فِي أَجَلِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»(١).

رسالة الحديث:

إذا أراد العبدُ مَدًا في عُمُرِه، وكَثرةً في مالِه، فَلْيَصِل رَحِمَه!! ففيها طَاعَةُ الربِّ، وَمسعَدَةُ العبدِ، ولذا؛ ألفيت عُمر بن دينار يقول: تَعْلَمُنَّ أنه ما من خُطوة بعد الفريضة أعظم أجرًا من خطوة إلى ذي رَحِم!!!

ذكر النابلسي خبرًا طيبًا فقال:

حدثني أحدُ إخواني أنه زار قريبًا له في العيد لأول مرة، مُقْسِمًا بالله تعالى أنه ما أراد من زيارته إلا أن يَصِلَ رَحِمَه؛ إنفاذًا لسنة سيدنا رسول الله ﷺ!!

قال الرجل: فَذَهبتُ وسألت عن بيته، فَطَرَقْتُ بابَهُ فَلَم أَجِدْهُ، فَوَضعتُ له بطاقةً أُعَرِّفه بِهَا عن نفسي، فلما عاد قَريبي وَقَرأ الرسالة، أتاني إلى بيتي زائرًا، وهو على مستوى رفيع من الخُلُقِ والمَال، فلما رأى بيتي من الرَّداءة بمكان، تَحت الأرض، ولا تصل الشمسُ إليه، وفيهِ رُطُوبَةٌ عاليةٌ، قَالَ لي: اشترِ بيتًا بميدانِ المَدينةِ الشمالي، بِحُدود مليون ليرة، فَلَمَّا بَحثنا وَجَدنا بيتًا فخمًا بالميدان، في الطابق الثالث، تجاه القبلة، تَصِلُهُ الشمس، بسعر قدره [٢ مليون ونصف ليرة]، فقال قريبي: خُذْهُ ولا بأس عليك(٢)!!

رسالة القصة:

ألا تلحظ أخي القارئ أن فَارِسَ القصة لم يَخطُرْ بِبَالِهِ أبدًا أن تَنْقُلَهُ صِلَةُ الرَّحِم من بيتٍ رَديءٍ بِبَطن الأرض، لِبَيتٍ فَخْمٍ في مكان مَرمُوقٍ في الطابق الثَّالِث؟!!! لكنَّها سُنَّة الله في صِلَة الأرحام!!

---

(١) مسند أحمد، رقم الحديث: (١٢٥٨٨)، (٢٠/ ٤٣).

(٢) محمد راتب النابلسي/ محاضرة بعنوان: صلة الرحم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نسائم الروح

قال الشيخ **محمد بن محمد الشنقيطي**:

إنَّك إن اصطحبت وَلدَك في صلة رَحِمَك؛ كأن تَزور عمك وخالك؛ فَاغْبَرَّت قَدَمُه، إلا كان لك أَجرُه، ولن يُحافِظ ولدك من بعد موتك على صلة رحمه، إلا أُجِرتَ كَأَجْرِه[١]!!!

٢ـ قطيعة الرحم.. قَطْعٌ عن الله وعن الدنيا:

أخرج **البخاري ومسلم** في صحيحهما من حديث **أبي هريرة** ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مُقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَذَلِكَ لَكِ**، ثُمَّ قَالَ رَسُول الله ﷺ: **اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ**: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٢ - ٢٤][٢]!!

رسالة الحديث:

إنها رسالة صَاعِقَةٌ فَاجِعَةٌ، قَامِعَةٌ رَادِعَةٌ!!

إنَّ من قَطَعَ رَحِمَه؛ قَطَعَهُ ربُّه؛ ذلك أنه مُفْسِدٌ في الأرض، مَلعُونٌ من الربِّ، أَصَمَّ اللهُ أُذُنَه عن سماع الحق، فلا يَنتفع بِعَظة، ولا يتأثر بِتَذكرةٍ، كَدَرسٍ أو خُطْبَة أو محاضرة، وأعمى الله بَصَره عن رؤية الهدى، فلا يَهتدي بِبَصيرة، خَبيثَ السمت والسريرة، مَحرومٌ من السعادة، واللذة في العبادة، فإن صَلَّى فَبِلَا خُشوع، وإن تَهَجَّد فَبِلَا دُموع، وإن تَلا

(١) الشنقيطي/ شرح زاد المستقنع (٦/ ٢٤).
(٢) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٥٩٨٧)، (٣/ ١٣٥)، صحيح مسلم، رقم الحديث: (٦٦٨٢)، (٨/ ٧).

كتاب ربه؛ فكأن قِفْلاً على قَلْبِه، فَهُو عربي التلاوة، أعجمي الفَهم، فاللهم سلم سلِّم!!

وإنَّ من كان مقطوعًا عن ربه، فلا ريب في انتكاسة قَلْبِه، وفَساد أمره، وضياع عُمُرِه، وَنَزْعِ البَركة من مَالِه، فَوَقْتُهُ يمضِي بِلا إنجاز، ومن المال قَليلاً ما حَاز، فثبت عند العقلاء وذوي الألباب أن الخيرَ كُلَّ الخير، والفَضل كل الفضل في دَيمومة صِلَةِ الرَّحِم، وألا تقطع ألبتة!!!

وهاكَ أنموذجين متباينين، اقرأهما وسجل الفرق:

أولهما:

قرأتُ يومًا أن شبابًا مرض أبوهُم، وبعد عرضه على الأطباء أمروا بِعِلاجِه في دولةٍ أوروبية، وشاء الله تعالى أن يَموت هناك، فلما أراد أبناؤه أن يستقدمُوه، علموا أن تكلفة نقله تزيد عن [١٠٠٠٠ $]، فاتفقوا أن يدفنوه هناك، وإذا بتكلفة دفنِهِ تفوقُ المبلغ الأول، فاجتمعوا في مناقشة المصيبة، وبعد ساعات من التفكير والخيبة؛ قرروا حَرْقَ جثةِ أبيهِم؛ لئلا يَتكَبَّدُوا نَفَقَات الدَّفِن!!!

والثاني:

صَاحِبُهُ أعظم الأمة قدرًا، وأمجدها فضلاً، وأكثرها صلة لرحمه، إنه نبينا **محمد** ﷺ، وإليكَ أُنموذجًا من سيرته، مع أُخْتٍ له، ودونك البيان:

إنها أخته من الرضاعة «**الشيماء بنت الحارث**»، أُمُّها **حليمة السعدية** مُرضِعَةُ نبينا ﷺ، كانت تُدَاعب النبي ﷺ في طفولته، وَتُغَنِّيهِ بِرجز من شعرها قائلةً:

يا ربنـــا أبـق لنـــا محمـدًا ثـــم أراه سيـــدًا مـسـودًا

وأكبت أعاديه معًا والحسدا وأعطه عـــزًا يـــدوم أبـدًا

فكان **أبو عروة الأزدي** إذا أنشد هذا يقول: ما أحسن ما أجاب الله دعاءها!!

فلما ظهر الإسلام أغارت خيول المسلمين على هوازن؛ فأسروها فيمن أخذوا من

www.alukah.net
شبكة الألوكة

السَّبِي، فقالت: أنا أُخْتُ صاحبكم!! وقد مَرَّت عُقودٌ مديدةٌ دون أن تراه أو يراها!!

فقدموا بها إلى النبي ﷺ فلما انتهت إليه قال الصحابة من حوله: من أنتِ؟

فقالت:

إني **الشيماء بنت الحارث**، أرضعتني أمي **حليمة السعدية** مرضعة أخي **محمد** ﷺ، فأنا أخته من الرضاعة!!!

فقال لها النبي ﷺ:

وما علامة ذلك؟ فَذَكَّرتْهُ بِعَلامَةٍ فَعَرفَهَا، وَتَذَكَّرَ أمرها، وما أمره الله به من صلة الرحم، والإحسان إليها بعد طول غيابٍ، فأقبلَ عليهَا فَرِحًا وَمُرَحِّبًا بها، وَبَسَط لها رداءه، ثم أجلسَهَا عليه، وَدَمَعَت عيناه ﷺ!!

ثم سألها عن أحوالِهَا، واطمأن على شُؤونها، ثم خَيَّرَهَا قائلاً لها: «إن أحببت فأقيمي مُكَرَّمَةً محببة، وإن أحببت أن ترجعي إلى قومك أوصلتك»!! فقالت: بل أرجع إلى قومي، ثم أعطاها نَعَمًا وَشِيَاهًا وثلاثة من العبيد وجارية، وأوصلها إلى قومها، فأسلمت لله تعالى، ثم عادت إليه[1]!!!

رابعًا: مآثر الأيام

١ـ إنه فارس مدرسة النبوة!!:

أخرج الإمام **مسلم** في صحيحه عن **عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما أنه كان إذا خرج إلى مكة كان له حمار، يَتَرَوَّحُ عليه إذا ملَّ ركوب الراحلة، وَعِمَامة يَشُدُّ بِهَا رَأسَه..

فبينا هو يومًا على ذلك الحمار؛ إذ مرَّ به أعرابي فقال: ألست ابن فلان بن فلان؟!! قال:

(١) ابن حجر/ الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٧٣٣)، تراجم شعراء الموسوعة الشعرية (١/ ٧١٦).

بلى، فأعطاه الحمار، وقال له: اركب هذا، ثم أعطاه العمامة، وقال له: اشدد بها رأسك!!

فقال له بعض أصحابه: غفر الله لك، أعطيت هذا الأعرابي حمارًا كنت تروح عليه، وعمامة كنت تشد بها رأسك!! فرد عليهم بقوله: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ**»، وإن أباه كان صديقا لعمر[1]!!

رسالة المأثر:

إن **عبدَ الله بن عمر** رضي الله عنهما كان مَعروفًا بِصَلَةِ رَحِمِه، فقد يكون لهذا السبب -والله أعلم- أن الله أطالَ عُمُرَه، فقد كان آخرَ الصحابة موتًا بمكة، سنة ٧٣ هـ، وقيل: ٧٤ هـ، وذلك بعد أن منَّ الله عليه بِشُهُودِ الحَج، فاضت رُوحُهُ إلى بارئها، عن عمر [٨٤ سنة]، وَدُفِنَ بالمُحصَّب!!

٢ـ صلة الرحم وَبَثَّتْهُ ذرية أجرها في رصيد حسناته:

ذهب أحد الإخوة يصل أخته، فلما تَفَقَّدَ أمرَهَا، وسألها عن حالها، لاحظ أن خلافًا حادًا قد أدخل الحَزَنَ والضيق بِهَا وزوجِهَا وأولادها، والخلافُ قائم على مبلغ مالي قدره [٣٠٠ ليرة] تُدْفَعُ شهريًا، فقال: أنا أدفع المبلغ ولا عَلَيكُم!!

فصار يدفعه كل شهر، وبعد ستة أشهرٍ بلغت محبته في قلوبهم كل مبلغ، فطلبت منه أخته أن يَعْقِدَ درسًا أسبوعيًا يعلم فيه أبناءها وبناتها القِيَمَ والأخلاق، فوافق صاحبُنَا دون تردد، وقال: صِرْتُ أُحَضِّر الدرس بِنَفسِي، وَأُزَيِّنُهُ بالآية والحديث والقصة، رغم أنني مهندس لا علاقة لي بالتدريس، وَكُنَّا نلتقي عصر كل جمعة في بيت أختي، لمدة ساعةٍ من الزمان!!

وشاء الله تعالى أن يكون الدرس أساسًا لمجدٍ إسلاميٍّ مباركٍ، فقد أحبت العائلة دينَ ربها، وقوي التزامها، حتى أصبحت البناتُ كلهن صالحات، وَجُلُّهُنَّ مُتَحَجِّبَات، وكتَبَ

(١) صحيح مسلم، رقم الحديث: (٦٦٧٩)، (٨/ ٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الله لهن أزواجًا أطهارًا، تُقاةً أَبْرارًا، وبدأت سلسلة ذهبية من الأصهار، تُؤَسس لِذُريةٍ طيبة، تَنْصُرُ دين ربها، وسنة نبيها **محمد** ﷺ[1]!!!

رسالة المأثر:

إن صلة الرحم آوت لصاحبنا عوائل متشابكة، وَذُرِّيَّاتٍ مباركة؛ لِتَكُون كلها في رصيد حسناته، فأي زيادة وبركة في العمر هذه؟!! فطوبى لمن وصله الله، فوفقه لِصِلَةِ أرحامه، والحسرة كل الحسرة لمن حُرِمَ هذا الشرف، وَخُذِلَ عن هذا الفضل، فلم يَنَل منه شيئًا، عياذًا بالله من الحرمان والخذلان!!

نسائم الروح

جاء رجلٌ مُجاهِدٌ إلى الإمام **أحمد**، فقال له: يا إمام، إنَّ لي قرابة ببلد المراغة، فاخترْ لي، أأرجع إلى حراسة الثغور، أو أذهب إلى أقاربي فَأُسَلِّم عليهم؟!! فقال الإمام **أحمد**: استخِر الله، واذهب فسلّم عليهم!!!

خامسًا: ذخيرة الأسرار

١ـ الحسنة بعشر أمثالها:

إنَّ من جاء بالحسنة في ديننا؛ فَلَهُ عشرُ أمثالها، والله يضاعف لِمَنْ يشاء، ولَمَّا كانت صلةُ الأرحام صُورَةً من صُوَرِ الإنفاق؛ ذلك أَنَّها إنفاقُ وَقْتٍ، وإنفاقُ مال، نَاسَبَ أن يكون جَزاؤُهَا على قواعد الأجور المعلومة في الدين!!

فكل من أنفق من وقته الثمين في وِصَالِ رَحِمِه، بارك الله يومَه، وأطالَ عُمُرَه، وإنَّ من

(١) محمد راتب النابلسي/ محاضرة بعنوان: صلة الرحم

أنفق من ماله الذي يُحِب في زيارة رَحِمِه، ضَاعَفَ الله ماله وَزَكَّاه، وَنَمَّاه؛ ليكون الجزاءُ من جنسِ العَمَل، والله ذو الفضل العظيم!!

نسائم الروح

إن الله تعالى بحكمته وكرمه يُقَيِّضُ في كل عائلة ملاذًا آمنًا لها، يَقصِدُهُ المَريضُ والمُحتَاج، والراغب في الزواج، ومن وقَعَ به هَمٌ، أو داهمه غَمٌ، فهذا يَمَدُّهُ اللهُ تعالى بِرِزقٍ إضافي؛ لِيُلَبِّيَ حاجةَ كل أحدٍ، فأنت تلحظُ فقرَهُ، وتَعجبُ من سعةِ فَضلِه، وَجَميل عطائه، دُونَ أن تُدرِكَ سِرَّ المسألَةِ، ولعلَّك تَعْرِفُ بَعْضًا مِن هَؤلاء، وقد قيل قديمًا: إنَّ المَعُونَةَ عَلَى قَدَرِ المَؤُونَة!!

٢ـ الجزاء من جنس العمل:

إنَّ صِلَةَ الرحم حَجَرُ أساسٍ في إرساء صَرح العائلة وقوتها، واتحادها ورفعتها، ولما كان الوَاصِلُ هو المُتَصَدِّي لهذه الفضل؛ ناسب أن يكون الجزاء من جنس العمل!!

ووجه ذلك:

إن قوةَ العباد المادية بارزة في أمرين: صَلابَةُ أجسادهم، وَوِفْرَةُ أموالهم، فشاء الله تعالى بِفَضْلِهِ وَكَرمه ورحمته وحكمته أن يَمَدَّ وَاصِلِي أرحَامهم بالأمرين، فَمَنَحَهم أجسادًا قوية أطالَ بِهَا أعمارهم، وآتاهم زيادةً في أموالهم، فلمَّا قووا عوائلهم، قَوَّاهُمُ الله وَتَفَضَّلَ عليهم، وَمِن خَزائِنِهِ أَمَدَّهُم وَأَغْدَقَ عليهم!!

ولذا؛ هتف الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في سمعك ناصحًا لك، حريصًا عليك، قائلاً لك عن رَحِمِك:

أُولئِكَ هُم عَشِيرَتُكَ، بِهِم تَصُولُ وَتطُول، وَهُمُ العُدَّة عِندَ الشِدَّة، أَكرِم كَرِيمَهُم، وعُدْ سقيمَهُم، ويَسِّرْ عَلَى مُعْسِرِهِم، ولا يكن أَهْلُكَ أَشقَى الخلقِ بِك!!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من فرائد الفوائد

سؤال ذكي..

قلتم: إنَّ من وَصَلَ رَحِمَهُ، أطال الله عمره!! فكيف يُزَاد له، ومعلومٌ أن عُمُرَ العبدِ ثابتٌ لا يَتَغَيَّر، وإذا جَاء أَجَلُهُ لا يَتَقَدَّم ساعةً ولا يَتَأَخَّر؟!!!

إليك الإجابةَ مفصلةً:

اعلم أولاً أن أَقْلامَ القَدَرِ خمسةٌ، إليك بيانَها:

الأول:

اللوح المحفوظ: وجاء فيه ما أخرجه **أبو داود** في سننه من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟! قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**»(١).

الثاني:

لوح الملائكة: وقد نسخته من اللوح المحفوظ، وهو الذي سمع النبي ﷺ صَرِيرَ أقلامه لما عُرِجَ به إلى السماء.

الثالث:

القلم العُمُرِي: فيكتب المَلَكُ الموكل بالعبد عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد.

الرابع:

القلم السنوي: فيكتب عمل العبد السنوي كله في كل ليلة قدر من كل عام.

وآخرها:

القلم اليومي: وهو ما يرصده رقيب وعتيد من كل حركة وسكنة يجريها العبد.

---

(١) سنن أبي داود، رقم الحديث: (٤٧٠٠)، ص (٧٠٥)، وقال الألباني: صحيح.

أفاد العلماء أن القلم الأول وهو اللوح المحفوظ لا تبديل فيه ولا تغيير، وأن المحو والإثبات إنما يكون بالصحف التي في أيدي الملائكة، وهذا قول الله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩]

إذا تقرر هذا؛ فإن الجمع بين زيادة العمر بصلة الرحم، وأنه ثابت لا يتغير؛ قد اختلفت فيه أنظار العلماء على أقوال(١)، إليك الراجحَ منها:

إن الأجل أجلان؛ أجلٌ مطلقٌ، يعلمه الله، وأجلٌ مُقَيَّد، وإن الله يأمر المَلَكَ أن يكتب للعبدِ أجلاً، ويَزْدادِ بِصَلِةِ الرحم؛ كأن يقول له: إن عُمُرَ العبد [٦٠ عامًا]، فإن وصل رحمه فزده [٤٠ عام]، فتصبح [١٠٠ عام]، وإن الله تعالى يعلمُ ما يستقر عليه العبد؛ بِخِلافِ المَلَكِ المُوَكَّل،، ولذا؛ يقع المحو والإثبات في صُحُفِ الملائكةِ، دون اللوح المحفوظ، وهذا قولُ جمهور العلماء!!

---

(١) في المسألة خلاف منتشر بين العلماء، وألمع ما قالوه خمسة أقوال إليكها:

القول الأول: إن الملائكة تنسخ من اللوح المحفوظ أن عمر العبد [٦٠ عامًا]، فإن وصل رحمه زيدت [٤٠ عامًا]، فتصبح [١٠٠ عام]، وإن الله يعلم ما يستقر عليه العبد، أما الملك الموكل فلا يعلم أيعيش إلى الأول أم إلى الثاني، ولذا؛ يقع المحو والإثبات في صحف الملائكة، دون اللوح المحفوظ، وهذا قول جمهور العلماء.

القول الثاني: أفاد الصنعاني أن الزيادة في العمر كناية عن بركته، فيوفق الله عبده لطاعته، وعمارة وقته، ويحفظه من ضياعه، كما أعطانا الله ليلة القدر، وأنها خير من عبادة ألف شهر، مقابل ما تقاصر من أعمارنا، قياسًا على ما مضى من أعمار الأمم.

ألا ترى أن متجرين متجاورين، يربح الأول [٢٠٠ دولار] في يومه، والآخر لا يتجاوز [٢٠ دولار]، ولو تساوى وقت بيعهما؛ ذلك أن العبرة ببركة الوقت، وليست في قدره!!

القول الثالث: إن الزيادة تكون بالثناء على الواصل بعد موته، فهي حي في قلب أمته، كأنه لم يمت!!

فأثنوا علينا لا أبا لأبيكم بأفعالنا إنّ الثناء هو الخلد.

القول الرابع: أفاد ابن القيم أن عمر العبد الحقيقي ما كان فيه مقبلاً على ربه، لا يلتف عنه بقلبه، فإن أعرض كان من جملة الأموات، فتكون زيادة العمر؛ متمثلة في عمارة القلب بالإيمان، والجوارح بالعمل!!!

القول الخامس: إن الزيادة أمر حقيقي، وهذا قول ابن عباس م؛ مستدلاً بقول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢]!!

رسالة الآية بلسان ابن عباس رضي الله عنهما:

إن ثمة أجلين لِكُلِّ عبد، أولهما: من يوم مولده وحتى وفاته، والثاني: من وفاته إلى منتهى برزخه، فإذا وصل رحمه زاد الله في الأجل الدنيوي منقصًا من الأجل البرزخي، وإن قطع رحمه أنقص من الدنيوي، وزيد في البرزخي!!

انظر: سبل السلام (٤/ ١٦٠)، تفسير القرطبي (٩/ ٣٣٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وبهذا يُحمل الحديث على ظاهِره؛ ذلك أن الله ﷻ جعل صِلَة الرحم سببًا شرعيًا لزيادة العمر، فتكُون الزيادة حقيقية في صُحُفِ الملائكة[١]، وإن كانت مُقدرة في اللوح المحفوظ أزلاً، وهذا لا يتنـاقضُ مع حُصُولِ البَركةِ في العُمُر، والثناء بعده، وزيادة توجه القلب لربه ﷻ!!

وقد أعجبت بكلام الإمام **الدهلوي** بقوله:

إننا إن لم نقل بذلك، وأن العمر لا يزيد يومًا واحدًا؛ لَحَصَلَ الفتورُ في صِلَةِ الرحِم، فَيَخْتَلُّ المعنى الذي قَصَدَهُ النبيُّ ﷺ من المبالغةِ في تَرغيبِ الأمةِ فيها[٢]، والله أعلم.

سادسًا: بشائر العافية

١ـ محبة قائمة:

قالوا قديمًا:

ألسنةُ الخَلْقِ؛ أقلامُ الحَقِّ!!

فإن خَطَّت أقلامُ أرحامِكَ فيكَ الثناء، وجميل الدعاء، في الصباح والمساء، شاهدين لك بِالقَولِ اللَيِّن، والخُلُقِ الهيِّن؛ فهذه أولى بشائر العافية، والحياة الكافية الصافية!!

خلق كأن الشمس تحسده على ... كرم الطباع، وزينة الأوصاف

ضمنت له الدنيا الثناء فَكُلَّمَا ... ذكروه جاد الناس بالإتحاف[٣]

فإن كان المرءُ قليلَ الوصال لِرَحِمِهِ، وتمتع بِمَحَبَّةٍ قائمةٍ بينهم وبينه، ولم يَتَقَاصر عن

(١) ابن تيمية/ مجموع الفتاوى (٨/ ٥١٧)، القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٣٣٤)، د. عمر الأشقر/ الإيمان بالقضاء والقدر ص (١٢٢).

(٢) الدهلوي/ حجة الله البالغة (١/ ٦٠٥).

(٣) مقامات القرني، المقامة البازية ص (٨٥).

الحد الأدنى لِوِصَالِهِم؛ كَأَنْ يلقي السلام عليهم، ويَتَلَطَّف مَعهُم، ويدعو لهم، ويشاركهم أفراحهم وأتراحهم، ثم إنهم يلتمسون الأعذار له، فهذه السلوكات بشرى عافية، إلا أن المرء لا يُعَوِّلُ عليها دومًا؛ ذلك أن أرحامَك قد يُظْهِرُون لك الوُد، وإن خَلَوْا بأنفسهم نَطَقُوا بالعَتَبِ وأنتَ لا تَدْري!!!

٢ـ جولة تعارفية:

أفاد غيرُ واحدٍ من معارفي أنهم لا يعرفُون أرحامَهم، قال لي أحدهم: لي عَمَّةٌ لم أَرَهَا فِي حياتي، وقال ثانٍ: بيت خالتي لا أعرفه، وقال ثالث: لم أعلم أن خَالِي من أرحامي؛ إذْ مضى ظَنِّي أن الأرحامَ في النساء دون الرجال، فهذه الإجابات شرٌّ كبيرٌ، وفَسادٌ مُستَطِير، فَوَجَبَ عليكَ أولاً أن تسأل والديك لِتَعلمَ كل رَحِمٍ لَكَ!! فمن عرف نسبه؛ وصل رحمه!!

طرق الإمامان **عمر وابن عباس** رضي الله عنهما بوابة قلبك بنصح رقراق، إليكَهُ:

تعلمُّوا أنسابَكُم؛ تَصِلُوا أرحامَكُم، فالرَّحِمُ قريبةٌ بالصِّلَةِ، وبعيدةٌ بالقطيعةِ، والله لو يعلم الرجل ما بينه وبين أخيه من دَاخِلَةِ الرَّحِمِ؛ لأَوْزَعَهُ ذلك عن انتهاكِهِ، وكل رَحِمٍ آتيةٌ يومَ القيامةِ أمام صاحبها، تَشْهَدُ بِصِلَتِه إن كَانَ وَصَلها، وَبِقَطيعَتِهِ إن كان قَطَعَها[1]!!!

أخي..

إن النِّعَمَ تُحفَظُ بالشكر، وشُكرُهَا الإنفــاق منها على من فقــدها، فَحَدِّد نعمتك أولاً، ثم أنفق منها ثانيــاً؛ ليبارك لك فيها، وَيُزاد لكَ منها، ألم تقرأ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧][2]!!!

---

(١) الإمام البخاري/ الأدب المفرد ص (٣٣)، بسند حسن! بتصرف!!

(٢) خالد أبو شادي/ صفقات رابحة ص (١١٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سابعًا: مراقي الصعود

١ـ انزع شوكة القطيعة بملقاط الوصال:

إن قطيعةَ العبد لِرَحِمِهِ خُذلانٌ إلهي، يمس كل غافلٍ وَلَاهٍ، ومن وقع في الذنوب والدواهي، فتحرر منها بِصِلَةِ الأرحام، وسلامة الصدر من حُبِّ الانتقام، والتوبة إلى ربك على عَجَلٍ، قبل أن يدركك الأجل؛ علَّ الله أن يهبَ قَلْبَكَ وَجَلاً، وجَوارِحَكَ عَمَلاً!!!

أخي هاجر الرحم..

إن دقيقة من وقتك تُدخِلُ على رَحِمِك سرورًا، وفرحًا وحبورًا، وتعبر بك إلى قَامُوس الوُدِّ عُبورًا، فَكَم يسعد أرحامك بزيارتك كَم؟!!، بل يفخرون بك عند إخوانهم وأقاربهم وجيرانهم، ألا تَحْمَدُ ربك أن منَّ عليك بِرَحِمٍ وغيرك محروم؟!! أما تخشى أن يموت رَحِمكَ قبل وصاله أيها الظالم المَلُوم؟!!

٢ـ جدول تعرفه الأرحام:

ينبغي لكل مسلم أن ينظم صلة أرحامه، وفق خطة مسطورة مُوَزَّعَة على أيامه، خاصة لمن ترامت أرحامُهُ في أماكن متباعدة، وكان من أرباب الأعباء المُتَزَايِدَة!!

فمثلاً:

إن منَّ الله عليك ب [١٢ من الأرحام]، فلا بأس أن تجعل في كل أسبوع زيارة، فَتَختم جولتك في كل [٣ أشهر]، وفي السنة [٤ زيارات دورية]، فضلاً عن زيارتين في عيدي الفطر والأضحى؛ فيحصل لك [٦ زيارات سنويًا]، وهذا أمرٌ طيبٌ جليل؛ ذلك أن معرفة رحمك بِنَظْمِ جولتك؛ يُطمئن نفوسهم، وَيُقِر أعينهم!!

وقد حدثني من أثق بدينه أنه جَرَّبَ هذا، فوجد أرحامه في انتظاره في أُسبوعهم المحدد!!!

أخي..

إن لم تَقُم الليل فَلَيْسَ أقل من حُضُورِ نِيَّتِه، وإن لم تَكُن شمس هداية؛ فَلَيْسَ أقل من قَمَرِ اهتداء، وإذا لم تكن أبا عبيدة فلا تكن أباه، وإذا لم تشبه **مُصعبًا** فلا تُشْبِهُ أخاه[1]!!

أخي..

إن لم تَمُدَّ أرحامك بِمَالِكَ، فَلَيس أقل من زيارتهم، وتفقد حالهم، إن لم تكن زيارة فَلَيسَ أقل من اتصالٍ هاتفي، إن لم يكن اتصال فَلَيْسَ أقل من رسالةٍ، إذا لم يكن لك وِصَالٌ قَائِمٌ، فلا أقل من دُعاءٍ دَائم، إذا لم يكن إحسانُكَ واصلاً إليهم، فلا أقل من صَفحِكَ عن زَلاتِهم، وكَفِّ أذاكَ عنهُم!!!

ثامنًا: إشارة حمراء

١ـ إياك وهجر الأرحام:

جَرى استطلاعٌ للرأي بسؤالٍ مفَادُهُ: أَيُوجَدُ خِصَامٌ بينَكَ وبين أيٍّ من أرحامك؟ فأجاب [٦٥٪] قائلين: نعم!!!

لا خير في قربى بِغَيرِ مَـــودَّةٍ ولرب منتفـع بـودّ أبـــاعـد
وإذا القـــرابة أقبلـت بِمَـودةٍ فاشدد لها كفّ القَبُولِ بِسَاعد

أخرج **المنذريُّ** في ترغيبه وترهيبه بسندٍ حسن من حديث **أبي هريرة** رضي الله عنه قال: سمعتُ

(١) خالد أبو شادي/ صفقات رابحة ص (٦٥).. وإنما جاء النهي عن مشابهة أبي أبي عبيدة، وكذلك أخ مصعب؛ لكونهما كافرين، نسأل الله تعالى أن يميتنا على التوحيد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النبي ﷺ يقول: «**إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَشِيَّةَ كُلِّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فَلاَ يُقْبَلُ عَمَلُ قَاطِعِ رَحِمٍ**»(١)!!

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث جُبَير بن مطعم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ**»(٢)!!

وأخرج أبو داود في سننه بسند صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ، فَمَنْ هَجَرَ فَوْقَ ثَلاَثٍ فَمَاتَ دَخَلَ النَّارَ**»(٣)!!

رسالة الأحاديث الثلاثة:

أفاد أولُها أن العمل محجُوبٌ عن قبولِ الله له، إلى أن يَصِلَ رَحِمَه، وأفاد الثاني بأن قاطع رحمه؛ محرومٌ من جنة ربه، أما الثالث فأفاد أنه إن هَجَرَ أخاه لأكثر من أيامٍ ثلاثةٍ، ثم مات قبل مُكالمته دَخَل النار!!!

آهٍ آهٍ يا مسلمون!! آهٍ آهٍ يا موحدون!!

أين الألباب؟!! هل ذهبت؟!! أين البصائر؟!! هل سُلِبَت؟!! أين إيمانكم العامر في القلوب؟!! أين خشيتكم من علام الغيوب؟!! أَوَصَّاكم الله بهذا؟!! أم تأمركُم أحلامكم بهذا؟!! لِتَحلُوَ لكم هجرة أرحامكم كما أردتم بعد هذا!! أَتَقبلُ أن تُحجَبَ عن ربك، وتكونَ من أهل النار؛ لأجل أرحامٍ لا ترتضيهم إخوةً مُتحابين؟!!

أخي..

كم في البيوت من زَفرة، وَعَثْرةٍ وَحَسرة؟!! وَكَم مِنْ أرحامٍ يَضِجُّونَ بالشكوى والأنين،

(١) المنذري/ الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (٣٨٢٤)، (٣/ ٢٣٣)، وقال الألباني: حسن.
(٢) صحيح مسلم، رقم الحديث: (٦٦٨٥)، (٨/ ٨).
(٣) سنن أبي داود، رقم الحديث: (٤٩١٤)، ص (٧٣٧)، وقال الألباني: صحيح.

ولَعَلَّ الصوتَ خَفَتَ من سنين، لو سمعته -أخي- لَدَمِيَ قلبُك، ونَدِيَ الجبين!!

أرسلت لي أمٌ مكلومةٌ لأعظَ كبيرَ أولادها الذي هجرها من سنواتٍ خمسة، وهو من أصحاب الصف الأول في الصلاة، وقد منَّ الله عليه بشهادةٍ علميةٍ يافعةٍ، ووظيفةٍ رفيعةٍ لامعةٍ، إلا أنه يَهْجُرُ أُمَّه، ويُذِلُّها ويُهينها، ويَسُبُّها كلما رآها، لا لشيء إلا أنها أنفقت جُزءًا من مالها لبعض أرحامها!!!

فتحرر أخي من كل خلاف، وتبرأ من كل خصومة، واعْفُ عن غيرك؛ ليعفو الله عنك، وقد فصلت القول في المسألة في السنة الإلهية الموسومة بـ «أطايب الأنفاس في عزِّ العافين عن الناس» فاقصد رحالك إليها؛ علَّك تَجِدُ شِفَاكَ فيها!!

نسائم الروح

إن غاية صلة المرء لرحمه، أن يَصِلَ من قطعه، أما لو كان الوِصَالُ مُتبَادَلاً؛ فهذا يُعَدُّ تَكافؤًا، وقد أخرج **البخاري** في صحيحه من حديث **عبد الله بن عمرو** رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**»[1]!!

٢- الهدية الواجبة.. بدعةٌ فاسدة:

أجمع العلماء على أن صلة الرحم واجبة، وأن الهدية مُستحبة!! فجعل كثير من الناس الصِّلَة مستحبة والهدية واجبة، فإن لم تكن هديةٌ فلا صِلَة، فأيُّ فقهٍ سيءٍ هذا عن الله ورسولِه؟!!!

أخي..

لم يكلفك الله إلا وُسْعَك؛ لِتَصل دَومًا رَحِمَك، ولو بلا هدية، فعند العقلاء: صلتك

(١) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٥٩٩١)، (٣/ ١٣٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَجَلُّ عَطِيَّة، وسُؤَالُك عنهم أَثمنُ هديَّة، وَأبشرُكَ بأن عسرك لن يطول، فَهُوَ إلى زَوالٍ وأُفُول، قال الله تعالى: ﴿فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]!!

أيحجزك الحياء من المخلوق عن إنفاذ أمر الخالق؟!! أتخشى ألسنةً لاذعة بأزيد من خشيتك لربك؟!! فَصِل رَحِمَك بِحَدِّ قدرتك، رضوا أم سخطوا، وتأمل دومًا ما أخرجه **ابن حبان** في صحيحه من حديث **عائشة** رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:

«مَنْ الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاس، وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاس»[1]!!

هب أنك زرت ثريًا من أرحامك وأنت فقير، هل قُدرَتُكَ كَقُدْرَتِه؟!! أو هَدِيَّتُكَ كَهَدِيتِه؟!! فإياك وارتداء ثوب غيرك؛ لئلا تكون كَذَاك الذي أخبرني أنه قال لزواره يومًا: ارجعوا بِهَديتكم؛ فإني أعجز عن قضائها لكم!!!

من فرائد الفوائد

يحصل أن يُمنَعَ المرءُ من وِصَالِ أرحامه؛ كأن يكون رَحِمُهُ غنيًا أو صاحبَ منصبٍ، فلا يجب أن يصله أقرباؤه؛ خوفًا على ماله، وتكبرًا عليهم، فإثم القطيعة هنا على المَانع لا على الممنوع، والله أعلم،،،

٣ـ تهيأ لِعُقوبةٍ قريبة:

أخرج **الترمذي وابن ماجه** في سننيهما من حديث **أبي بكرة** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ»**[2].

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، وصححه الألباني كما في الترغيب والترهيب برقم: (٢٢٥٠).

(٢) سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٥١١)، ص (٥٦٥)، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٤٢١١)، ص (٦٩٩)، وقال الألباني: صحيح.

رسالة الحديث:

إنَّ قطيعة الرحم تُوجِبُ العقابَ في الدنيا، فضلاً عن العقاب في الآخرة، وفي قول أبي أوفى: إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم!!!

إليك أسطر خبرًا يبكي القلوب القاسية، والعيون الجافة!!

حدثني من أثق بقوله أن رجلاً وأمه وزوجته، يسكنون في بيت واحد، والسعادة تسربلهم من كل جانب، وَقَدَّرَ الله لأم الرجل أن يرزقها الله مالاً كثيرًا، فطمعت فيه زوجة ابنها طمعًا كبيرًا، فعكفت على سلبه منها بدهاء ومكر، فتارة تذكر لها تأثيث البيت، وأخرى ترميم المسكن، إلى أن انتهى المال، فقررت التخلص منها، فكلمت زوجها في دفعها إلى أخيه، فوافق بكل أسف!!

فانتهزت الزوجة خروجها لحاجة؛ فَجَمعت متاعها، فلما حضرت أَمرتْهَا بالذهاب لابنها الآخر؛ بِذَريعة كثرة بقائِها في البيت لوحدها، وهذا يَشُقُّ عليها، فَصُدِمَت الأم المكلومة ولم تتكلم، وخرجت وقد أثقلها الهمُّ، وأحاط بها الغمُّ، وهَزَّها الألم الجم، فما إن وصلت لابنها الآخر نامت، ويبدو أنه لم يعبأ بها، أو يهتم لحالها، وبعد يومين من يومها، تبين له أن أُمَّهُ قد ماتت!!!! وقد أحسن إليها من أحسن، وأساء من أساء!!!

وسبحان المنتقم العَلَّام، القيوم الذي لا ينام، فو الله إن العائلة التي طَرَدت الأم تَشَتتت، وسعادتها ذهبت، وسُمعتها سُلِبَت، بل عاشت الهمومُ معهم، وأبت الخروجَ من بيتهم، وما زال الناس يتناقلون هيمنتهم، وخُبث سيرتهم!!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تاسعًا: سحائب المنن الإلهية

١ـ محبة أهل، وزيادة مال وأجل:

أخرج الترمذي في سننه بسند صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ، مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ، مَنْسَأَةٌ فِي الْأَثَرِ**»(١).

وأخرج البخاري في الأدب المفرد بسند حسن أن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «**مَنِ اتَّقَى رَبَّهُ، وَوَصَلَ رَحِمَهُ، نُسِئَ لَهُ فِي عُمْرِهِ، وَثَرَا مَالُهُ، وَأَحَبَّهُ أَهْلُهُ**»(٢).

رسالة الحديثين:

جعل الله لِوَاصِلِ رحمه قبولاً في أهله، وأكثر له من ماله، وزاد في أجله!!!

حدثتني إحدى أرحامي أنها لم تحتمل هجرة خالها لها من سنوات، فلما التقت به قالت له: والله لتأتيني أنت وزوجتك وأولادك!! أي قطيعة للرحم أنت عليها؟!! من الذي أخبرك أني أريد هديةً منك؟!! فجاء الرجل بأهله، فتخبرني -والله- كأن يوم الزيارة يوم عيد عندها، وسيبقى محفورًا في قاموس ذكرياتها!!

وَكُنْ وَاصِلَ الأَرْحَامِ حتَّي لِكَاشح تُوَفَّرُ فـي عُمْـرٍ وَرِزْقٍ وَتَسْعَـدِ

٢ـ حبل موصول بالله:

أخـرج البخـاري في صحيحه من حـديث أبـي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ(٣) مِنَ الرَّحْمَنِ فَقَالَ اللَّهُ مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَكِ**

(١) سنن الترمذي، رقم الحديث: (١٩٧٩)، ص (٤٤٩)، وقال الألباني: صحيح.
(٢) الإمام البخاري/ الأدب المفرد، رقم الحديث: (٥٨)، ص (٣٤)، وقال الألباني: حسن.
(٣) شُجْنَةٌ أي: قرابة مشتبكة كاشتباك العروق؛ ذلك أنها في الأصل شعبة من غصن من أغصان الشجر.

قَطَعْتُهُ»[١].

وعند **المنذري** في الترغيب والترهيب بسند حسن:

«الرَّحِمُ حُجْنَةٌ مُتَمَسِّكَةٌ بِالْعَرْشِ تَتَكَلَّمُ بِلِسَانٍ ذَلْقٍ: اللَّهُمَّ صِلْ مَنْ وَصَلَنِي، وَاقْطَعْ مَنْ قَطَعَنِي»[٢]!!

رسالة الحديثين:

إن العبد إذا أراد تزكيةً كريمة لنفسه، تُدخِلُهُ على رَبِّهِ، وتُدنِيه منه، وتُقَرِّبُه إليه، وتُصَيِّرُه مَحبوبًا له، فَلْيَصِل رحمه؛ فإنَّ وَاصِلَها مَوصولٌ عنده، وقاطعَها مقطوعٌ عنده، مَحرومٌ من وُدِّه!!

ولما سُئِلَ الشيخُ الدكتور **نزار ريان**: ما سر توفيق الله لك في العلم والعمل والدعوة والجهاد، فأجاب قائلاً:

تأملت في سبيلٍ يُوصِلُنِي لِرَبِّي؛ فألفيتُه في صلة الأرحام، ووَصلِ الصفوفِ في الصلاة فمن وصل رَحِمًا أو صفًا وَصَله الله، ومن قطع رَحِمًا أو صفًا قَطَعَهُ الله!!!

ومن ذا الذي يَصِلُ من قطعه الله؟!!

يؤيدُ هذا ما أفادَهُ **ابنُ القيم** أن عُمُرَ العبدِ الحقيقي ما كان فيه مُقْبلاً على ربِّه، لا يلتفتُ عنه بِقَلبِه، فإن أعرض كان من جملة الأموات، فيقوم وِصَالُ الرحم بصلةِ القلبِ مع مُقَلِّبِه عَزَّوَجَلَّ؛ فترى بركة الوصال إيمانًا في القلب، وأعمالاً على الجوارح!!!

٣ـ من وصل رحمه؛ حصل سعده، وفرج الله كربه:

تصدى لبيان هذه السحابة الشيخ **الشنقيطي** فأفاد قائلاً:

وقلّ أن يصلَ عبدٌ رحمه إلا خرج مَسرور النفس، مُنشرح الصدر، قوي العزيمة على

(١) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٥٩٨٨)، (٣/ ١٣٦).

(٢) المنذري/ الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (٣٨٠٩)، (٣/ ٢٣٠)، وقال الألباني: حسن لغيره.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

طاعة الله عَزَّوَجَلَّ!!

ألا تذكر معي خبر نزلاء الغار الذين أَطبقت الصخرةُ عليهم أن الله جلَّ وعلا فَرَّجَ كَربَهُم، بِقُربَاتٍ ألمعُها عندهم: وصال أحدهم لأبيه وأمه، وقد أسهر كل ليله، حاملاً لهما قدحًا من لَبَنٍ، فما إن توسل لِرَبِّهِ بِهَذِهِ القربة إلا وانفرجت الكربة شيئًا[١]!!

إخوتاه..

صخرةُ القَطيعةِ أغلقت الغَار؛ فهل إلى خُروجٍ من سبيل؟!!!

أيد **النابلسي** سحابتنا هذه بحادثة ماتعة، إليك بيانها على لسانه:

أحد إخواننا الكرام توفي ابن عمه وكان أستاذًا جامعيًا، فسأل أولاده أمامي: أعلى والدكم دَيْن؟ قالوا: نعم، قال لهم: أنا قاضيه عنه، فشكروا له صنيعه!!

قال هذا الرجل: تصورت دَيْنَ ابن عمي عشرة آلاف ليرة، تقل قليلاً، أو تزيد قليلاً، فلما كان بعد أيام سألتهم عن قدره؛ فقالوا: [٣٨٥ ألف ليرة]!!! فو الله لقد دفعتها عَدًا ونقدًا، فما مضت أيام إلا وَبِعْتُ أمتعةً كاسِدَةً عندي من سنوات طويلة، وكان ربحي فيها المبلغ نفسه[٢]!!!

فأنت تلحظ أنه وصل رحمه بحدِّ الصلةِ الأعلى، فجاءته سحائبُ المنن الإلهية بالقَدْرِ الذي وَصَلَه، فقد باع كَاسِدًا عنده، فكان ربحُهُ المبلغ الأول نفسه، فسبحان الله العظيم الذي أرانا سننه حوادث تجري بيننا، نراها بأعيننا؛ علَّ الغافل أن يفيق، وتحصل الهداية لمن ضَلَّ الطريق، أو فَقَد الرَّفيق!!

---

(١) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٢٢٧٢)، (١/ ٤٩٢).

(٢) محمد راتب النابلسي/ محاضرة بعنوان: صلة الرحم.

نسائم الروح

قال الشعبي:

والله مَا مَاتَ ذُو قَرابةٍ لِي وعليهِ دَيْنٌ؛ إلا وقَضَيتُ عنهُ دينَه!!!

٤ـ الأجر أجران:

أخرج النسائي في سننه بسند صحيح من حديث سلمان بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ؛ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ**»(١).

وأخرج البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث ميمونة أَنَّهَا أَعْتَقَتْ وَلِيدَةً لَهَا وَلَمْ تَسْتَأْذِنْ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُهَا الَّذِي يَدُورُ عَلَيْهَا فِيهِ، قَالَتْ: أَشَعَرْتَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنِّي قَدْ أَعْتَقْتُ وَلِيدَتِي فُلاَنَةَ قَالَ: «**أَوَ فَعَلْتِ**». قَالَتْ: نَعَمْ قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ لَوْ أَعْطَيْتِهَا أَخْوَالَكِ كَانَ أَعْظَمَ لأَجْرِكِ**»(٢)!!

رسالة الحديثين:

إذا مددت رحمك بِمَالٍ وعطية، وُهِبْتَ أجر الصدقة من رب البرية، وَكُتِبْتَ فيمن يصلون ما أمر الله به أن يوصل، فأي منة من الله هذه وتفضل؟!!

فإن كنت غنيًا -أُخَيَّ- فَأدرك الخير وَتَعَجَّل، وَإن كُنتَ فَقِيرًا فَقُلْ: لو رزقتني ربي مالاً؛ كنت أفعل!!

تجربة ثمارها بهية:

أَخْرِجْ جُزءًا من أول مال يصلك، ثم اكتب لرحمك رسالةَ حُب وسلام، ومودة ووئام، تُزينها بالطيب من الكلام، تُؤَلِّف القلب، وتُذكر بالرب، ثم أعلن إخاءَك وُدَّك، وأنك

---

(١) سنن النسائي، رقم الحديث: (٢٥٨٢)، ص (٤٠٣)، وقال الألباني: صحيح.

(٢) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٢٥٩٢)، (١/ ٥٧٠)، صحيح مسلم، رقم الحديث: (٢٣٦٤)، (٣/ ٧٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من أكثر الناس محبة لِرَحِمِكَ، وارجُ لهم السعادة في الدنيا، والفلاح في الآخرة؛ لِتكُون أنت وَهُمْ من أهل الفضائلِ والمَعروف، ثم ضَع الرسالةَ والمالَ في مظروفٍ، وزر زيارتك؛ لِتَضع بصمتك، وَتُصِغ تجربتك؛ لِتُحَدِّثَ إخوانك بِعَظِيمِ بهجتك، وسرورك وسعادتك، وانتعاش روحك، جَرِّب! وستذكرون ما أقول لكم!!!!

٥- معبرك إلى الجنة:

أخرج **ابن ماجه** في سننه بسند صحيح من حديث **عبد الله بن سلام** رضي الله عنه أنه قال: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ قِبَلَهُ وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ {ثَلاَثًا}، فَجِئْت فِي النَّاسِ لأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا تَبَيَّنْت وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ يَتَكَلَّمُ بِهِ أَنْ قَالَ:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلاَمَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلاَمٍ»(١).

رسالة الحديث:

إن صلة الأرحام؛ مَعبَرُ الجنة بِسَلام، ودِلالَةُ الإيمان، فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»**(٢)؛ لِنَعِ أن من قَطَع الأرحام؛ لم يُؤمن حَقَّ الإيمان؛ عياذًا بالله من الحرمان والخذلان!!

فَالزَم أُخَيَّ صلةَ رَحِمك، وارجُ رَبَّكَ القَبُول

ألا يَكفِيكَ أنَّها أولُ وَصايا الرَّسول ﷺ!!

---

(١) سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٤٨٥)، ص (٥٦٠)، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (١٣٣٤)، ص (٢٣٦)، وقال الألباني: صحيح.
(٢) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٦١٣٨)، (٣/ ١٦٥).

عاشرًا: البيان الختامي

أخي..

ألم يَأْنِ لكَ التوبةُ من القطيعةِ؟!! أما تَخشَى لعنةً من الربِّ سريعة؟!! أو خاتمة عند الممات شنيعة؟!! إلى متى سَتَبقى مَقطُوعًا عن ربك؟!! تَشكُو قَسوةَ قلبِك؟!! أَيُرضِيك أنك مَحرومٌ من السعادة، قَريبٌ من البَلادة، كأنَّ عَبادتك عادة؟!! فَعُد لِرَبك تائبًا مُجيبًا، نادمًا مُنيبًا، تَكن فِي الدارين رَشِيدًا سَعِيدًا!!!

أخي..

متى كان آخرُ عَهدِكَ بِرَحمك؟!! أرأيت سرورًا عَمَّهُم يومًا بِسَببك؟!! ألئن كان رحمُك مُتَعَفِّفين، يَلتَمسونَ لك العُذْرَ من سنين، لا يُشعِرُونَك بِمَعتَبَةٍ أَو أَنِين، أَتَبقَى فِي هُجرانٍ يُدمِي القلبَ، ويُندِي الجبين؟!! أما تُعْظِم فيهم أدبَهُم؟!! أما قَررت وِصَالهم، وإدخال المَسَرَّةَ عليهم؟!! فَحُضُورك بينهم؛ سعادةٌ لَهم، ويوم زيارتك كأَنَّهُ يومُ عيدهم، وَإِنْ عَزَّ اللقاءُ بِكُم، بَقِيَ الدُّعاءُ بريدكم!!!

بني عمنا لا تنسوا الرحم أسرعوا ... إليها فقـــد قـام الردى بِحِيَالهـا

ألا قائم من قومنـا يـدفـع الأذى ... عن الدار أو يعنى بإصلاح حـالها

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إِتحَافُ السَّاجِد الرَّاكِع بِذِلَّةِ المتَكَبِّرِ وَرِفْعَةِ المتَوَاضِع

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أولاً: بطاقة تعريف

إذا تَواضَعَ العبدُ كَاتمًا قَدْرَهُ، رَفَع اللهُ سِعْرَهُ، وَجَعل مَجده فِي الناس قَائمًا، وَذِكْرَهُ فيهم دَائمًا، فَحَيثُ ظَنَّ سُقوطَ القيمة؛ كانت الرفعة العظيمة، والوَجَاهة المُسْتَدِيمَة، أَمَّا مَن تَكَبَّرَ ابتغاءَ رِفعَتِه، وَعُلُوِّ رُتْبَتِه، نَكَّسَ اللهُ هَامَتَه، وَزَادَ الناس فِي مَذَمَّتِهِ وحَقَارتِهِ، فَبِقَدرِ تَواضُعِكَ تكونُ رفعتُكَ، وَبَحجْمِ تَكَبُّرِكَ تكون ذِلَّتُكَ، أَلَا تَرَى أَنَّ التُرَابَ لَمَّا تَواضَعَ لأَخْمَصِ القَدَمِ؛ أَصبحَ طَهُورًا للوَجْهِ؟!!!

على عتبات المسير

قالوا في التواضع إنه:

* أن تخرج من بيتك، ولا تلقى مسلمًا إلا رأيت أن له فضلاً عليك[1]!! والقائل: الإمام **الحسن البصري!!**

* خفض الجناح، ولين الجانب!! والقائل: الإمام **الجنيد بن محمد!!**

* أن تخضع للحق، وتنقاد له، وتقبله ممن قاله، ولو سمعته من صبيٍ أو جاهل!! والقائل: الإمام **الفضيل بن عياض!!**

نسائم الروح

التواضع تواضعان: محمودٌ ومذموم!!

أما المحمود؛ فترك التطاول على عباد الله!! أما المذموم؛ فتواضع المرء لذي الدنيا؛ طمعًا في دنياه!!

(١) الغزالي/ إحياء علوم الدين ص (٣٤٢)، وسيأتي تفسير الكلمة في محور (مراقي الصعود)، البند [٢] من كلام بكر المزني!!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانيًا: نصوص الوحي تناديك

١ـ تواضع فكان من الأعزاء:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤]

رسالة الآية:

آخى النص القرآني بين الذلة للمؤمنين، وجهاد الكافرين دون خشية لائم، لنعلم أن غاية علاقة المؤمن بِأَخِيهِ الرحمة والوقار والتواضع، بينما نعلن عزتنا وهيبتنا ضد أعدائنا؛ حتى ينزلوا تحت لواء إسلامنا!!

قال الشافعي: أرفع الناس قدرًا من لا يرى قدره، وأكثرهم فضلاً من لا يرى فضله.. وإذا تذللتِ الرقابُ تواضعا منا إليك فَعِزُّهَا في ذُلِّهَا..

نسائم الروح

خِطابُ التواضع نَبْثُّهُ للعظماء الكبار، أما نحن فيقال لأحدنا: اعرف قَدْرَك، ولا ترفَع من سِعْرِك، فرحم الله عبدًا عرف قَدْرَ نفسه!!!

٢ـ أعلن الاستكبار؛ فألبسه الله الذلة والصغار!!:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ١١ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ

﴿ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١-١٣].

رسالة الآيات:

لما تَكَبَّرَ إبليسُ على آدم ولم يسجد له، قائلاً: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾، جُوزِيَ بنقيضِ قصده، فجعله الله صاغرًا مخذولاً، ذليلاً مَدحورًا!! بل إنَّ عِلَّتَهُ فِي الكِبْرِ سَخيفة، هَشَّة ضَعِيفة؛ فَإنه نَظَرَ إلى مادة خلقهما، فَفَضَّلَ النارَ على الطين، وهذه مُفاضلَةٌ فاسدةٌ بِيَقين؛ ذلك أنَّ من ألمع سمات النار: الإهلاكُ وَالطَّيشُ والعجلة، ومن أبرز سمات الطين: التَثَبُّتُ والرويَّةُ والأناة، بل لو صَدَقَ فيما قَال وَنَصْ؛ فَإنَّهُ لا اجتهادَ فِي مَوضع النَّص!!!

وتأمل رحمك الله، فإن إبليس ظَنَّ في السجود صَغَارَهُ ومَهانَتَهُ، وعند الله تعالى أن ترك السجودِ يَستوجِبُ زَوالَ رفعتِه، وقِيَام ذِلَّتِه، وهذه إشارةٌ نفيسةٌ شريفةٌ لمن تأملها!!

فأيها المتكبر مهلاً!! فَكُلُّ من ابتَغَى كِبْرًا؛ وَضَعَهُ اللهُ، وذَاقَ مَهانةً وذلاً!!

فهذا فرعون لما قال: أنا ربكم الأعلى؛ أخذه الله نكال الآخرة والأولى!!

وهذا قارون لما تكبر بماله، وقال: إنما أوتيته على علم عندي، ثم خرج مختالاً على قومه في زينته؛ خسف الله به وبداره الأرض!!

أخي..

بِقْدر تواضعك تكون رفعتك، وبقدر تَكَبُّرِكَ تكون ذلتك!! فقه **يحيى بن خالد** هذا المأثر؛ فَصَاغَ لك قاعدةً نافعةً بقولِه:

إنَّ الشريف إن علا تواضَع، والوضيعُ إذا تَقَوَّى تَكَبَّر!!

وفي منثور **الحكم**:

من لم يتواضع عند نفسه، لم يرتفع عند غيره!!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نسائم الروح

إذا أردت دفع كِبْرِكَ فاسجُد؛ فإنَّ الشيطان لما تَكَبَّرَ أبى أن يَسجُد!! فَلَو سَجَدتَّ وَعَلِم، بكى وَأَلِمَ، قائلاً: ويلي وَيلي!! أُمِرَ ابن آدم بالسجود فَسَجَدَ وله جنة النعيم، وأمرت فَأَبيتُ ولي نار الجحيم!!!

ثالثًا: من غيث الرسالة

١ـ رافعة مضمونة:

أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَلاَ زَادَ اللَّهُ بِالْعَفْوِ إِلاَّ عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ**»(١).

رسالة الحديث:

إنَّ العبد إذا كتم سِعْرَه؛ حفظ الله قَدْرَه، وإذا أدنى رتبة نفسهِ لله؛ رَفَعَهُ اللهُ في دنياه وأُخرَاه(٢)؛ ألا ترى أن الماء لَمَّا نزل إلى أسفل الشجرة صعد إلى أعلاها؟!!، فَلَمَّا قيل له: كيف ارْتَفَعْتَ وأنت في المَذَلَّةِ؟!! رد بلسان حاله: من تواضع لله رفعه الله(٣)!! وقد اقتنص هذا المعنى شاعرٌ فحلٌ؛ فأرجز شعرًا قال فيه:

تواضَع تكن كالنجم لاح لناظرٍ ... على صفحات الماء وهو رفيعُ

ولا تك كالدُخَان يعلو بنفسهِ ... إلى طبقات الجو وهو وضيعُ

---

(١) صحيح مسلم، رقم الحديث: (٦٧٥٧)، (٨/ ٢١).

(٢) النووي/ شرح صحيح مسلم (١٦/ ١٤٢)

(٣) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية (٣/ ٢٨٥).

لهذا ألفيتُ أرفعَ الأمة قدرًا، وأمجدَها فضلاً، إمام المتواضعين ﷺ يركَبُ الحمار، ويُعَالج النعل، ويقول: «**مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[(١)]!! وقد قال له الصحابة يومًا: لو اتخذنا لك شيئًا ترتفع عليه تُكلم الناس فقال ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاس! لَا تَرْفَعُونِي فَوْقَ قَدْرِي، فَإِنَّ اللهَ اتَّخَذَنِي عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَنِي نَبِيًّا**»[(٢)]!!! فلما أراد ألا يرتفع، أبى الله إلا أن يعلو ويرتفع، بل خَلَّدَ ذِكْرَه، وأعلى قَدْرَه، وهذا مُؤَكَّدٌ معلومٌ؛ فمن تواضع لله رفعه!!

سمع ملكٌ عربي برفعته، فشد الرحال في رؤيته؛ فلما رآه اهتز قلبه، وارتعدت فرائصه، فأعلن النبي ﷺ تواضعًا فريدًا بقوله: «**هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ**»[(٣)]!!

٢ـ خافضةٌ مضمونة:

أورد **المنذري** في ترغيبه وترهيبه بسند صحيح من حديث **عبد الله بن عمرو** رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بعمله، سَمَّعَ اللهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ، وَحَقَّرَهُ وَصَغَّرَهُ**»[(٤)]!!

رسالة الحديث:

إذا أراد العبدُ أن يظهر للناس وجاهته ورفعته، فَرَاحَ يرفع من سِعْرَه ورتبته؛ لِيَعْظُمَ عندَهُم، ويعلو في أعينهم؛ أَظْهَر الله مساوئه التي أخفاها عنهم، فَازْدَرَتْهُ أعينُهم، فَفَاته مقصوده منهم، فلا يُثاب على مقالته، بل يزيد الناس في ذِكْرِ مَذَمَّتِهِ وَحَقارتِهِ[(٥)]!!!

---

(١) المنذري/ الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (٩١)، وقال الألباني: صحيح.
(٢) الألباني/ السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٢٥٥٠)، (٦/ ٤٩).
(٣) سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٣١٢)، ص (٥٥٧)، وقال الألباني: صحيح.. والقديد هو: اللحم المشوي إذا مُلِحَ وعُلِّقَ.
(٤) المنذري/ الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (٢٥)، (١/ ٧) وقال الألباني: صحيح.
(٥) الكلاباذي/ بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخيار (١/ ٣٢٢)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولذا؛ قَرَعَ الإمام **عمر** رضي الله عنه أسماع المتكبرين فقال لهم:

تواضعوا؛ فإن من تكبر خفضه الله، فهو في نفسه كبير، وفي أعين الناس صغير، بل إنه -وربي- أهون عليهم من كلبٍ حقير[1]!!!

وإليك أنموذجًا من هؤلاء بلسان الإمام **المدائني**:

قال: رأيت رجلاً يطوف بين الصفا والمروة، وقد اعتلى بغلته وهو في تِيهٍ وعُجْب، وبين يديه غلمان يُعَنِّفُونَ الناس ليفْسَحُوا له الطريق، ومع تراخي الأيام رأيته مسافرًا على قدميه، متعبًا منهكًا، ويحمل متاعه على ظهره، ثم إنه حافي القدمين، حاسر الرأس، طويل الشعر، فقلت له: أَرَاجِلٌ في هذا الموضع، وأنت من يطوف ببغلته بين الصفا والمروة؟!! فقال الرجل:

إنني ركبت حيث يمشي الناس، فكان حقًا على الله أن أمشي حيث يركب الناس

فمن تكبر وضعه الله!!!

من فرائد الفوائد

إن الله تعالى لما ذكر أهل التواضع وأنهم ﴿يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣] عبر بقوله: ﴿عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾؛ دلالة على استعلائهم، وعلوهم ورفعتهم، أما حين نهى عن التكبر بقوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: ٣٧] قال: ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ إشارة لدنو رتبته، وسقوط قيمته، فإنه فيها لا عليها!!

(١) الخطيب البغدادي/ تاريخ بغداد (٢/ ١١٠).

رابعًا: مآثر الأيام

١ـ مدرسة النبوة: سيرة ومسيرة:

أنتجت المدرسة النبوية أعلامًا سَكَبُوا التواضع بفعالهم في قُلوبِنَا سَكْبًا، وهم من أبى التنازل لأحدٍ يومًا، بل ربما اشترط بعضهم ألا يركع في صلاته؛ لِيَدْخُلَ فِي الدين، فلما شقَّ الإيمانُ شغاف قلوبهم بيقين؛ ألفيناهم أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين!!!

فهذا إمامهم المصطفى ﷺ يحمل فتاة صغيرة خلفه على دابته يوم خيبر، ويسير بها قرابة [٩٠ كم]، ولما قسم الفيء أعطاها قلادة ثمينة!! قالت الفتاة: أخذ النبي ﷺ قلادة ثم أعطانيها، فَهَمَمْتُ أن أَلبِسَهَا؛ فَأَبَى، ثم ألبسني إياها بيده، وَجعلها في عُنُقِي، فو الله لا تفارقني أبدًا!!! ثم أوصت الفتاة أن تدفن القلادة معها إذا ماتت[1]؛ فإذا أتت النبي ﷺ يوم القيامة قالت له: القلادةَ القلادَةَ يا رسول الله!!!!

أي رتبة من التواضع هذا؟!! أيلاطف فتاة صغيرة في بلادِ الحرب ويترك فيها بصمة تستقر معها في كفنها، بل وإلى ساحة القيامة إذا أتت ربها؟!!! فصنيع نبينا ﷺ هذا، أنزول في قَدْرِهِ أم صعود؟!!!

وهذا **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه أحدُ ألمع فرسان المدرسة النبوية؛ يأتيه وفدٌ عراقي بإمامة **الأحنف بن قيس**، وهو يغسل إبل الصدقة بنفسه!! فنادى **الأحنف** قائلاً: تعال أَعِنْ أمير المؤمنين!! فقال أحد الوفد: هلا أمرت عبدًا من عبيدك ينظفها يا أمير المؤمنين؟!! فقال عمر رضي الله عنه بِلِسَانٍ يَقْطُرُ تواضعًا:

وأي عبدٍ هو أعبد مني وَمِنَ الأحنف؟!!
إن من وَلِيَ أمر المؤمنين كان لهم بِمَنزلةِ العبد من السيِّد!!

---

(١) مسند أحمد (٤٥/ ١٠٨) بتصرف.

www.alukah.net

وهذا خِصامٌ يُعْلَنُ بين **الحسين بن علي** وأخيه **محمد بن الحنفية** من جهة أبيه، فلما طال الخصام كتب **محمد** لأخيه **الحسين** رسالة عنوانها التواضع قال فيها:

يا أخي، لقد طال الخصام بيننا، وإنك لخير مني، وأمك خيرٌ من أمي، وإن رسول الله ﷺ يقول: «**وَخَيْرُهُمَا الَّذِى يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ**»(١)، وإني أخشى أن أبدأك بالسلام فأكون خيرًا منك، فابدأني أنت السلام بالله عليك!!

رسالة مآثر فرسان المدرسة النبوية:

إنهم قومٌ لما تواضعوا لخلق الله؛ جعل الله مجدهم في الناس قائمًا، وذكرهم فيهم دائمًا، بل سَطَرَ الشعراء فيهم أنفس قصائدهم، وَدَبَّجَ الخطباء فيهم أجود قلائدهم، وأما فِعَالُهم فيحسبها الجاهل مشاهد ذلة؛ فإذا عاينها ألفاها معارج عزة، وما كذبت سنة الله قط!!!

نسائم الروح

قال أحد السلف: والله ما دخلت مجلسًا أرى نفسي فيه أصغر الناس وأدناهم؛ إلا خرجت وأنا أعلاهم، وما دخلت مجلسًا أرى نفسي أرفع الناس وأعلاهم؛ إلا خرجت وقد وضعني الله أدناهم!!!

٢ـ تواضعنا لعلمه فانتفعنا به:

وَجَّهَ **هارون الرشيد** كتابًا إلى الإمام **مالك** أن يأتيه بكتابه «الموطأ»؛ ليتلوه عليه وعلى أولاده، فقال الإمام **مالك** لرسول الخليفة: قل له: إن العلم يؤتى ولا يأتي، ويزار ولا يزور!!! فغضب الخليفة وأشار عليه أحد جلاسه أن يذكر لأهل العراق معصية مالك له!!

فبينما القوم في غضبهم، وإذا بالإمام **مالك** يدخل وليس معه كتاب، فَسَلَّمَ وَجَلَس!!

(١) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٦٠٧٧)، (٣/ ١٥٢)، صحيح مسلم، رقم الحديث: (٦٦٩٧)، (٨/ ٩).

فقال له الخليفة معاتبًا: أُرْسِلُ لك يا **مالك** فتخالفني!!

فقال **مالك**: يا أمير المؤمنين إن الله عَزَّوَجَلَّ بعث إلينا **محمدًا**، وأمر بطاعته، واتباع سنته، وأن نرعاه حيًا وميتًا، وقد جعلك في موضعك هذا لعلمك، فلا تكن أول من يضيع العلم فيضيعك الله!! ثم إني رأيت من هو أدنى منك يوقر هذا العلم، فأنت أحرى بذلك، فبكى هارون الرشيد من كلامه!!

ثم تلا مالك عليه قول الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٥] وقال له: إن الآية لما نزلت قال ابن مكتوم: يا رسول الله، قد أُنزِلَ الله في فضل الجهاد ما أُنزِل، وأنا رجلٌ ضرير، فهل لي من رخصةٍ، فقال رسول الله ﷺ: ما أدري!! فقال زيد كاتب الوحي: وقلمي رطب لم يجف، حتى غشي النبي ﷺ الوحي، ووقع فخذه على فخذي، فكادت تندق من ثقل الوحي، ثم قال: اكتب يا زيد ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾!!

رسالة الآية بلسان الإمام مالك إلى هارون الرشيد:

يا أمير المؤمنين، هذا حرفٌ واحدٌ بعث الله فيه جبريل والملائكة مسيرة خمسين ألف عام حتى أنزله على نبيه، أفلا ينبغي لي أن أُجِلَّهُ وَأُعِزَّه؟!! فقال هارون: قم بنا إلى منزلك!!

فأتى هارون الرشيد بيت مالك، فانتظر على الباب طويلاً، فلما خرج له مالك قال **الرشيد**: ما هذا يا **مالك**؟!! طلبناك فامتنعت علينا، وجئناك فحبستنا على بابك!! فرد **مالك**: أعلم أنك لم تُرِد مني جاهًا ولا منصبًا، وإنما تريد حديث رسول الله ﷺ، فأحببت أن أتهيأ له، فاغتسلت وأخذت أحسن ثيابي وأذنت لك!!!

فجلس الرشيد إلى مالك، وقال له: اقرأ عليَّ!!

فقال **مالك**: ما قرأت على أحدٍ منذ زمان، وإنما يُقرأُ عليَّ!!

فقال **الرشيد**: أخرجِ الناسَ لأقرأَ عليك!!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقال مالك: إن العلم إذا مُنع منه العَامَّة لأجل الخاصة لم تنتفع به الخاصة!!

فقرأ أحدُ أتباعه، وكان الرشيد متكئًا بجوار مالك، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين من تواضع لله رفعه الله!! فاعتدل في جلسته، وجلس منه مجلس التلميذ من شيخه!!

وقيل: إن مالكًا قال: إن هذا العلم لا ينفع سرًا، قمْ إلى المسجد ندرسْه مع الناس، فانطلق رجال الخليفة إلى المسجد، وهيئوا له كرسيًا، فافتتح مالك بحمد الله، والصلاة والسلام على رسول الله، ثم قال: من تواضع لله رفعه!! فعلم الخليفة أنه المقصود، فأمر بتنحية الكرسي، وجلس مع الناس!!!

فلما كان بعد مدة قال الخليفة للإمام **مالك**: تواضعنا لعلمك فانتفعنا به، وتواضع لنا علم **سفيان بن عيينة** فلم ننتفع به، وكان يأتيهم فيحدثهم[1]!!!!

رسالة المأثر:

إنَّ **الرشيد** بتواضعه لمالك، نفعه الله بعلمه، وقد عَظُمَ قَدْرُه، وارتفع سعرُه، فحيث ظنَّ سُقوطَ القيمة، كانت الرفعة العظيمة، والوجاهة المستديمة، بِشَخْصِهِ مُقيمة!!

وكذا **مالكٌ**، فإنَّه لما تواضع للعلم الذي أَمَدَّهُ بِهِ ربُّه، عَظُمَت رُتبَتُه، وفَاحَت الألسن بِذِكْرِ رفعته، وقيام هَيبَتِهِ، حتى قال **سعيد بن أبي مريم**: إن هيبة **مالك** تفوق هيبة السلطان!! بل إن التلامذة كان يتباهون بالرواية عنه، ورَفْعِ سعرهم به، ولذلك قال بشر الحافي: حدثنا مالك، وأستغفر الله، إنَّ من زينة الدنيا أن يقول الرجل: حدثنا **مالك**!!! ولما عاين الفقيه المحدث **سفيان الثوري** إجلال الناس له في مجلسه أرجز شعرًا قال فيه:

يَأْبَى الجوابَ فلا يراجع هيبة ... فالسائلون نواكس الأذقان

أدب الوقار وعز سلطان التقى ... فهو المهيب، وليس ذا سلطان

(١) ابن العماد/ شذرات الذهب (١/ ٢٨٣)، الذهبي/ سير أعلام النبلاء (٨/ ٦٦)، القاضي عياض/ ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١/ ٤٧).

خامسًا: ذخيرة الأسرار

الجزاء من جنس العمل:

إنَّ المُتواضِعَ لما أدنَى من قَدْرِه، وأَخفضَ مِن شَأنِهِ، رفع الله درجتَهُ لِحُسنِ قَصدِه، بل لما أوحى الله إلى الجبال: إني مُكَلِّمٌ على واحدٍ منكم نبيًا، تطاولت الجبالُ، إلا طور سيناء فَتَواضع، فكلم الله مُوسَى عليه[١]!!

أما المتكبر فما تكبر إلا ليرفع سعره؛ فجوزي بنقيض قصده، فَبِقدْرِ كِبْرِهِ كانت مذلته، وقد شخص العلة الطبيب الشرعي ابن تيمية فكتب في تقريره:

إنهم قومٌ لما أذلوا عباد الله؛ أذلهم الله لعباده[٢]!!!

من فرائد الفوائد

إن من أسماء الله «المتكبر»، والكبرياء في حق الله كمال ومدح، وفي حق العباد نقص وذم، فلماذا؟!!

أهداك النابلسي مثالاً عجبًا تضمن الإجابة، فقال:

هَبْ أنك سَتُجْري عملية جراحية بمائة ألف دولار، فتوجهت إلى صديقك تلتمس المبلغ، فقال: مبلغك عندي، وهو كاذب!! ثم توجت لآخر تطلب المبلغ، فقال: مبلغك معي، وهو صادق!!

فالذي ادعى امتلاك المبلغ كاذب وكذبته نقص، أما الآخر؛ فلو قال لك: لا أملكه وتواضع لك فهذا نقص؛ لأنه يملكه!! كما لو ادعى الجاهل العلم، والبخيل الكرم، أما

(١) ذكر الأثر ابن منظور في مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٢٨٦)، عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى دون سند أو عزو.
(٢) ابن تيمية/ مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٢٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لو اعترف الغني بماله، والعالم بعلمه، والبخيل بكرمه، فهذا كمال ومحمدة!!

وعليـــه:

فإن الله جلَّ وعلا خالق الكون، وفاطر الإنس والجن، حي لا يموت، حاضر لا يفوت، صاحب العزة والملكوت، والقدرة والجبروت، فإذا قال: إنني متكبر أفعل ما أشاء، وأقضي ما أشاء، فهذا قولٌ حق، وكمالٌ مطلق، فإذا تواضع وقال: لا أقدر على كل شيء فهذا ينافي الكمال، وحاشا ربَّنا وكلا!!

أما العبد فإنه في نقصٍ تام، يعجز معه أن يُدَافِعَ جوعًا ولا بردًا، ولا نعاسًا، ولا موتًا، ولا مرضًا، فَكِبْرُ العبد جهالة بالرب، ونقص محض، فإذا تكبر كان لئيمًا كاذبًا، ذليلاً صاغرًا!!!

ويكفي كل متكبر ما أخرجه ابن ماجه في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

يقول الله سبحانه: «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ»[1]!!

نسائم الروح

قال عبد الله بن المبارك: رأس التواضع أن تَضَعَ نفسك عند من دونك في نِعَمِ الدنيا؛ لتُعْلِمَهُ أنه ليس لك بدنياك فَضلٌ عليه، وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا؛ لتُعْلِمَهُ أنه ليس له بِدُنياه فضلٌ عليك؛ فإن التَكَبُّرَ على الأغنياء تواضع!!!

(١) سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٤١٧٥)، ص (٦٩٤)، وقال الألباني: صحيح.

سادسًا: بشائر العافية

١ـ لا يرى لنفسه قيمة!!:

إن من اتهم نفسه دومًا، ولم يغترَّ بذاته يومًا، بل يتمنى أن يخرج كفافًا من دنياه، لا له ولا عليه، فهذا أُبَشِّرُهُ بأنه على أُولى بشائر العافية، ألا ترى أن الله عَزَّوَجَلَّ اصطفى جبل الجودي مُسْتَقَرًّا لسفينة نوح، بعدما علا كلُّ جبل وتطاول، ولم يتواضع إلا هو[١]؟!!

إخوتاه:

أخرج الإمام **أحمد** في مسنده من حديث **عُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «مَنْ تَوَاضَعَ لِي هَكَذَا -وَجَعَلَ يَزِيدُ بَاطِنَ كَفِّهِ إِلَى الْأَرْضِ وَأَدْنَاهَا إِلَى الْأَرْضِ- رَفَعْتُهُ هَكَذَا!! -وَجَعَلَ بَاطِنَ كَفِّهِ إِلَى السَّمَاءِ وَرَفَعَهَا نَحْوَ السَّمَاءِ-»[٢].

رسالة الحديث:

بِقَدْرِ ما يُدنِي المرء نفسه من الثرى، فإنه يقتربُ من الثُرَيَّا، وقد نَظَمَ ابن الحاج هذا المعنى حكمة بليغة قال فيها:

«إنَّ مَن أَرادَ الرفعةَ فليتواضَع، فإنَّ العِزَّةَ لا تُستَحَقُّ إلا بِقَدْرِ النُّزُولِ»!!!

ولهذا أشعل **الفضيل بن عياض** نار وعظه في مكامن قلبك بقوله:

«مَن رَأَى لنفسهِ قيمة؛ فَلَيسَ لَهُ فِي التواضعِ نَصِيبٌ»!!

فهذا **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يبلغه أن ابنه قد اشترى فَصًّا لخاتمه بألف درهم، فاستدعاه قائلاً: عزيمةُ أمير المؤمنين عليك إلا بِعْتَهُ ثم اشتريت آخر بدرهمٍ واحد، وكتبت عليه: رحم الله امرأً

---

(١) ذكر القول محمد السفاريني في كتابه: غذاء الألباب شرح منظومة الآداب (٢/ ١٨١) عن مجاهد دون سند أو عزو.

(٢) مسند أحمد، رقم الحديث: (٣٠٩)، (١/ ٣٩٩)، وقال الألباني: صحيح، وهو حديث مرفوع.

www.alukah.net

عرف قدر نفسه!!!

وهو الذي حمل على عاتقه قربة ماء، فلما عُوتِبَ قال: لما أتتني الوفود سامعين طائعين؛ دخلت نفسي نخوة، فأردت أن أعسرها!!!

وعلى دربه **إبراهيم بن أدهم**، كان يسير يومًا بجوار أحد البيوت، وَقَدَّرَ الله تعالى أن تخرج صاحبة البيت برماد في إناء وألقت به في الطريق، وما علمت أن إبراهيم بن أدهم مارًا فيه!!!

أما **إبراهيم**؛ فتلطخ بالرماد، ثم اجتمع أهل الحي، وقالوا للمرأة: حسبنا الله ونعم الوكيل، هذا إمامنا **إبراهيم بن أدهم**!! فأخذ يقول في تواضع نادر:

لا عَلَيْكُم، لا عَلَيْكُم!!

إنَّ من استحَقَّ النارَ، ثُم صُولِحَ على الرماد لَهُو من الرَّابِحين

فإن اللهَ نَازَلَهُ رمَادًا دون جَمرٍ أو نَار!!

٢ـ ألسنة الخلق أقلام الحق:

وهذه جملة نفيسة!!!

فإذا نطق الناس وقالوا عنك: مؤمنٌ طائع، حليمٌ متواضع، فإنك هينٌ لين، وهذه عاجل بشرى المؤمن!!

وإليك أمارة دالة نافعة:

قل لأحد أحبابك أن يتوجه لبعض أرحامك وجيرانك وإخوانك بل والأجير عندك، ويسألهم عنك، فإن وجدت خيرًا فاحمد الله، وإلا فَعُد إلى نفسك تهذبها؛ ذلك أن جلَّ الصادقين من حولك يقولون الحق فيك في غيبتك بلا مداهنة أو مداراة، ولا مواربة أو مجاراة!!!

واعلم أن من هُم خير منك، تواضعوا لعباد الله أكثر منك، فلم تتكبر ولو زعمت أنك متواضع؟!!

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعاً ... فكم تحتها قــوم هــمُ منك أرفـع
فإن كنت في عــز وخيــر ومنعـة ... فكم مات قـوم هـمُ منــك أرفـع

سابعًا: مراقي الصعود

١ـ تعرف على نفسك:

إن الإنسان خُلِقَ ضعيفًا، فالبرد يؤذيه، والجوع يهلكه، والفقر يَأْسِرُه، والمرض يَحْبِسُه، بل ربما تعلقت بقدمه شوكة فمرض في الفراش شهرًا، أو هَدَّده مَخلوقٌ مثله فاختبأ في غاره دهرًا!!!

ولذا؛ أجمع العارفون بالله أن من عرف قدر نفسه، تواضع لربه، ولم يتكبر على آدمي مثله!!

فهذا مطرف بن عبد الله ينظر يومًا إلى المُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ، وعليه حلة يختال فيها، فقال له: ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله؟! فقال المهلب: أما تعرفني؟! فقال له: بل أعرفك، أليس أَوَّلُكَ نطفة مَذِرَة، وآخرك جيفة قَذِرَة، وحشوك فيما بين ذلك بول وعَذِرَة؟!!! فأرخى رأسه، وكفَّ عن كِبْرِه!!

وقد جعل **ابن عوف** هذه الحادثة شعرًا فقال:

عَجِبْتُ مِنْ مُعْجَبٍ بِصُورَتِهِ ... وَكَانَ بِالْأَمْسِ نُطْفَـةً مَــذِرَهْ
وَفِي غَدٍ بَعْدَ حُسْنِ صُــورَتِهِ ... يَصِيرُ فِي اللَّحْدِ جِيفَـةً قَـذِرَهْ
وَهُوَ عَلَى تِيهِـهِ وَنَخْــوَتِـهِ ... مَا بَيْنَ ثَوْبَيْهِ يَحْمِلُ الْعَذِرَهْ[1]

(١) الماوردي/ أدب الدنيا والدين ص (٢٩١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذا التابعي المتواضع، محمد بن واسع، يرى ابنًا له يمشي باختيال وتكبر، فقال له: أتدري بكم اشتريت أمك؟ ما اشتريتها إلا بثلاثمائة درهم، وأبوك لا كثر الله في المسلمين مثله، ثم تمشي هذه المشية!!!

أهداك الشافعي نصحًا نفيسًا، يجعلك بالتواضع رئيسًا!! فقال:

لا ترفع سِعْرَك، فَيَرُدَّكَ الله إلى قيمتك،

ألا ترى أن من طأطأ رأسه للسقف أَظَلَّه، وأن من تعالى بِرأسِهِ شَجَّه؟!!!

فهذا قدرك أيها العبد، فإن عرفت نفسك، تواضعت لربك، ولم تتكبر على مخلوق مثلك!! ثم إن الله أمرك، وقال لك: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧]!!!

امتحان فاصل:

انزع شوك الكبر بملقاط التواضع

كَانَ النبيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ بَيتَهُ يَكُونُ فِي خِدْمَةِ أَهْلِهِ[1]!! فَعُدِ الآن إلى بيتك، واختبر تواضعك، فَقَبِّل يدَ أبيك وأمك، ثم قل: أنا مسئولٌ عن الأعمال المنزلية اليوم كلها، فإن فعلت كنت متواضعًا فاحمَدِ الله، أما إن تَلَكَّأْتَ بِعِلَّةِ الانشغال؛ فإنَّ الداءَ له أصلٌ في قلبِكَ، وربما أطفئ من محاسنك ما اشتهر، وسلب من فضائلك ما انتشر!!

٢ـ لا ترى لنفسك فضلاً على أحد:

وهذه نصيحةٌ بليغةٌ جامعة، وَعِظَةٌ وجيزةٌ صادعةٌ!!!

وإنها وربي قلب سنتنا، وثمرةٌ نَضِرَةٌ للتي قبلها، وأنفس جملة آواها بحثنا!!

ودونك سؤالاً رائعًا، وجوابًا ماتعًا، يلخص لك المقصود:

---

(١) صحيح البخاري (١/ ١٣٦).

جاء رجل إلى الرجل الصالح **بكر بن عبد الله**، فقال له: عَلِّمني التواضع!!

فأجاب قائلاً: إذا رأيت من هو أكبر منك فقل: سبقني إلى الإسلام والعمل الصالح، فهو خيرٌ منِّي!! وإذا رأيت من هو أصغر منك فقل: سبقته إلى الذنوب والعمل السيء، فأنا شرٌ منه!! وإذا كان عالمًا فقل: هذا أتاه الله ما لم أُؤْتَ، فَعَلِمَ ما أجهل، وهو يعملُ بعلمِهِ!! وإذا كان جاهلاً فقل: هذا عصى اللهَ بجَهلٍ، أمَّا أنا فعصيتُه بِعِلْمٍ، وإذا رأيت كافرًا فقل: لا أدري بم يختم لي وله، فربما أسلم فيختم له بخير العمل، وربما أُخْذَل فَأَكْفُر، فيختم لي بسوء العمل!!!

وهذا إمام الدنيا **الإمام الشافعي** يهتف قائلاً في تواضع جم:

أُحبُّ الصالحين ولستُ منهم ... عساني أنْ أنالَ بهم شفـــاعة

وأكرهُ من تجارتُه المعـــاصي ... ولو كنَّا سواءً في البـضـاعــة

فرد عليه تلميذه الإمام **أحمد بن حنبل**:

تُحبُّ الصالحيــن وأنت منهم ... عساهم أن ينالوا بك الشفاعة

وتكرهُ من تجارتُه المعـــاصي ... وَقَاكَ الله من تلك البضــاعة

نسائم الروح

قال **أبو عَبّاد الكاتب**:

«ما جَلس إليَّ رجل قَطَ إلا خُيِّل إليَّ أنّي سأجلسُ إليهِ»!!!

٣ـ استشعر عظمة ربك عَزَّوَجَلَّ:

تأمل ما قاله **د. محمد راتب النابلسي**:

أفاد ثلة من العلماء أن في الكون ما يزيد عن مِليُون مليون مجَرَّة، وفي كل مجَرَّة ما يزيد عن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مِليُون مليون نجم، وأن بين القمر والأرض [ثانية ضوئية واحدة]؛ ذلك أن الضوء يقطع في الثانية [٣٠٠ ألف كم]، وأن بين الشمس والأرض [٨ دقائق]، وبين الأرض وأقرب نجم ملتهب [٤ سنوات ضوئية]، فإذا أردت قطع المسافة بسيارتك؛ فإنك تحتاج إلى قرابة [٥٠ مليون سنة]؛ لتصل إليه!!!

فكيف لو عرفت أن نجم القطب يبعد عنا [٤٠٠٠ سنة ضوئية]، مما تحتاج للوصول إليه لأكثر من [١٠٠٠ مليون سنة]، ثم إن آخر مجرة اكتشفها العلماء تبعد عن أرضنا [١٦٠٠٠ مليون سنة ضوئية]؟!!!!

أخي..

أين موقعك في كَونِ ربك؟!! حدثني عن قُوَّتِك!! صِفْ لي هيبتك!!

أتذكر معي ذاك الزلزال الذي أصاب اليابان قبل شهور، ولما زادت قوته [نصف درجة] سقط فيه [٨٠ ألف قتيل]، ومثلهم تحت الأنقاض؟ بل أفاد علماء الزلازل أن زلزالاً واحدًا تزداد درجته [٥ درجات] عن درجته المعتادة، كفيل بضرب الأرض؛ لتصبح أثرًا بعد عين، ولا يبقى إنسان على وجهها!!!

فـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]

أبث إليك كلامًا نفيسًا من درر **ابن القيم** جاء فيه:

إن العبد الذي شَمُخَت نفسُهُ، إذا ذكر عظمة ربه، وغضبه على من نازعه ذلك؛ تواضعت إليه نفسه، وانكسر لعظمة الله قلبه، واطمأن لهيبته، وأَخْبَتَ لسلطانه، وهذا غاية التواضع!!

وسبيل ذلك أن يتولد التواضع من العلم بالله، ومعرفة أسمائه وصفاته، ونعوت جلاله، ومحبته وإجلاله، ثم معرفته بنقص ذاته، وعيوبه وآفاته، فيحصل له عندئذ خلق التواضع، فينكسر قلبه لله، ويخفض جناحه رحمة بعباد الله، فلا يرى له على أحدٍ فضلاً، ولا يرى له

عند أحدٍ حقًا، بل يرى كلَّ فضلٍ للناس عليه، والحقوق لهم قِبَلَهُ، وهذا وربي خُلُقٌ إنما يعطيه الله تعالى من يحبه، ويكرمه، ويقربه[١]!!! فثبت إذن:

أنَّ أعظم سبيل لاستشعار عظمة الألوهية، أن تلزم ميراث النبوة!!

ذلك أن من طلب العلم عرف ربه، ومن عرف ربه أدرك قدر نفسه، فيتواضع لعباد الله حتى يصبح التواضع له سجية، فيعفو عن خصمه، ويتنازل عن حقه، ويغض الطرف عن فُجُورِ مخالفه!!

العلم حـــربٌ للفتى المتعالي كَالسَّيلِ حربٌ للمكان العالي

ثامنًا: إشارة حمراء

١ـ تلك بعض صفاتهم، فهل أنت منهم؟:

إن الكبر خصالٌ ومراتب، إذا اقترفها العبد كلها كان متكبرًا خالصًا، وإذا اقترف بعضها حصل له من الكبر بمقدار ما اقترف، وهذه إشارة قل من يتفطن لها من البشر؛ فإنهم يَظُنُّونَ أن الكِبْرَ كلٌ لا يَتَجَزَّأُ!!

قلت:

إنَّ المُتكَبِّرَ يجب أن يبدأه الناس بالسلام أو الكلام أو المصافحة لا أن يبدأ هو، ولو سَلَّمَ فَعَلَى عَجَلٍ، شعاره دومًا: إنِّي مشغولٌ!! ثم إنه يُكْثِرُ الحديثَ عن نفسه، ويغضب إن فَتَرَ أحدهم عن سماعه، وإذا تكلم أحدهم معه تمنى سكوته ليتكلم هو!!

إنَّ المُتكَبِّرَ لا يُمازح من أَدْنَى منه رتبة؛ لئلا يَذِل، لكننا نجد نبينا ﷺ يُمازح الطفل والعجوز، وما زاده الله إلا رفعة وذكرًا!!

---

(١) ابن القيم/ الروح (١/ ٢٣٣- ٢٣٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنَّ المُتكبِّرَ لا ينقاد للحق إلا إن كان له، أما المتواضع فيتبع الحق ولو كان مرًّا، لا يفضل أحدًا على أحدٍ إلا بميزان الشريعة، شعاره النافذ على أحبابه وأعدائه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣][1]!!

إنَّ المُتكبِّرَ ينتقد كل شيء، لا يقنع بسلوكات صديقه ولا جاره ولا رحمه ولا زوجته ولا زميله، وثمةَ شعور يلازمه أنه أفقه من غيره، وأفطن من إخوانه، ثم تراه يَنْسِبَ كل فضلٍ قائمٍ له، وفي ظنه أنْ لَو قام عمل دونه لكان الفشل مآله، وإن تحدثت معه عن مجده فرح سرورًا، وأيدك شهورًا بل دهورًا، أما لو أشرت له عن عيوبه، لأعلن غروره ونفوره، وشروره وثبوره!!

وجوههم من سواد الكبر عابسة ... كأنما أوردوا غصباً إلى النار
هانوا على الله فاستاءت مناظرهم ... يا ويحهم من مناكيد وفجار
ليسوا كقوم إذا لاقيتهم عرضاً أهدوك ... من نورهم ما يتحف الساري
تروى وتشبع من سيماء طلعتهم ... بوصفهم ذكروك الواحد الباري
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم ... مثل النجوم التي يسري بها الساري

٢- يا طالب العلم احذر!!:

إن العلم أشبارٌ ثلاثة، من دخل في الشِّبْرِ الأول تكَبَّر، ومن دخل في الشِّبْرِ الثاني تواضع، ومن دخل في الشبر الثالث علم أنه لا يَعلم[2]؛ يتأول قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]!!

---

(١) وقد أخرج أبي داود في سننه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الجِعْلاَنِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتَنَ» .. انظر: سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥١١٦)، ص (٧٦٦-٧٦٧)، وقال الألباني: حسن.

(٢) بكر أبو زيد/ حلية طالب العلم ص (٤٠).

أخي طالب العلم..

أجمع العارفون بالله أن كل علم لا يزيدك من الله خشية وخوفًا، ومن العباد تواضعًا وقربًا، إلا زادك من الله بعدًا، ومن العباد بغضًا، فلم يَتَسَرَّب الكِبْرُ إلى طلبة العلم حتى يخشى أحدهم أن يقول {لا أدري}؛ لئلا تسقط رتبته؟!!

فهذا نبي الله موسى يتعلم من الخضر مسائل ثلاثة، وسليمان يصغي لهدهد قائلاً له ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ [النمل: ٢٢]، بل إن البشرية تتلمذت على يد غراب عَلَّمَهَا كيف تُوارِي موتاها!!

ورحم الله ابن معتز الذي صدق وأجاد بقوله:

إن المتواضع من العلماء أكثرهم علمًا، ألا ترى أن المكان المنخفض أكثر الأرض ماءً؟!! وفي منثور الحكم: إذا سُئِلَ الشريفُ تواضع، وإذا سئل الوضيع تكبر، ومن تكبر بعلمه وضعه الله به، ومن تواضع بعلمه رفعه الله به!!!

٣ـ تواضع القلب أولاً:

إن الكِبْرَ من أعظم الذنب، يَحْجِبُ العبدُ عن الرب، أصلُهُ في القلب، فلو تواضع عبدٌ بجوارِحِهِ دون قلبه، مع اعتقاد عظمة في نفسه، فَهَذَا تواضعٌ أَبْلَه، بل هو بالتَكَبُّرِ أَشْبَه، كأن يُريكَ من سُلُوكَاتِهِ تواضعًا، لكنه يرى نفسه كبيرًا متعاظمًا، فتدليس هذا أَمَدُهُ لا يطول قط؛ ذلك أن الكبرَ رداؤه مُمَزَّق، وثوبُه مُخَرَّق!!!

وإليك مثالاً حيًا:

ألحظ أن ثمة أناسًا يظنون التواضع بخفض الصوت، وبطء السير، يتكلم أحدهم بهدوء دومًا، ظنًا منه أنه يسير على الأرض هونًا، فهذا ليس ضابطًا عدلاً يؤكد تواضع صاحبه؛ فإن النبي ﷺ كان يخطب كأنه منذرُ جيش، وإن «**مَشَى تَكَفَّأَ تَكَفُّؤًا كَأَنَّمَا انْحَطَّ مِنْ**

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صَبَبٍ»[١] كما أخرج الترمذي في سننه من حديث علي رضي الله عنه!!

رسالة الحديث:

إن النبيَّ ﷺ كان إذا مشى أسرع في مشيته، كَأَنَّ الأرض تُطْوَى له، كَالذي ينحدرُ من مكانٍ مرتفع، مع أنه في منتهى التواضع، لكنها مشية الشهامة والرجولة، ولهذا لما رأى عمر رضي الله عنه رجلاً يطأطأ رقبته في الصلاة، قال له:

يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك، فإن الخشوع في القلوب لا في الرقاب!!!

٤ـ جنون العظمة {الحديث عن الذات}:

إذا تكبر العبدُ واختال، ونسي الكبير المتعال، تراه يزعم التواضع، وأنه خاشعٌ طائع، كلما جالسته تحدث لك عن نفسه؛ ورزانة عقله، وأن له شرفًا صاعدًا، ومجدًا باسقًا، فتراه يتكلم في كل فنٍ وباب؛ إشارةً إلى أنه من ذوي العقول والألباب!!

وأمارةُ دَائِهِ كلمةُ [أنا]، فَقَلَّمَا خَلَتْ جملةٌ منها، ولذا؛ فإن داءَ هذا شديد، كأنه شيطانٌ مَرِيد؛ ذلك أنه محرومٌ من رؤيةِ ذنبه، ومعلومٌ أن جاحد مرضه؛ لن يذهب إلى الطبيب يعالجه، ألا ترى أن أول معصية في زمن البشرية كانت من إبليس بقوله عن آدم ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾؟!!!

ومن درر العلماء:

إن من كان ذنبه شهوة فارجُ له التوبة، أما من كان ذنبه كِبْرًا فلا ترج له التوبة..

فإن ذنب آدم كان شهوة وَرَجَعَ فتابَ اللهُ عليهِ، وذنبُ إبليس كان كِبْرًا وَأَصَرَّ فَغَضِبَ اللهُ عليه[٢]!!!

---

(١) سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٦٣٧)، ص (٨٢٧)، وقال الألباني: صحيح.. والمراد ب «تكفأ تكفيًا» تمايل إلى قدام، كما تتكفأ السفينة في جريها، والصبب: الحدور، وهو ما انحدر من الأرض بسرعة، وجمعه أصبابٌ..

انظر: الإمام البغوي/ شرح السنة (١٣/ ٢٢٢).

(٢) تفسير القرطبي (١/ ٢٩٥)، وتفسير الكشف والبيان (٦/ ١٧٦).

ويعلم الله تعالى أنَّ النفسَ تَضِيقُ ذَرعًا بمن أَدْمَن الحديثَ عن نفسِهِ، والتعظيمَ من شأنه!! بل إن كل من ادعى تواضعًا فإنه متكبر، ومن ادعى نقاءً فهو خبيث، ومن ادعى قناعةً فهو طامع، ومن ادعى استقامةً فهو مراوغ[١]؛ تفريعًا على قاعدة يحيى بن معاذ الرازي: «من ادعى رتبةً سقط منها» ولذا:

إذا أردت أن يَنْتَقِصَكَ الناسُ؛ فما عليك إلا أن تُفْصِحَ عن بُطُولاتِكَ!!

وَأَقْبَحُ شَيْءٍ أَنْ يَرَى الْمَرْءُ نَفْسَهُ رَفِيعًا وَعِنْـدَ الْعَالَمِينَ وَضِيعُ

تاسعًا: سحائب المنن الإلهية

١ـ حكمةٌ مشروطة:

أخرج الطبراني في معجمه الكبير من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ آدَمِيٍّ إِلا فِي رَأْسِهِ حِكْمَةٌ بِيَدِ مَلَكٍ، فَإِذَا تَوَاضَعَ قِيلَ لِلْمَلَكِ: ارْفَعْ حِكْمَتَهُ، وَإِذَا تَكَبَّرَ قِيلَ لِلْمَلَكِ: ضَعْ حِكْمَتَهُ**»[٢].

رسالة الحديث:

إن الحكمة وسامٌ زاهر، وشرفٌ باهر، فإذا تواضع العبدُ رفعَها المَلَكُ إكْلِيلاً على هَامَتِهِ، وإن تَكَبَّرَ أزالَها عن كاهِلِهِ، ومعلومٌ أن من تَفَجَّرتِ الحكمةُ في رَأْسِهِ، وغُرِسَت فِي نفسِهِ، أتاهُ من السؤدد غايتُه، ومن الشَّرَفِ نهايتُه، وَرُزِقَ سرورًا وحبُورًا، وامتلأ فؤاده نُورًا، فإن تكلم فَعَنِ الله، وإن سكتَ فَمَعَ الله، وإن سَار فَللَّه، ولذا؛ فإنَّ مَنْ أُوتِيَ الحكمة؛ فقد أُوتِيَ خيرًا كثيرًا!!!

---

(١) خالد أبو شادي/ صفقات رابحة ص (١٩٣).

(٢) الطبراني/ المعجم الكبير (١٢/ ٢١٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٥٣٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال الشيخ الدكتور **نزار ريان**: خرجت من بيتي إلى الجامعة، وقد ارتديت من ثيابي أجملها، وإذا بِرَجل يَجُرُّ عربتَهُ بحمار ويدعوني لركوبها، فنظرت في ثوبي وجماله، فتذكرت ما أخرجه **البخاري** في صحيحه من حديث **أبي هريرة** رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ**»(١)؛ فركبت إرغامًا لنفسي؛ ذلك أني خشيت أن يَحُولَ جمالُ ثوبي عن الركوب معه، فَأَقَعَ في الكِبْرِ، بل رُحْتُ أحرك قَدَمَيَّ، وأتحدث معه، وكل من يتأمل هيئته وهيئتي يُصابُ بذهول عجيب!!!

قلت:

إن الخبير بالشيخ يلحظ بِمُكَالَمَتِهِ مرةً واحدة؛ حِكمتهُ الباهرة الماجدة، وكأن الله عز وجل لما رأى تواضعه، قال للمَلَكَ: ارفع حكمتَهُ على هَامَتِهِ!!! فرحمة الله عليه في الشهداء، نحسبه كذلك ولا نزكيه على ربه!!

٢ـ رفعة في الدنيا:

وهذه سحابةٌ عجيبةٌ، وَمِنَّةٌ غريبة!!

ذلك بأن المتواضع أخفض من قدره، فارتفع لحسن قصده، أما المتكبر فما تَكَبَّرَ إلا ليرفع سِعْرَه؛ فَجُوزِيَ بنقيض قصده!! فليس كل ظَاهرٍ عَلَمٌ، ولا كل مغمورٍ قَزَمٌ، ألا ترى أن الكلب إذا مات طفا على الساحل، أمَّا اللؤلؤ فَمُسْتَقِرٌ في قاع البحر، يتنافس الغواصون في نَيلِهِ؟!! ألا ترى كذلك أن الغُصْنَ المثمر الممتلئ يَتَدَلَّى، وأن الغُصنَ الفارغَ يَستَعْلِي؟!!!

إن كريم الأصل كالغصن كُلّما ... تزايد من حِمْلٍ تواضعَ وانْحَنَى

ولذا ألفيت **الصديق** رضي الله عنه يعظ **خالدًا** بقوله:

يا خالد! فِرَّ مِنَ الشَّرَفِ يَتَّبِعْكَ الشَّرَفُ!!

(١) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٢٨٨٦)، (٢/ ٣٦).

وإليك خبر الإمام **الشافعي** مع تلميذه الإمام **أحمد** كشاهد عدل:

كان الإمام **الشافعي** تُشَدُّ إليه الرحال في طلب العلم، ومع هذا كان يزور تلميذه الإمام **أحمد**، ويتواضع له قائلاً: إذا صح عندكم الحديث؛ فأعلمونا نأخذ به، فعاتبه إخوانه على كثرة زيارته لتلميذه، فأرجز في المعتبة شعرًا رقراقًا قال فيه:

قـالـوا يـزورك أحمـد وتـزوره ... قلت الفضائل لا تغـادر منزلـه

إن زرتـه فلفضله وإن زارنـي ... فبفضله فالفضلان في الحالين له

فهل خدش تواضعه من رتبته شيئًا، أم عظم وعلا، وَعَزَّ وَسَمَا؟!! فتواضعوا عباد الله يرفعكم الله!!

تواضع إذا ما نلت فِي الناس رِفْعة ... فـإن رفيـع القـوم من يتواضع

٣ـ محبة في قلوب الخلق:

إن المُتَواضِعَ من تحلى بالمكارم وجميل الصفات، إذا جالسته ألفيته لطيف القول موصول الثبات، تستقر محبته في قلبك بدون مقدمات!!!

وإليك هدية قولية أتحفك بها الإمام **الطبري** بكلم نادر نفيس قال فيه:

في التواضع مصلحة الدنيا والآخرة، بل لو استعمله الناس في دنياهم؛ لزال العداء من بينهم عن آخره، واستراحوا من نَصَبِ المباهاة والمفاخرة!!!

استفتاء ميداني:

زر مجلسًا حاشدًا لعائلتك، أو مَجْمَعًا عامرًا بإخوانك، ثم اقذف موقفًا عن أرباب التواضع أو الكبرياء وأعلن صَمتَك، فإنك تَجِدُ عجبًا، فهذا يتحدث عن تواضع فلان وأنه يُحِبُّه، وآخر يتكلم عن كبر علان وأنه يبغضه، إلى سلسلةِ مواقف لا يُوقِفُ مَدَّهَا إلا اختتام المجلس!!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حدثني أحد أرحامي أنه قصد رمزًا من ذوي العلم والتقى والوجاهة، يستعينُ به في رَدم مُصَابٍ أَلَمَّ به، فاصطحبه في سيارته، فَفَرِحَ صاحبي كثيرًا، وراح يطوف في كل ميدانٍ ومجلس، يخبر الناس بتواضع ذاك العَالِم، وأَنَّهُ من أَحَبِّ خَلقِ اللهِ إليهِ!!

وفي الاتجاه المعاكس:

مرض أحد أقاربي، فتوجه للطبيب، فأخبره بضرورة إجراء عملية جراحية بتكلفة عالية، فتوجه إلى آخر فَزَهَّدَهُ في العملية لِعَدم جَدواها، وأمره بعلاج ذي تكلفة عالية، فعاد إلى الأول وأخبره، فَزَهَّدَهُ في العلاج وعدم جدواه، فاتصل قبيل موعد العملية بطبيب ثالث مشهور يستشيره، فأبى الطبيب أن يسمع المكالمة إلا بعد دفع مبلغ الكشفية، فتوسله المريض أنه بعد قليل سيدخل العملية ولقاؤُك بعيد، فقال كلامًا معناه: لابد من الحضور ودفع المال، ثُم أغلق الهاتف!!!

فأين الرحمة والتواضع لعباد الله؟!! أين هذا الطبيب من مقالة **عون بن عبد الله**:

«من كان في موضعٍ حسنٍ، ووسع الله عليه رزقه، ثم تواضع لله، كان من خاصة الله[1]»!!

عاشرًا: البيان الختامي

أخي..

إنَّ من تَواضَعَ لله، رَفَعَهُ وَتَولاه، وَجَازاهُ بِقَليلِ حَسناتِهِ، رَفيعَ درجاتِه، وَمن تواضع لعبادِ الله في حياتِهِ، رفعهُ اللهُ في محياه وعند مماتِه، بل أَيَّدَهُ الله بِمُعَقِّبَاتٍ يَجعلُهَا بين يديه، وَمن خَلفِهِ، يحفظونَهُ بأمره، ويحرسونه من عدوِّه، بل العِزُّ فِي هامَتِه، وَفِي السماءِ هِمَّتُهُ، ومَن

(١) أبو نعيم الأصفهاني/ حلية الأولياء (٤/ ٢٥٠).

أرفعُ مِمَّن تَولَّى اللهُ رفعتَه؟!!

أخي..

إياكَ أن تزهو بنفسك، وتفخر بقوتك، حتى لكأنَّ كِسرَى حاملُ متاعِكَ، وقارون وزيرُ نفقتِكَ، وبلقيس إحدى داياتِكَ، وكأنَّ يوسُفَ لم ينظر إلا بطلعَتِكَ، وداود لم ينطق إلا بنغمَتِكَ، ولقمان لم يتكلم إلا بحكمَتِكَ، والشمسُ لم تطلع إلا من جبينِكَ، بلْ من أنت في الكونِ حتى تزدري غيرك، وتعلن كبرياءك؟!! لِمَ تَعُدَّ نفسك من الأعلام، ومن سواك من الأقزام؟!! ألا تعلم أن قَدْرَ تواضعك هو قدر رفعتك، وقدر كِبْرِكَ هو قدر ذُلِّكَ؟!!

مثـــلُ المعجبُ فـــي إعجـابـــه ... مثـــل الواقـف فـي رأس الجبـل

يُبـصِـــرُ الـنـــــاسَ صِغَـارًا ... وهو في أعين الناسِ صَغيرًا لَم يَزَل[1]

(١) خالد أبو شادي/ صفقات رابحة ص (١٩٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَطَايِبُ الأَنْفَاسِ فِي عِزِّ العَافِيْنَ عَنِ النَّاس

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أولاً: بطاقة تعريف

إذا عَدَّ العبدُ العفوَ ذُلاً، والصَّفْحَ عَارًا؛ فَمَآلُهُ ذُلٌّ أَكِيْدٌ، وَألمٌ مَدِيدٌ، أَمَّا من عَفَا عن غيرِهِ، زَادَهُ اللهُ شَرفًا وَعِزَّة، وَفَضلاً وَرِفْعَة، بَل أَحَبَّهُ وَحَبَاه، وَقَرَّبَهُ واجتبَاه، وَعَفَا عنْهُ بِعَفْوِهِ عَن غيره، وَمَنَّ عليهِ بِسَعادةِ قَلبِهِ، وَسُكُونِ بَالِهِ، وَصَفاءِ حَالِهِ، فلا يَغزُوهُ هَمٌّ ولا غَمٌّ، وَلا حَزَنٌ وَلا أَلمٌ، بَل جَعل سَعيَهُ في الناس مَشكورًا، وَأَجْرَهُ عندَ اللهِ مَذْخُورًا!!!

على عتبات المسير

كلامٌ قيِّمٌ لابن القيم.. عن العفو الذي نقصد

إن من قدر على استيفاء حقه، ثم عفا عن خصمه؛ إحسانًا منه وفضلاً؛ كان عفوه محمودًا، أما إن عجز عن جلبه؛ مهانة وخوفًا، كان عفوه مذمومًا، بل إنَّ من استوفى حقه بالقوة، أحسن حالاً منه؛ فإن القرآن مدحه بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٩]، فالعفو الذي نقصد ما كان عن قدرة، وإلا كان عَجْزًا وَمَذَلَّة[1]!!

---

(١) ابن القيم/ الروح ص (٢٤٢).

ذكر ابن القيم في مدارج السالكين أحد عشر مشهدًا للعبد فيما يصيبه من أذى الخلق، إليك ذكرَها وجيزةً دون شرح:

أولاً: مشهد القدر: فتعلم أن مصابك حاصلٌ بقدر الله، كما تتأذى بالحر والبرد والمرض والألم.

ثانيًا: مشهد الصبر على ما أصابك، وأنه من عزم الأمور.

ثالثًا: مشهد العفو والصفح والحلم. وهو مشهدنا هذا

رابعًا: مشهد الرضا: فإن رضيت بما كتبه الله لك من الأذى؛ ليحبك، وإن سخطت سقطت منك الرتبة.

خامسًا: مشهد الإحسان لأهل الإساءة.

سادسًا: مشهد السلامة وبرد القلب، فيفرغ قلبه من طلب الثأر وشفاء النفس، ويشتغل بما هو أنفع له في الآخرة.

سابعًا: مشهد الأمن: فمن انتقم داهمه الخوف، ولم يأمن من عدوه ولو صغر، فكم من حقير أردى عدوه الكبير، فإذا غفر أمن في حياته.

ثامنًا: مشهد الجهاد: فيجعل ما أصابه جهادًا في سبيل الله، وأن الله اشترى منه نفسه وماله وعرضه؛ فيأخذ أجره كاملاً منه، ولا حق له على من آذاه.

تاسعًا: مشهد النعمة: فإن الله ﷻ جعله مظلومًا يترقب النصر، لا ظالمًا يترقب المقت، فضلاً عن تكفير سيئاته، وأن المصيبة في دنياه لا في دينه.

عاشرًا: مشهد الأسوة: فيتأسى برسل الله وخاصته، وهذا مشهد شريف جدًا.

الحادي عشر: مشهد التوحيد: وهو أرفع المشاهد، فإذا امتلأ قلبه بحب الله، أنس به، وسكن إليه، واشتاق للقائه، ففوض أمره كله له، بل ليس في قلبه متسع لغيره ليشغل قلبه به!!

انظر: مدارج السالكين (٢/ ٣٢١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانيًا: نصوصُ الوحي تناديك

١ـ من عفا عز:

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُۥ سُجَّدًا ﴾ [يوسف: ٩٩، ١٠٠]

رسالة الآيتين:

جعل الله نبيه **يوسف** على خزائن الأرض، فجاء إخوته يطلبون الطعام وهم له منكرون، فتواضع لهم، ولم يقتصَّ منهم، بل التمس عذرًا لهم؛ بِأَنَّ فعلهم كان لِجَهلِهِم، وقصور علمهم، فقال لهم: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴾ [يوسف: ٨٩]، فلما عاينوا إحسانه في مقابل إساءتهم ﴿ قَالُوا تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾ [يوسف: ٩١]، أي: نقسم بالله أن الله فَضَّلَكَ علينا، فَأَعَزَّكَ وَأَذَلَّنَا، وأغناك وأفقرنا، فأجابهم: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٩٢]، فَرَفَعَهُ اللهُ عليهم بِعَفْوِه، وجاءوا ومعهم أهلهم سجدًا له[(١)]؛ إظهارًا لِعِزِّهِ وفضله[(٢)]!!!

وتأمل حكمة الله التي كتبت أن يأتوه في تذلل وانكسار، ثم ينادوه بوسام العزة بقولهم: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ [يوسف: ٨٨]!!

---

(١) وقد كان السجود جائزًا في شريعتهم، على أنه لون تحية لا سجودٌ شرعيٌّ؛ فإنه لا ينبغي إلا لله تعالى.. انظر: تفسير الوسيط لسيد طنطاوي ص (٢٣٤٥).

(٢) المرجع السابق نفسه.

٢ـ لينصرنه الله:

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠]

رسالة الآية:

إن الله تعالى ينصر عبده المستوفي لحقه إن بغي عليه، وإن الله تعالى يكون في مقابل الباغي على عبده، وهذه دلالة جلية تشي بحقيقة الصلة بين الله وعباده، فإنه يجعل صفهم صفه، وأمرهم أمره بل يجعل عدوهم عدوه، فتكون قضيتهم هي قضيته، ومعركتهم هي معركته[١]!!

فأي معراج عزٍ هذا الذي يرفع مقام المؤمن حتى يكون أعز البشرية؟!! وأي مهباط ذُلٍ هذا الذي يجعل المخالف الباغي أذل البرية؟!!

أخي..

إذا كانت النُّصرةُ الإلهية بِالحَدِّ الذي رأيت لمن استوفَى حَقَّهُ، فَكَانَ عَدْلاً لا محسنًا؛ فما ظَنُّكَ -بالله عليك- بِنُصْرَةِ الله لك لو عفوت عن أخيك، واتبعت الإحسان الذي رغبك الله فيه في مواضع كثيرة؟!! ألا ترى أن الله يسربلك بعطاء لا يحصى، وخير لا يعد؟!!

ثالثًا: من غيث الرسالة

١ـ ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا:

أخرج الإمام **أحمد** في مسنده بسند صحيح من حديث **عبد الرحمن بن عوف** رضي الله عنه أن

(١) الفكرة مستفادة من تفسير في ظلال القرآن - (١/ ١٤) وإن كان الموضوع مختلفًا هناك!!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رسول الله ﷺ قال: «**ثَلَاثٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنْ كُنْتُ لَحَالِفًا عَلَيْهِنَّ لَا يَنْقُصُ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ فَتَصَدَّقُوا وَلَا يَعْفُو عَبْدٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا، وَلَا يَفْتَحُ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ**»[١].

رسالة الحديث:

أقسم النبي ﷺ أنَّ من عَفَا عن قدرة زاده الله مَجدًا وعزًا، وَرَفَعَهُ بِعَفوِهِ قَدْرًا وفضلاً!!

آهٍ يا مسلمونَ!! آهٍ يا غافلونَ!!

كَأَنِّي بالنبيِّ ﷺ يَسْتَشْرِفُ أن قلوبًا من أمته سَتَأْبَى لا تُصَدِّق كلامه من أول مرة، فَرَاحَ يُقسِمُ أنَّ من عَفَا عَزَّ؛ علَّهم أن يصدقوه!! أبقي في فؤادك شك؟!! أبقي في صدرك ريب!!

وتأمل رحمك الله أن عزتك لن تُخدَش قط بل ستزداد؛ ذلك أن العَافِي وَاهبٌ متصدقٌ يُعلِنُ الوداد[٢]!!

فهذا **صفوان بن أمية** من الذين بالغوا في أذية النبي ﷺ وصَحبه، وفي يوم فتح مكة هَامَ على وَجهِهِ خائفًا بصفته زعيمًا من زعماء قريش، وَشَدَّ رِحاله صَوب جدة يبحر منها إلى اليمن، فاشتد إشفاق صديقه عمير بن وهب عليه، فذهب إلى النبي ﷺ قائلاً: إن صفوان سيدُ قومه، وقد خرج يقذف نفسه في البحر، فَعَفَا عنه النبي ﷺ وقال: هو آمن!!! فقال عمير: أعطني آية يَعْرِفُ بها أمانك! فأعطاه عمامته التي دخل بها مكة، فَلَحِقَهُ عُمير وَهُوَ يُريد أن يركب البحر فقال له: يا **صفوان**.. الله اللهَ في نفسك أن تُهلِكَهَا، هذا أمانُ النبي ﷺ جئتك به؛ فإن رسول الله ﷺ أَبَرُّ الناس، وأحلمُ الناس، عزُّه عزُّك، وشرفه شرفك، فرجع به، ودخل على النبي ﷺ وقال له: اجعلني بالخيار شهرين، فقال النبي ﷺ: أنت بالخيار أربعة أشهر!! ثم أسلم بفضل الله تعالى[٣]!!

---

(١) مسند أحمد، رقم الحديث: (١٦٧٤)، (٣/ ٢٠٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٨١٤).
(٢) ابن الجوزي/ كشف المشكل من حديث الصحيحين ص (١٠٤١)، الصنعاني/ سبل السلام (٤/ ٢٠٨).
(٣) المباركفوري/ الرحيق المختوم ص (٣٩٠).

فهذا كان منهج النبي ﷺ مع الذين آذوه، فرفعه الله تعالى في قلوب العالمين، اللهم إلا أن تُنْتَهَكَ حرمات الله عَزَّوَجَلَّ!! فقد أخرج **مسلم** في صحيحه من حديث **عائشة** رضي الله عنها قالت: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ فَيَنْتَقِمَ لِلهِ عَزَّوَجَلَّ»(١).

نسائم الروح

أَلَا تَكُون كَنَبِيِّكَ ﷺ الذي لم ينتقم لنفسهِ قطُّ، وإنَّهُ لأشرف الناس، وأكرم الناس، فكيف بك وأنت دُونَه؟!! فَكُنْ عَاقِلاً، وقل: آذاني الناس بذنبي، وَسَلَّطَهُم ربي عليَّ بخطيئتي، فَمَن أراد اللهُ أن يُتْحِفَه؛ قَيَّضَ لَهُ مَن يظلمه!!

٢ـ ويلات الشجار:

أخرج **البخاري** في صحيحه من حديث **عبادة بن الصامت** رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ يُخْبِرُ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ فَتَلَاحَى رَجُلَانِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: «**إِنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ وَإِنَّهُ تَلَاحَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ فَرُفِعَتْ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ الْتَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ وَالتِّسْعِ وَالْخَمْسِ**»(٢).

وأخرج **ابن ماجه** في سننه من حديث **عائشة** رضي الله عنها أنها قالت: يَا نَبِيَّ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «**تَقُولِينَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»(٣).

رسالة الحديثين:

أفاد الحديث الأول أن ليلة القدر التي هي خيرٌ من ألف شهر رُفِعَت لِخُصومةٍ بينَ

(١) صحيح مسلم، رقم الحديث: (٦١٩٥)، (٧/ ٨٠).
(٢) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٤٩)، (١/ ٢٢).
(٣) سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٥٠)، ص (٦٣٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رجلين، وأَفَـاد الحديث الآخر استحبـاب كثـرةِ الضراعة إلى الله في ليلة القدر بقول العبد:

«اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي».

وصفوة القول فيهما:

إنَّ من طلب عفو الله تعالى، خاصة في أجل الليالي، فعليه أن يتبرأ من كل خلاف، وينهي كل خصومة وبغضاء!!

فَمِنَ الحَمَاقةِ والسفاهةِ أن يَتَضرعَ العبدُ لِرَبِّهِ أن يعفو عنهُ،
وَهُوَ يَأبَى العفوَ عَن أَحبابِهِ وَإِخوانِهِ!!
وَمِنَ الحَمَاقَةِ والسفاهةِ أن يَطْلُبَ العبدُ مغفرةَ رَبِّه،
وهُوَ يأبى مغفرة زلات أرحامه وجيرانه!!

ورحم الله منصور الفقيه الذي أتحفنا بشعره قائلاً:

وقـال نبيُّنـا فيمـا رواه عن الرحمـــن في علم الغيوب
محالٌ أن ينال العفو من لا يمنُّ به على أهل الذُّنـوب[1]

فثبت بهذا أن عفوك عن الناس ليس تفضلاً مَحْضًا منك، إنما هو تَذَلُّلٌ منك لربكَ عَساه يعفو عنك بعفوك عن أخيك!! وقد ورد هذا المعني جليًا في قول الله تعالى: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤]، وقول الله عَزَّوَجَلَّ:

﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩]

رسالة الآيتين:

إن من غفر ذنب أخيه، وتجاوز زلل العاقل والسفيه، عفا الله عنه وحباه، وَقَرَّبَهُ

(١) ابن عبد البر/ بهجة المجالس وأنس المجالس ص (٨٠).

واجتبَاه!! فأخبرني بالله عليك، مَنِ العزيز من الذليل.. صاحب العفو أم صاحب القلب الحاقد العليل؟!!

رابعًا: مآثر الأيام

١ـ ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟!:

أَسْطُرُ لأخي القارئ هذا المأثر التاريخي الفاخر؛ لِتَقَرَّ به عيوننا، ويكونَ بردًا وسلامًا على قلوبنا!!

ومأثرنا هذا لا يعيه قلب عامر بالإيمان؛ إلا غَدَا العفو أحب إليه من الانتقام؛ ذلك أنه في ذروة البلاء المستطير، وهو بذلك يفضح صاحب كل خلاف صغير، لا تراه العين المجردة قياسًا مع أخيه، وإليك تبيانه:

قالت **عائشة** رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا أراد السفر أَقْرَعَ بين أزواجه، ومن خرج سهمها اصطحبها، فَأَقْرَعَ بيننا في غزاة فخرج سهمي، فَسِرْتُ معه، وقد حملت في هَوْدَج، حتى إذا قَفَلَ النبي ﷺ عائدًا من غزوته ونزلنا منزلاً، آذن ليلةً بالرحيل، فَرَحَلُوا وأنا ألتمس عقدًا لي ضاع مني، فَحَبَسَنِي ابتغاؤُهُ، ظنًا منهم أني في هودجي، وكانت النساء إذ ذاك خفافًا لم يَثْقُلْن، أما أنا فَوَجَدت عقدي ثم جئت منزلنا وليس فيه أحد، فأقمت فيه ابتغاء عودتهم لي إذا فقدوني، ثم غلبتني عيناي فنمت، وقدر الله تعالى أن يكون صفوان بن المعطل رضي الله عنه من وراء الجيش فَرَآنِي فَأَتَى واسترجع فاستيقظت، ثم أناخ راحلته فركبتها وانطلق يقود الراحلة بي حتى أتينا الجيش، فرآنا **عبد الله بن أبي بن سلول** الذي أعلن عن حديث الإفك بخبرٍ مفاده: إنَّ **عائشة** زانية، والزاني هو **صفوان**!!

فقدمنا المدينة واشتكيت شهرًا، وَيُرِيبُنِي في وَجَعِي أَنِّي لا أرى اللطف الذي عهدته من

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النبي ﷺ حين أمرض، إنما كان يدخل فَيُسَلِّم ولا يزيد عن قوله: كيف أنتم؟ فَلَمَّا امتثلت للشفاء خرجت أنا **وأم مسطح** ليلاً لِمُتَبَرَّزَنَا قبل أن نَتَّخِذَ بيوت الخلاء قريبًا من بيوتنا، فبينا نحن نمشي تعثرت **أم مسطح** فقالت: تَعِسَ **مسطح**!! فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلاً شهد بدرًا؟!!

قالت: ألم تسمعي ما قالوا؟ ثم أخبرتني بحديث الإفك، فازددت مرضًا إلى مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل عليَّ النبي ﷺ فسلم وسأل عني، فاستأذنته في الذهاب لأبوي؛ لأستيقن الخبر منهما، فأذن لي، فذهبت وسألت أمي عما يتحدث به الناس، فقالت: يا بُنَيَّة هَوِّنِي على نفسك الشأن، فَوَ الله لَقَلَّمَا كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها من القول!!

فبت تلك الليلة، حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم!!

ولم ينزل وحيٌ بإثباتٍ ولا نفي!! واشتد الأمر على النبي ﷺ، وعلى الصحابة الكرام، وباتُ الجميع في بلاءٍ شديد، فَعِرْضُ النبي ﷺ وصاحبه **أبو بكر الصديق** رضي الله عنه يُهَان!! عِرْضُ النبي ﷺ والصديق تَلُوكُهُ الألسنة!!

فلما اشتد الحال بنبينا ﷺ جمع **عليًا وأسامة** يستشيرهما في طلاق **عائشة** رضي الله عنهما، فقال **أسامة** رضي الله عنه: أهلك يا رسول الله، والله لا نعلم عنها إلا خيرًا، أما **علي** رضي الله عنه فقال: يا رسول الله لم يُضَيِّق الله عليك والنساء سواها كثير وَسَلِ الجارية تصدقك!! فدعا **بريرة** رضي الله عنها فقال لها: هل رأيت فيها شيئًا يريبك؟! فقالت: لا، والذي بعثك بالحق!!

فعند ذلك خطب النبي ﷺ في الناس قائلاً: من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا؟ فقام **سعد بن معاذ** رضي الله عنه فقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا، فقام **سعد بن عبادة** رضي الله عنه وهو سيد الخزرج فقال: كذبت لَعَمْرُ الله لا تقتله ولا تقدر على

قتله، فقام **أسيد بن حضير** رضي الله عنه فقال: كذبت لَعَمْرُ الله والله لنقتلنه؛ فإنك منافقٌ تجادل عن المنافقين!! وثار الأوس والخزرج والنبي ﷺ يخفضهم حتى سكنوا!!

واشتد الأمر بالذين آمنوا، وقد تأخر الوحي شهرًا ولم ينزل بعد، وعظمت البلية بالنبي ﷺ وصاحبه **أبي بكر** رضي الله عنه **وبعائشة** رضي الله عنها التي قالت:

بكيت بعدها ليلتين ويومًا لا يرقأ لي دمع، ولا أَكْتَحِلُ بِنَومٍ، حتى أظن أن البكاء فالق كبدي!!

وبينا أبواي يجلسان عندي دخل رسول الله ﷺ فجلس، فتشهد، ثم قال: يا **عائشة**؛ فإنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فَسَيُبَرِّئُكِ الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تابَ الله عليه!! فلما قضى مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، وقلت لأبي: أَجِب عني رسول الله ﷺ، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ!!!

فقلت لأمي أجيبي، فقالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ!!

فقلت أنا: إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس، وَوَقَرَ في أنفسكم، وصدقتم بـه، ولئـن قلت لكم إنـي بريئـة لا تصـدقوني، ولئـن اعتـرفت لكم وأنـا بريئـة لتصـدقوني، ووالله ما أجـد لـي ولكم مثلاً إلا **أبا يوسف** إذ قال: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، ثم تحولت على فراشي وأنا أرجو أن يبرئني الله، وما ظننت أن ينزل في شأني وحيًا، ولأنا أحقر في نفسي من ذلك!!

فوالله ما رام النبي ﷺ مجلسه، ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى نزل الوحي، فأخذ النبي ﷺ ما كان يأخذه من الشدة، فلما سري عنه وهو يضحك كان أول كلمة تكلم بها: احمدي الله فقد برأك الله!!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقالت أمي: قومي إلى رسول الله ﷺ، فقلت: لا والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله وتلا النبي ﷺ ما أنزله الله تعالى إليه:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ١١]!!!

فلما أنزل الله براءتي عفا **أبو بكر** رضي الله عنه عن **مسطح بن أثاثة** رضي الله عنه، إلا أنه تَمَنَّعَ عن راتبٍ شهري كان يعطيه إياه، فأنزل الله تعالى:

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

فقال **أبو بكر** رضي الله عنه: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فَغَفَرَ **لمسطح** ذنبه، ثم عاد عليه بالنفقة قائلاً: والله لا أنزعها عنه أبدًا[1]!!!

رسالة الحادثة:

إن **أبا بكر** رضي الله عنه الذي خُدِشَ عِرْضُهُ، وَعِرْضُ نبيه ﷺ، ولاكَتْهُ الألسنةُ شهرًا كاملاً، عفا عن المتكلم عفوًا شاملاً، فرفعه الله ورعاه، وأعزَّه وتولاه، بل سمَّاه ربُّهُ أولي الفضل بصيغة الجمع؛ تكريمًا له وتعظيمًا!!

فمأثرنا هذا يبث نداء إليكم:

يا من أُصِبتُم بِأَذِيَّةٍ وَبَلاءٍ من صديقٍ أو أخٍ أو جارٍ أو رحمٍ أو زوجةٍ أو صهرٍ أو أي إنسانٍ، إن مصابكم لا يوازي مثقال ذرة قط مقارنة بانتهاك عِرْضِ النبي ﷺ وصاحبه الصديق رضي الله عنه!! فَلْتَعْفُوا وَلْتَصْفَحُوا، ألا تُحِبُّون أن تكونوا من أولي الفضل، وأن يغفر الله لكم؟!!!

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٧٣) بتصرف.

نسائم الروح

إنَّ الشيطان الذي يوسوس لك أن العزة بالعفو تزول؛ لا عزة له ولا معه، ألا ترى أنه لما أقسم أن يغويك ذهب يقسم بعزة الله ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]، قال قتادة: علِمَ عدوُّ الله أنه ليست له عزَّة[١].

٢ـ وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه:

فهذا **ابن تيمية** آذاه مُخالِفُوه، وبالسلطان خَوَّفُوه، ثم وضعوه في زنزانة، وحيل بينه وبين إخوانه، فما لانت له عريكة، وما ذابت له سبيكة، بل عفا عنهم، واستغفر لهم، ولم يُحِلَّ لأحدٍ من أحبابه أن يؤذيهم!!

قال **ابن القيم**:

وقد جئته يومًا أبشره بموت أكبر أعدائه، وأشدهم له أذى، فنهرني، وَتَنكَّرَ لِي، واسترجع قائلاً: إنا لله وإنا إليه راجعون!!

ثم قام من فوره إلى بيت أهله، فعزاهم، وقال لهم: إني لكم مكانه، فلا يكون لكم أمرٌ تحتاجون فيه إلى معونة إلا وأعنتكم به، فَسُرَّ أهله، وفرحوا بفعله، فرحمه الله، ورضي عنه وأرضاه!!

قال **ابن القيم**: ما رأيت أجمع لخصال الأخلاق من شيخ الإسلام، حتى قال أحد أصحابه: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه، فما رأيته إلا داعيًا الله لهم!! بل الدعاة في لغته هم:

«الذين يعلمون الحق، ويرحمون الخلق»[٢]!!!

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٢٤١).

(٢) ابن تيمية/ مجموع الفتاوى (١٦/ ٩٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣ـ هذا ابن أخيك قتل ابنك!!:

وهذا سَيِّدُ العافين **الأحنف بن قيس**، الذي قال: وجدت الاحتمالَ أَنْصَرَ لي من الرجال، وما آذاني أحدٌ إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث: إن كان فوقي عرفت له فضله، وإن كان مثلي تفضلت عليه، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه!!

سمع **محمود الوراق** بمقالة **الأحنف** فصيرها شعرًا قال فيه:

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب وإن عظمت منـــه عليَّ الجرائـم
فما النـاس إلا واحـد من ثلاثـة شريف ومشـــروف ومثل مقـاوم
فأمـا الذي فوقـــي فأعـرفُ قـدره وأتبع فيـه الحـــق والحـق لازم
وأما الذي دوني فان قال صُنْتُ عن إجـــابتـه نفسـي وإن لام لائـم
وأما الذي مثلـي فإن زَلَّ أَو هَفَـا تفضلتُ إنَّ الحُرَّ بالفضل حاكم[1]

قيل **للأحنف** يومًا: ممن تعلمت الحلم؟ قال: من **قيس بن عاصم**، رأيته يومًا قاعدًا بفناء داره محتبيًا يُحَدِّثُ قَومَهُ، حتى أُتِيَ بِرَجُلٍ مكتوف وآخر مقتول، فقيل له: هذا ابن أخيك قتل ابنك!!

فوالله ما حَلَّ حبوته، ولا قطع كلامه، فلما أتمه التفت إلى ابن أخيه فقال له: يا ابن أخي، بئس ما فعلت، أثمت ربك، وقطعت رحمك، وقتلت ابن عمك، ورميت نفسك بسهمك، ثم قال لابنٍ له «قم يا بني فَوَارِ أخاك، وَحُلَّ قيد ابن عمك، وَسُقْ إلى أُمِّكَ مائة ناقة دِيَةَ ولدها، فإنها غريبة عن قومنا[2]، وأنشأ يقول:

للنفس تصبيـــرًا وتعـــزيـة إحدى يـدي أصابتني ولم ترد
خلف من فـقـد صـاحبـــه أخي حين أدعوه وذا ولدي[3]

(١) الأبشيهي/ المستطرف ص (٤١٨).
(٢) المزي/ تهذيب الكمال (٢٤/ ٦٣).
(٣) الأبشيهي/ المستطرف ص (٤٠٦).

خامسًا: ذخيرة الأسرار

١ـ عزة من العزيز:

إنَّ العافيَ عن الناس يتحصل له بِعَفوهِ تزكية كريمة لنفسه، تُدخِلُهُ على رَبِّهِ، وتُدنِيه منه، وتُقَرِّبُه إليه، وتُصَيِّرُه محبوبًا له؛ ذلك أنه وافق الله في صفة من صفاته وهي العفو، فيمنحه الله عَزَّوَجَلَّ بسببها كمالاً بشريًا مشتقًا من مقتضى الكَمال الإلهي، وبهذا يُسَربِلُ اللهُ بفضلهِ ومَنِّهِ العافي بعزةٍ من عِزَّتِهِ فَإِنَّهُ العزيز!!

أما من تَهُزُّهُ كلمةٌ عابرة، يُعلِنُ لأجلها حَربًا هادرة، فَأَنَّى له هذا الشرف، بل مآله ذُلاً أكيدًا، ولو كان أشد الناس صوتًا، وأكثرهم وعيدًا، فثبت عند العقلاء أن العزةَ كل العزة في العفو عن الناس في سبيل الله!!

٢ـ العفو قرار الأقوياء، وصنعة الأنبياء:

وهذه جملةٌ دقيقةٌ نفيسة!!

فإنَّ العفو رتبةٌ لا يرتقيها إلا أقوياء البشر، أما سواد البشرية الأعظم فَضُعَفَاء حظهم الانتقام، وتكفي هذه المأثرة لذوي الألباب، ألا ترى أن النبي ﷺ لما سأل الصحابة بقوله: «**مَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ؟**، قَالُوا: الَّذِي لاَ يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ!! قَالَ: «**لاَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**»[(١)]!!

ولأجل هذا كان العفو صنعة الأنبياء، فقد أخرج **البخاري** في صحيحه من حديث **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ فَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**»[(٢)]!!

---

(١) صحيح مسلم، رقم الحديث: (٦٨٠٧)، (٨/ ٣٠) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٦٩٢٩)، (٣/ ٣٤٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد روى عنه ﷺ أنه جرى له هذا مع قومه، فجعل يقول مثل ذلك.

رسالة الحديث:

إن النبي ﷺ جمع بين مقاماتٍ ثلاثة: العفو عنهم، والاستغفار لهم، والتماس العذر لهم بأنهم لا يعلمون!!

والذي نفسي بِيَدِهِ لا يقدر على ذلك إلا ذوو العزائم الباهرة، والقوة الظاهرة القاهرة، ولذا رفعهم الله لما صبروا، وأعزهم لما عفوا وصفحوا، وصدق الحق إذْ يقول: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤]!!

وبناء عليه:

فلما كان العفو صنعة الأنبياء، وقرار الأقوياء، كانت العزة بادية على محياهم؛ إذ هي من ألمع صفاتهم، وأبرز سماتهم، وإليك أنموذجًا عجبًا يؤكد ذلك!!

أحضر **نصر بن منيع** بين يدي الخليفة، وكان قد أمر بضرب عنقه، فقال: هل لك أن تسمع مني كلمات يا أمير المؤمنين؟ قال: قل:

زعموا بأن الصقر صادف مرة ... عصفـور بَـرٍّ ساقه التقدير

فتكلم العصفـور تحت جناحه ... والصقر منقض علـيه يطيـر

إنـي لمثلـك لا أتـمـم لقمـة ... ولئـن شويت فإنني لحقيـر

فتهاون الصقر المدل بصيـده ... كرمًا وأفلـت ذلك العصفـور

فعفا الخليفة عنه، وَخَلَّى سبيله[1]، فمن شيم الكرام عفو الصقر عن العصفور!!!

٣ـ حقك مكفول، فأين المذلة؟!:

إن من أُوذِيَ إما أن يكون أذاه في سبيل الله، أو لمعصية اقترفها، أو لحظٍّ له!!

(١) الأبشيهي/ المستطرف ص (٤١٧).

أما من أوذي في سبيل الله لم يكن له الانتقام لنفسه؛ إذْ أجره على ربه، ألا ترى أن الشهداء الذين ذهبت دماؤهم وأموالهم لم تكن مضمونة؟!!؛ ذلك أن الله اشتراها منهم، فالثمن عليه لا على الخلق، ومن طلبه من الخلق؛ لم يكن له على الله ثمن!!!

وأما من أوذي لمعصية اقترفها فَلْيَعُدْ بالمَلامة على نفسه، ففي ذلك شغلٌ له عن ملامة من آذاه!!

أقرر بذنبك ثم اطلب تجاوزهم عنه؛ فإن جحود الذنب ذنبـان

وقد تيقظ الخليفة **المأمون** للمعادلة، فنصح وزيرًا من وزرائه، فقال له:

«لا تعصِ الله بطاعتي فَيُسَلِّطَنِي عليك».

وأما إن أُذِيت لحقٍ راسخٍ لك، فلتوطن نفسك على الصبر والعفو؛ ذلك أن حقك مكفول، فإن شئت استوفيته في الدنيا فكنت بذلك منتصرًا، أو أرجأته ليوم القيامة، وإن فعلت فأنت تخير يومئذ بين أن يقتص الله لك ممن ظلمك، أو تعفو عنه فيرفعك؛ ذلك أن المثوبة ترتجى عندئذ أكثر مما تعطاه من حسناته!!

فإذا تكفل الله بِحَقِّك، وأعزك بذلك ونصرك، فأخبرني بالله عليك، أي مذلة تلحقك؟!!!

نسائم الروح

بث نسمتنا هذه **ابن تيمية** قائلاً: إن الناس أربعة: منهم من ينتصر لربه ولنفسه، فهذا عنده دين وغضب، ومنهم لا ينتصر لربه ولا لنفسه، فهذا عنده ضعف دِينٍ وَجُبْن، ومنهم من ينتقم لنفسه وهذا شر المراتب، ومنهم من ينتصر لربه، ويسقط حق نفسه، فهذا أكمل المراتب[١]!!

فَمِنْ أَيِّ المَرَاتِبِ الأَرْبَعَةِ أَنْتَ؟!!

(١) ابن تيمية/ مختصر الفتاوى المصرية (١/ ٣٦١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سادسًا: بشائر العافية

١ـ سلامة الصدر:

إن من ألمع مناقب العافين عن الناس الرحمة بالأنام، وسلامة الصدر من حب الانتقام، فليس عندهم ضغائن، ولا دفائن، وإن غضب أحدهم فَبِلِسَانِه، ثم يعود إلى إحسانه[١]، شعاره دومًا:

وإن أكلوا لحمي وفرتُ لحومهم ... وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

ولا أحمل الحقد القديم عليهم ... وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

ورحم الله **الفضيل** الذي قرع الأسماع بسياط وعظه قائلاً:

ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة صيامٍ ولا صلاة، ولكن بسخاء النفس، وسلامة الصدر، والنصح للأمة[٢]!!

بل إنَّ المرء لا ينجيه من مخاوف الدنيا وأهوال القيامة إلا سلامة الصدر، اقرأ في ذلك قرآنًا بالحق نزل: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]!!

وسبيل ذلك الاشتغال بصلاح النفس، والأمر في لغة **أبي سليمان الداراني**:

من اشتغل بنفسه شُغِلَ عن الناس

ومن اشتغل بِرَبِّهِ شُغِلَ عن نفسه وعن الناس[٣]!!!

٢ـ الحِلْم:

إن الحِلْمَ حارسُ الفضيلة، يحجز صاحبه عن المناقب الرذيلة، فلا يغضب ولا يعتب،

(١) عائض القرني/ المقامات/ المقامة السراتية ص (٢٥٨).
(٢) ابن الملقن/ طبقات الأولياء ص (٤٤).
(٣) ابن كثير/ البداية والنهاية (١٠/ ٢٨٠).

ولا يصخب ولا يضرب، بل العفو ديدنه، والصفح بصحبته، ومن منَّ الله عليه بِحِلمٍ فقد آتاه خيرًا عميمًا، وكان فضله عليه عظيمًا!!

فهذا رجلٌ يدعى **ابن عياش** أدمن شتم الرجل الصالح **عمر بن ذر** رحمه الله، فلقيه **عمر** يومًا في طريقه فقال له شعارًا حُقَّ لك تعلنه لكل من أساء إليك، وظلمك وحرمك:

يَا أَخِي..

لا تُفْرِط فِي شَتْمِنَا، وَدَع للصُّلْحِ مَوضِعًا فإنَّا لا نُكافِئُ مَن عَصَى اللهَ فِينَا؛ إلا أن نُطِيعَ الله فيه!!

ورحم الله **الشافعي** الذي تمثل الحلم قائلاً:

إذا سَبَّني نذل تزايدت رفعة ... وما العيب إلا أن أكون مُسَابِبُه

ولو لم تكن نفسي عليَّ عزيزة ... لمكنتها من كل نذل تحاربه[1]

أما إن تَعَسَّرَ عليك الحِلمُ فَأُهْدِيكَ خبرًا عجبًا يغرس الحلم في قلبك غرسًا، وهاكه:

تذاكر قومٌ أخبار معن بن زائدة وما هو عليه من وفرة الحلم، ولين الجانب، فتصدى أعرابي، وأقسم أن يغضبه، فوعده القوم بمائة بعير إن نجح في ذلك!!

فانطلق الأعرابي إلى بيته، فعمد إلى شاةٍ له، فذبحها وسلخها ثم ارتدى جلدها جاعلاً باطنه ظاهره، ثم دخل على معنٍ بهيئته هذه، فوقف أمامه، وتارة ينظر إلى الأرض، وتارة أخرى إلى السماء، ثم قال:

أتذكر إذْ لحافُك جلد شاة ... وإذ نَعْلاك من جلد البعير

قال معن: أذكر ذلك ولا أنساه يا أخا العرب!! فقال الأعرابي:

فسبحان الذي أعطاك ملكًا ... وعلمك الجلوس على السرير

---

(١) ديوان الشافعي ص (٣٠).

www.alukah.net

فقال معن: سبحانه وتعالى، له الحمد والمنة!! فقال الأعرابي:

فلست مُسَلِّماً ما عشتُ حيًا ... على معن بتسليم الأمير

فقال معن: إن سلمت رددنا السلام عليك، وإن تركت فلا ضير عليك!! فقال الأعرابي:

سأرحل عن بلاد أنت فيها ... ولو جار الزمان على الفقير

فقال معن: إن أقمت بيننا فعلى الرحب والسعة، وإن رحلت عنا فَمَصْحُوبًا بالسلامة!!

فقال الأعرابي وقد أعياه حلم معن:

فجد لي يا ابن ناقصةٍ بمالٍ ... فإني قد عزمت على المسير

فقال معن لوزيره: أعطه ألف دينار!! فأخذها الأعرابي وقال:

قليـــل ما أتيتَ بـه وإنـي ... لأطمع منك بالمـال الكثيـر

فثنِّ فقــد أتاك الملك عفـوًا ... بــلا عقـل ولا رأي منيــر

فقال معن: أعطوه ألفًا ثانية!! فتقدم الأعرابي إليه، وطلب عفوه وهو يقبل يديه ورجليه، قائلاً:

سألت الله أن يبقيــك ذخـرًا ... فما لك فــي البــرية من نظيـر

فمنــك الجود والإفضال حقًا ... وفيض يديك كالبحر الغزيـر

فقال معن: أعطيناه على هَجوِنا ألفين، فأعطوه على مدحنا أربعة آلاف!!

فقال الأعرابي: جُعِلتُ فداك، ما فعلت ذلك إلا لمائة بعير جُعِلَت لي إن أغضبتك!!

فقال معن: لا خوف عليك!! وأمر له بمائتي بعير، نصفها للرهان، ونصفها الآخر له!!

فانصرف الأعرابي داعيًا شاكرًا!!!

من فرائد الفوائد

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖ ﴾ [البقرة: ١٧٨]

رسالة الآية:

إن الله عَزَّوَجَلَّ أثبت رتبة الأخوة بين القاتل والمقتول بقوله: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ ﴾، ولما كان القتل لا يقطع أخوة فأين أولياء الشياطين الذين أعدموا الأخوة لِنَظرةٍ تائهةٍ، أو كلمة تافهة!! وإليك أحدَهم:

قبل أيام كان أحد الشباب يستقل سيارته ومعه خطيبته، وقد عقد عليها نكاحًا قبل أيامٍ سبعة من الحادثة، وشاء الله أن يقع عتابٌ بينه وبين سائق دراجة نارية على إثر خلاف مروري، فما كان من صاحب الدراجة إلا أن أطلق الرصاص عليه، ومات الرَّجُلُ من فوره، وأمام مرأى خطيبته!!!

سابعًا: مراقي الصعود

١- اصبر واكظم غيظك:

أخرج الإمام أحمد في مسنده عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا تَجَرَّعَ عَبْدٌ جَرْعَةً أَفْضَلَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ مِنْ جَرْعَةِ غَيْظٍ يَكْظِمُهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى**»[(١)].

رسالة الحديث:

علم النبي ﷺ أن الخصومات تورث في القلب ألمًا وكمدًا، تظهر على الجوارح سخطًا

(١) مسند أحمد، رقم الحديث: (٦١١٤)، (١٠/ ٢٧٠).

www.alukah.net

وغضبًا، إلا أنه ﷺ رَغَّبَكَ في كَظْمِ الغيظِ الذي يعني: أن تَضْبِطَ نفسك، وتتجرع الغيظ في جوفك كأنه دواءٌ مرٌ مرير؛ ابتغاء ما عند الله تعالى من الأجر الكثير، فإنه ﴿مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]، بل ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]!!

فتجرع الغيظ أخي محتسبًا، وتذكر ما قيل في منثور الحكم:

احتمالُ السفيهِ خَيرٌ مِنَ التَحَلِّي بِصُورتِهِ، والإغضاءِ عَنِ الجَاهلِ خَيرٌ من مُشَاكَلَتِهِ!!

أعْـرِضْ عَنِ الجَاهِلِ السَّفِيـــه ... فكـلُّ مـا قـالَ فـهـو فيـــهِ

ما ضـــرَّ بحـــرَ الفـــراتِ يومًا ... أن خاضَ بَعْضُ الكِلاب فيه[1]

وحدثني من أثق بدينه أن شابًا من فلسطين ذهب إلى دولةٍ إسلامية يجمع مالاً لشعبه يستعينون به في بَلِيَّتِهِم، فَدَخَلَ على مَتْجَرٍ كبير، وَرَغَّبَ صاحبه في الإنفاق ابتغاء ما عند الله تعالى، فأخرج التاجر مالاً، وبدل أن يعطيه له، بصق في يده!!

فاغتاظ الشاب، لكنه فطن أن بَلِيَّتَهُ في سبيل الله، فلا ينبغي له الانتقام لنفسه؛ إذْ أجره على ربه، فصبر وَكَظَمَ غيظه، وقال للبائع: عفا الله عنك، وغفر لك، لكني قبل خروجي أذكرك بأنَّ:

الصدقة أول ما تقع تقَع في يد الرب، فانظر ماذا قدمت، وأين وقعت؟!!

فبكى صاحب المتجر، وأقسم على الشاب ألا يغادر إلا بعد أن يأخذ كل ما في متجره من مال!!

فإن كظمت الغيظ فارتقب الأجر، فمن عرف أجور الأعمال، هانت عليه في كل الأحوال:

أورد **السيوطي** بسند حسنه الألباني من حديث **ابن عمر** رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ**

(١) ديوان الإمام الشافعي ص (١٢١).

كَظَمَ غَيْظَه وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَه أَمْضاهُ مَلأَ اللّهُ قَلْبَهُ رِضًا يَوْمَ القِيَامَةِ»[١].

وأخرج **أبو داود** في سننه بسند حسن من حديث **مُعَاذٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ مَا شَاءَ**»[٢].

رسالة الحديثين:

إن كاظم غيظه عن قدرة يملأ الله قلبه رضًا وأمنًا في ساحة القيامة، ثم يُخَيِّرُهُ ربُّهُ من الحور العين ما شاء، ذلك أنه تحمل ألمًا في سبيل الله؛ فأزال الله عنه آلام القيامة، فكان ثوابه من جنس عمله!!

٢ـ اقبل من جاءك معتذرًا:

يحسن باللبيب إن اعتذر إليه أخوه لِجُرمٍ مضى، أو تَقصيرٍ انقَضَى، أن يَقْبَلَ عذره، وَيُقِيلَ ذنبه، بل لكأنه لم يذنب، أولا ترى أنك حين تطلب عفو ربك، أنك تضيق ذرعًا لو خذلك وَرَدَّك؟!! فلم تخذل إذن من جاءك معتذرًا؟!! قال **الشافعي**:

اقبل معاذير من جاءك معتذرًا ... إن برَّ عندك فيما قال أو فجرا

فقد أطاعك من يرضيك ظاهره ... وقد أجلَّك من يعصيك مستترا[٣]

ولك أسوة حسنة بالإمام **الحسن بن علي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الذي قال: لو أنَّ رجلاً شتَمني في أذني هذه، واعتذر في أُذني الأخرَى؛ لقبِلتُ عذرَه!! وقد بث إليك الأحنف نصحًا أخويًا جاء فيه: إن اعتذر إليك معتذرٌ فتلقَّه بالبشر!!

---

(١) السيوطي/ جامع الأحاديث، رقم الحديث: (٦٩٦)، (١/ ٤٣٣)، وقال الألباني: حسن.

(٢) سن أبي داود، رقم الحديث: (٤٧٧٧)، وقال الألباني: حسن.

(٣) ديوان الشافعي ص (٦٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد نظم **محمد البغدادي** شعرًا يؤكد ذلك فقال:

إذا اعتذر الصديق إليك يومًا ... من التقصير عُـذرَ أَخٍ مُقِرِّ

فَصُنْهُ عَن جفـائك، واعـفُ ... فإن الصفح شيمـة كل حُرِّ[١]

٣ـ هل أنتم منتهون؟:

أخرج **البزار** في مسنده بسند حسن من حديث **أبي هريرة** رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إِذَا ذُكِّرْتُمْ بِاللَّهِ فَانْتَهُوا**»[٢]!!

رسالة الحديث:

إنها رسالة رائعة ماتعة، وجيزة جامعة، صادعة قاطعة!!

إنها أقوى رسالة آواها بحثنا، فإن وعاها قلبك، ورآها طرفك فَكُنْ من فورك أول جنودها!!

إذا كنت في أي خلافٍ، وعلى رأس أية خصومة، ثم ذُكِّرْتَ بالله فانتهِ دون تردد!!

ألا ترى أن الصخور الجبلية إن ذكرت بالله تصدعت من خشية الله؟!! فكيف لقلب من لحمٍ يفوق الصخور قسوة؟!! وما ذاك إلا أن هيبة الله في القلوب قلَّت، والجرأة على محارمه زادت[٣]، فأنى له أن يفقه عن الله ورسوله؟!! أما من عَمُرَ الإيمان في قلبه، وغُرِسَ في لُبِّهِ، فإنه يكون وقافًا عند أوامر الله جلَّ وعلا!

وتأمل رحمك الله روعة هذا المشهد:

قدم **عيينة بن حصن** على ابن أخيه **الحر بن قيس**، فقال له: إن لك وجهًا عند **عمر** رضي الله عنه فاستأذن لي عليه، فاستأذن الحُرُّ فأذن له **عمر**، فلما دخل عليه قال: إيه يا **ابن الخطاب**، والله

(١) ابن حبان/ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص (١٨٣).

(٢) مسند البزار «البحر الزخار» (٢/ ٤٤٢) وحسنه الألباني كما في صحيح الجامع رقم الحديث: (٥٤٦).

(٣) هذه الجملة الأخيرة للشيخ خالد أبو شادي في كتابه/ صفقات رابحة ص (٥).

ما تعطينا الجزل، ولا تحكم فينا بالعدل، فغضب عمر حتى هَمَّ أن يُوقِعَ به!

فقال الحر:

إن الله عَزَّوَجَلَّ قال لنبيه: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وإن هذا من الجاهلين، فو الله ما جَاوَزَهَا عمر حين تلاها عَلَيهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عند كِتاب الله[١]!!!

٤ـ فقه مجتمع المثل:

إذا أدرك العبد أن مخالفه أَخُوهُ في الدين أو الإنسانية، فإذا انتقم منه خسره، وإذا عفا عنه ربحه، وإنَّ ربحه خير من الدنيا وما فيها، فإنه عندئذ يرى في العفو غُنْمًا، وفي الانتقام غُرْمًا!!

إذا علم العبد أن دائرة الإخاء بين الأنام تتسع بالعفو، حتى يغدو المجتمع كالبنيان المرصوص، وأن دائرة العداء تتسع بالانتقام؛ حتى يصبح المجتمع في أحط الدركات؛ صار العفو ديدنه!!!

إذا أيقن العبد أن العفو سُلَّمٌ يعرج به إلى عز الدنيا ونعيم الآخرة، وأن الانتقام دركات يهوي بها إلى ذل الدنيا وأهوال الآخرة؛ أعلن العفو شعاره، وآثره دومًا على الانتقام[٢].

ثامنًا: إشارة حمراء

١ـ إياك والشياطين الناطقة:

يبرز عند كل خصومةٍ شياطين ناطقة، كأنها محبةٌ للحق عاشقة، وبالخير ناطقة، يقنعون

(١) الصلابي/ عمر بن الخطاب ص (١٩٣).

(٢) الشيخ محمد راتب النابلسي/ دروس وعظية.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المُحِقَّ ألا يعفو، وإلا كان ذليلاً، ضعيفًا كليلاً، ثم يُزهدونه في الصفح والمغفرة؛ لئلا تتآلف القلوب، وتتحد الكلمة!!

وخسئَ أولئكم وربي؛ فإن النبي ﷺ أقسم أن العفو سبيل لمزيد العزة، فاحذر -أُخَيَّ- ممن يظهر لك نصحًا وهو عند العقلاء عدوك، وإياك إياك أن يفتنك عما رغبك الله به من العفو، فَإِنَّ المتكلم بِبَاطِلٍ شيطانٌ نَاطِقٌ، كما أن الساكت عن الحق شيطانٌ أخرس!!!

وإليك هذا المثال:

جالستُ زوجين مُصلِحًا بينهما، ومع الزوجة خالُها، وعليه هيئة الصلاح والإصلاح، فَبَانَ أن الخلاف يسير، فَذَكَّرتُ الزوجين بالله، وإذا بِخَالِ الزوجة كلما شعر بقرب الصلح راح يعلن تُهمًا ساخرة من الزوج، ويَعُدُّ الزوجة من صحابيات زماننا، بل هي قبلة الخير التي تُشَدُّ الرحال إليها، فكيف تليق بزوجها؟!!، فجلست وبعض إخواني مع كليهما منفردين، وتم إقناعهما، وردم الخلاف القائم بينهما، فلما جمعناهما وإذا بخالها يزهدها في إتمام الصلح، ويرغبها في الطلاق، واستفزَّ الزوج، واستنطقه الطلاق، وطلقت الفتاة التي لا يتجاوز عمرها [٢٠] عامًا، وإذا بمن ظنناه مُصلِحًا يفسد نكاحًا قائمًا، فإنهم مفسدون، ولكن لا يشعرون!!

ومن الملمات التي تجفف الحلق، وتخلع القلب، أن نجد شيطانًا ناطقًا في صورة {أب}، فإذا خاصم أحدًا بباطل فَجَر، بل يأمر أولاده بخصومة مخالفه، ثم إن رضاه عنهم متوقف على إعلان خصومتهم، وإلا أعلن غضبه عليهم، فيبقى الأبناء في حيرة من أمرهم، أينصروا الحق أم يؤازرون أباهم؟!!

وقد سألني أحدهم عن ذلك، فأوصيته بطرائق الحكمة، ثم ذَكَّرتُهُ بما أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاس، وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ**

بِسَخَطِ اللَّهِ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاس»[١].

أبي الفاضل.. والدي الكريم:

أَتَقْبَلُ أن ترحل إلى الله وسيئاتٌ جاريةٌ في عنقك؟!! هلا أخبرتني عن حالك في قبرك، وأولادك يجنون مرارة خصامك من بعدك!! إن لم تكن لسان خيرٍ فلا تكن داعي شر، إذا لم تكن أبا عبيدة فلا تكن أباه، إذا لم تشبه مصعبًا فلا تشبه أخاه[٢]!!

٢ـ الهجر خذلان في الدنيا، ونار في الآخرة:

أخرج مسلم في صحيحه من حديث **أبي هريرة** رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**تُفْتَحُ أَبْوابُ الجَنَّةِ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ ويَوْمَ الخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً، إِلاَّ رَجُلاً كَانَتْ بينهُ وَبَيْنَ أخيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا!! أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا!! أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا**»[٣].

وأخرج **أبو داود** في سننه بسند صحيح من حديث **أبي هريرة** رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ، فَمَنْ هَجَرَ فَوْقَ ثَلاَثٍ فَمَاتَ دَخَلَ النَّارَ**»[٤].

رسالة الحديثين:

أفاد أولُهما أن العمل محجوبٌ عن قبول الله له، إلى أن يصطلح مع أخيه، وأفاد الآخر أنه إن هجر أخاه لأكثر من أيام ثلاثة ثم مات قبل مكالمته دخل النار!!!

آهٍ آهٍ يا مسلمون!! آهٍ آهٍ يا موحدون!!

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، وصححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب برقم: (٢٢٥٠).

(٢) الجملتان الأخيرتان لخالد أبو شادي في كتابه: صفقات رابحة ص (٦٥).. وإنما جاء النهي عن مشابهة أبي أبي عبيدة، وكذلك أخ مصعب؛ لكونهما كافرين، نسأل الله تعالى أن يميتنا على التوحيد.

(٣) صحيح مسلم، رقم الحديث: (٦٧٠٩)، (٨/ ١١)

(٤) سنن أبي داود، رقم الحديث: (٤٩١٤)، ص (٧٣٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أين الألباب؟!! هل ذهبت؟!! أين البصائر؟!! هل سُلِبَت؟!! أما عندكم استعداد لفهم المنقول؛ لعدم خصوبة العقول؟!! ما لي أراكم ساكتين في ذهول؟!! أين إيمانكم العامر في القلوب؟!! أين خشيتكم من علام الغيوب؟!! أَوَصَّاكم الله بهذا؟!! أم تأمركُم أحلامكم بهذا؟!! لِتَحلُو لكم هجرة إخوانكم كما أردتم بعد هذا!!

إخوتاه..

إن الهجرَ حرامٌ في قاموس العافين عن الناس؛ ذلك أنهم لا يقبلون أن تُحْجَب أعمالهم عن ربهم، أو يكونوا من أهل جهنم؛ لأجل إنسان لا يرتضونه أخًا حميمًا لهم، فيجدر باللبيب أن يوطن نفسه على لزوم العفو مع الناس كافة، شعاره مع مخالفيه:

تعالوا بنا نطو الحديث الـذي جـرى ... ولا سمع الواشي بـــذاك ولا درى
لقد طال شرح القيــل والقـال بيننـا ... وحتـــى كـــأنّ العهـد لـم يتغيـرا
تعالوا بنا حتى نعـــود إلـى الرضـا ... وما طال ذاك الشـرح إلا ليقصـــرا
من اليوم تاريخ المحبة بيننـا عفـا الله ... عن ذاك العتـــاب الـــذي جـرى

٣ـ إنما بغيكم على أنفسكم:

إن استوفى المرء حقه من خصمه كان عادلاً، وإن عفا كان محسنًا، وإن زاد عما له كان باغيًا، والعدل جائز، والإحسان مسنون مستحب، أما البغي فحرامٌ حرام، وقد آوى المراتب الثلاثة قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]!!

وحرمة البغي قاطعة، تستوجب العقاب في الدنيا، والعذاب في الآخرة، بل قال ابن مسعود: لو بغى جَبَلٌ على جَبَلٍ؛ لجعل الله الباغي منهما دكًا!! وفي منثور الحكم: من سَلَّ سيف البغي أغمده في رأسه[1]!!

(١) الماوردي/ أدب الدنيا والدين ص (٤٤٠).

وقد أخرج البخاري في تاريخه بسند صحيح من حديث أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**اثْنَانِ يُعَجِّلُهُمَا اللهُ فِي الدُّنْيَا: البَغْيُ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ**»(١).

قضى الله أن البغي يصرع أهله ... وأن على الباغي تدور الدوائر

وقال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

أما والله إنَّ الظُّلم لؤمٌ ... وما زال المسيء هو الظَّلوم
إلى ديَّان يوم الدّين نمضي ... وعند الله تجتمع الخصوم
ستعلم في الحساب إذا التقينا ... غداً عند الإله من الملوم(٢)

نسائم الروح

قال يزيد بن ميسرة: إن عكفت تدعو على من ظلمك، قال الله لك: إن آخر يدعو عليك بأنك ظلمته، فإن شئت استجبنا لك، وأجبنا عليك، وإن شئت أخرتكما إلى يوم القيامة؛ فَيَسَعكُمَا عفوي!!!

تاسعًا: سحائب المنن الإلهية

١ـ زادك الله قبولاً وعزًا:

أخرج الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**وَمَا زَادَ اللَّهُ رَجُلاً بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا**»(٣).

رسالة الحديث:

إن خشي العافي مَذَلَّتَه بعفوه، أتاه هذا الحديث يبشره، بأن عزتك محفوظة بل زادك الله

(١) البخاري/ التاريخ الكبير (١/ ١٦٦)، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع برقم: (١٣٧).
(٢) ديوان علي بن أبي طالب ص (١٥٩).
(٣) مسند أحمد، رقم الحديث: (٩٠٠٨)، وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة برقم: (٢٣٢٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عزًا، اللهم إلا في قاموس السفهاء الأوغاد الذي يعدون العفو ذلاً، والصفح عارًا، فتلك سنةٌ إلهية، وبشارةٌ نبوية، وما كذبتا قط!!

لن يبلغ المجد أقـوام وإن شرفـوا ... حتـى يـذلوا وإن عـزوا لأقـوام

ويشتموا فترى الألوان مسفـرة ... لا صفح ذل ولكن صفح إكرام[1]

بل إن العافي بِعَفوهِ يجعل نفس خصمه عونًا عليه، ويرى أن العافي فوقه، خاصة وأن عقلاء القوم لا يرتضون سفاهته، فيوبخونه ثم يذكرونه بربه، ويحذرونه من مغبة فعله، فيأتي مع تراخي الأيام تائبًا معتذرًا، اللهم إلا إن كان سفيهًا أو جاهلاً، ففي البعد عنهم سلامة وخير ومغنم!!

٢ـ فأجره على الله:

قال تعالى:

﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

[الشورى: ٤٠].

رسالة الآية:

إن الناس في مقابلة الأذى منازل ثلاثة: عادلٌ يأخذ بقدر حقه، ومحسن يعفو عن حقه، وظالم يأخذ فوق حقه، وقد آوت الآية المنازل الثلاثة، ففاتحتها للعادلين، وأوسطها للمحسنين، وختامها للظالمين، فمن استوفى حقه فهذا منتهى رتبة الصالحين، ومن عفا فهذا اختيار الصديقين، أما من ظلم فهذا بغي لا يختاره إلا الأرذلون[2].

وقد أخرج **البيهقي** في شعب الإيمان من حديث **أَنَس** رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**يُنَادِي مُنَادٍ: مَنْ كَانَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ، مَرَّتَيْنِ، فَيَقُومُ مَنْ عَفَا**

(١) الأبشيهي/ المستطرف ص (٤١٩).

(٢) النسائي/ عشرة النساء للنسائي ص (١٣٢).

عَنْ أَخِيهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾»[١]!!

رسالة الحديث بلسان ابن العربي:

إن وسام «**فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ**» لا يوازيه شيء؛ ذلك أن ما عند الله للعبد جزاء عفوه؛ خيرٌ مما يختاره لِنَفسِهِ، بَلِ المقارنةُ فَاسِدَةٌ إي وربي!!

من فرائد الفوائد

أعد الله أجرًا لمن عفا وأصلح، أما من عفا دون إصلاح فلم يفلح، كأن يكون المعفو عنه قاتلاً أو لِصًّا، فإن الأصلح هنا القصاص؛ لئلا يترتب على العفو مضرة، فيظلم المرء نفسه أو غيره[٢]!!!

نصيحة إمام

سكب **الفضيل بن عياض** في قلبك نصحًا ذهبيًا مفاده:

إذا أتاك من يشكو إليك رجلاً فقل: يا أخي، اعفُ عنه؛ فإنَّ العفو أقرب للتقوى، فإن قال: لا يحتمل قلبي العفو، ولكن أنتصر كما أمرني ربي، فَقُلْ له: إن كُنتَ تُحسِنُ أن تنتصر، وإلا فَعُد إلى باب العفو؛ فَإِنَّهُ بابٌ واسعٌ، وإن من عفا وأصلح فأجره على الله، ثم ينام لَيْلَهُ بسكينة، أما صاحب الانتصار فيقلب الأمور، وإن الفتوة هي العفو عن الإخوان!!

٣ـ عفو من الله ومغفرة:

مر بنا أن من غَفَرَ ذنب أحبابه إخوانه، وتجاوز عن زلات أعوانه وجيرانه، غفر الله له وأحبه، واجتباه وَقَرَّبَه، وهذا حق، فإن الله يجزي العبد من جنس عمله، فإن غفر لغيره غفر له، وإن أحسن للخلق أحسن الله له، وإن تجاوز عن سيئاتهم تجاوز الله عنه، وإلا فمن السفاهة أن تطلب أمرًا من ربك، وتأباه لغيرك!!

---

(١) البيهقي/ شعب الإيمان، رقم الحديث: (٨٣١٣)، (٦/ ٣١٥).

(٢) اللهيميد/ إيقاظ الأفهام في شرح عمدة الأحكام (٣/ ٣٨)، ابن عثيمين/ شرح رياض الصالحين (١/ ٦٣٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن تأمل هذه السحابة والمنة علم أن ظُلْمَ الناس لك؛ رفعة في درجتك، وتكفير عن سيئتك!!

ولذا؛ فالنصيحة إليك يا أخي بلسان الإمام الماوردي:

ينبغي لك أن تستلطف النفوس بالمياسرة والمسامحة، وأن تتألفها بالمقاربة والمساهلة، بل كن أحسن حديث يُنْشَر؛ يكن سعيك في الناس مشكورًا، وأجرك عند الله مذخورًا[1]!!

٤ـ لذةٌ غامرة، وسعادةٌ عامرة:

وهذه أَجَلُّ مِنَّةٍ إلهية، ونعمة ربانية، حاضرة قُبَالةَ عينيك!!

فإنَّ العفو عنوان السعادة، والشرف والسيادة؛ ذلك أن العافيَ سعيدُ الروح والقلب، لا يشكو الهم والوصب، ولا الغم والنصب، صَيَّرَ همه سرورًا، وحَزَنَهُ سعادةً وحُبورًا، أما من آثر الانتقام فقد أنهكته الغموم، فهو من الحزن مكظوم!!

ولئن سألت عن العافين لِمَ سَعِدُوا؟:

قلت: إن من عَفَا حفظ وقته، وسكن قلبه، وهدأ باله، وصفا حاله، فلا يغزوه هم ولا غم، ولا حزن ولا ألم، بل يحفظ وُدَّ إخوانه، وأرحامه وجيرانه، ويعلم الله تعالى أن التغافل عن سيئات الناس نِعْمَةٌ كُبرَى، وَمِنَّةٌ عظمى، وفي لغة العامة: «إن أردت أن تعيش؛ فَعَليكَ بالتطنيش»!!

ثم إن العافي عن منتهكي عرضه أو ماله، يرى بِعَيني قلبه الأجر الذي أعدَّهُ الله له، وأن الله يحبه لإحسانه، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]، فضلاً عما حرسك الله به لَمَّا أمرك بالعفو وأنت وحدك، ثم أمر الأمة كلها أن تعفو عنك[2]، وبعفوك وعفوهم تنجو أنت من أضرارٍ محتملة، فَكَم

(١) الماوردي/ أدب الدنيا والدين ص (٤٤٠).

(٢) هذه الجملة مقيسة على استباط للشيخ الشعراوي. تفسير الشعراوي (١/ ٥٧).

ذَهَبَتْ بالانتقام نفوسٌ وأموال، وعلاقاتٌ وأعمال، ما كانت لِتَذهبَ بِالعَفو، فمن الرابح إذن؟!!

عاشرًا: البيان الختامي

أخي..

إنَّ من صفات الله تعالى أنه يُخْفِي عن الناس سيئاتِك الكثيرة، ويُظْهِرُ لهم حسناتِك القليلة، إحسانًا منه وفضلاً، أفلا تقتدي بمنهج ربك، ويكون لك أصلاً؟!! لِمَ تَقُومُ الدنيا إذا أُهِينَ شَخصُنَا، وَقَلَّ أن نُحَرِّكَ ساكنًا إذا انْتُهِكَت حُرُمَاتِ رَبنا؟!! ألا تنتصر على هواك؛ طاعةً للذي فَطَرَكَ وَسَوَّاك؟!! فاستحضر أُخَيَّ إيمانك، وَاعْفُ عَن إخوانك، ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]!!!

فهبني مسيئاً كالـــذي قلت ظالماً ... فعفوٌ جميل كي يكون لك الفضل
فإن لم أكن للعفــو أهلاً لســـوء ... ما أتيت به جهلاً فأنت لـه أهـل

أخي..

أبثُّ لك بشرى بلسان ابن القيم:

إنَّ من وافق اللهَ تعالى في صفةٍ من صفاته؛ قَادَتْهُ تلك الصفة إليه بِزمامه، فَأَدخَلَتْهُ عَلَى رَبِّه، وأَدْنَتْهُ مِنْهُ، وَقَرَّبَتْهُ من رحمته، وَصَيَّرَتْهُ مَحْبُوبًا له، فَإِنَّه سبحانه رحيمٌ يحب الرحماء، كريمٌ يحب الكرماء، عليمٌ يحب العلماء، حَيِيٌّ يحب أهل الحياء، جميلٌ يحب أهل الجمال، وِتْرٌ يحب أهل الوتر، شكورٌ يحب الشاكرين، محسنٌ يحب المحسنين، عَفُوٌّ يحب العافين عن الناس[1]!!!

(١) ابن القيم/ الجواب الكافي ص (٤٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حَيَاةُ العِبَادِ
فِي الجِهَادِ وَالاسْتِشْهَاد

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أولاً: بطاقة تعريف

إنَّ الجهادَ حياةٌ، والتثاقل عنه وفاة، والشَّهادةُ ميلادٌ لِجيلٍ فَريدٍ، كَأَنَّهُ خَلْقٌ جديد، أما الفرار منها فَمَوتٌ أكيد، فإن أردت إحياءَ قرية فَلْتَزْرَع فِيهَا مُجاهِدًا، وإن ابتغيتَ إنتاجَ رواحلَ فيها فَلْتَغْرِسْ بينهم شهيدًا، أما الفَارُّ من الجهاد والشهادة؛ باغيًا الراحة والنجاة والسعادة؛ فَإِنَّ حياتَهُ في خَطَر، وإِنَّهُ لميتٌ مُتَوقَّى في قانون رب البشر!!

ذاك الجهادُ حيـــاةٌ لا نظيـــرَ لها ... إن الجهـــاد لِمَنْ أَسْمَـــى القرابيـــنِ

ذاك الجهادُ الـذي يَمْحِي الذنوب ... وســـورة الصف جاءتنـــا بتبييـــنِ

ذاك الجهاد شفاء النفس من سقم ... ومُذْهِبُ الغيظِ عنها في الميـــاديـــنِ

ثانيًا: نصوص الوحي تناديك

١ـ الجهاد حياة:

قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

رسالة الآية:

نداءٌ رباني لمعاشر المؤمنين أن يستجيبوا لداعي الجهاد؛ فإنه حياة العباد، وهذا قول **عروة بن الزبير** رضي الله عنه[(١)]، وانتخبه **ابن القيم** وقال: ما أرى الحياة إلا بالجهاد!!

أمـــا **ابن قتيبة** فَـــأَوَّلَ قولـــه ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ بأنـــه الشهـــادة فـــي سبيـــل الله؛

(١) قال الطبري: يدخل في الآية إجابة قتال العدو، وكذا من دعاكم لحكم القرآن، وكل ما فيه حياة المجيب، أما في الدنيا فالحياة ببقاء الذكر الجميل، وأما في الآخرة فحياة الجنان والخلود فيها. انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٤٦٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يؤيد هذا قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩][(١)].

فَمَوتِي فِي الوَغَي عَيش لأنـــي رأيت العيش في أَرَبِ النفوس

وقد أفاد **القرطبي** أن الجهاد حياة؛ ذلك أن العدو إن لم نَغْزُهُ غَزَانَا، فالجهاد حراسةٌ لنا، وإن قُتِلْنَا كان مآلنا الحياةَ الأبديةَ التي وُعِدْنَا، وأضاف الرازي أن وَهَنَ أحد العَدُوَّينِ حياةٌ للآخر، ثم إن الشهادة حياةٌ خالدةٌ في الدار الآخرة ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، فضلاً عما في الجهاد من حياة القلب، والتعلق بالرب[(٢)].

وهاك شهادة فارس مجاهد، حضر مئات المشاهد، إنه الشيخ عبد الله عزام/ في جهاده ضد الروس، جاء في شهادته:

كم أدعو الله ألا يحرمني الجهاد؛ فإنه نعمة تُفْقَدُ بالغفلة والذنب وضعف الإخلاص، وإني لا أُطِيقُ أن يمر بِمُخَيلتِي العود للحياة الناعمة من الإفطار إلى الغداء إلى العشاء ثم المنام، وكم أَجِدُ ضيقًا يفتك بِصَدري، بل تكاد تموت نفسي إذا غادرت ساحة القتال؛ لزيارة الأهل ولقاء المحبين، فوالله إن فراقَ المُجاهدين حَزَنٌ وَهَمٌّ، فَمَا الحياةُ إلا بينهم، والجهاد لي كَالمَاء للسمك، فإن لم أجاهد أَمُتْ، لكني ألتقي بكم طمعًا في تجنيد بعضكم، فأنا كَصَيَّادِ السمك، وكلما تمنى علي حَبيبٌ إِطالةَ الزِّيارة قلت: لا أطيق فراق أرض الجنة وعُشَّاقِ الحُور[(٣)]!!

---

(١) تفسير الثعلبي (٤/ ٣٤٢).

(٢) القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣٨٩)، الرازي/ مفاتيح الغيب (١٥/ ١١٨).

(٣) عبد الله عزام/ كلمات من النار ص (٢٢٤).

وانظر الكلمة المرئية على الرابط: http: //www.youtube.com /watch?v=iqvbvulIZHM

٢ـ ترك الجهاد تهلكة:

قال تعالى:

﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]

قال **أسلم بن عمران**: غزونا القسطنطينية، وبينا نحن نقاتل الروم إذ حمل رجل منا على صف الروم بجرأة نادرة، حتى اخترقه، وعاد إلينا، فصاح الناس: سبحان الله.. ألقى بنفسه إلى التهلكة!!

فانبرى **أبو أيوب الأنصاري** رضي الله عنه يخطب في القوم فقال:

إنكم لتؤولون الآية على غير وجهها، إنها نزلت فينا معشرَ الأنصار، إنا لما أعز الله دينه، ونصر رسوله، قلنا سرًا: لقد تركنا أهلنا وأموالنا حتى فشا الإسلام، ونصر الله عز وجل نبيه ﷺ، وقد وضعت الحرب أوزارها، فلو رجعنا لشأننا نُصْلِحُهُ، فنزلت الآية تَشِي بأن التهلكة إنما هي الإقامة في الأهل والمال، وترك الغزو والجهاد!!

وقد شهد **أبو عمران لأبي أيوب** أنه ظل مجاهدًا حتى دفن بالقسطنطينية!!

ويتأيد القول بأن ترك الجهاد تهلكة وعذاب بما أفاده ابن عباس رضي الله عنهما بقوله: لا تتركوا الجهاد فتعذبوا، ألم تقرأوا: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [التوبة: ٣٩]، وذهب حذيفة رضي الله عنه إلى أن التهلكة تكون بترك النفقة في سبيل الله[١]، ولا تعارض بين القولين؛ فإن النفقة والقتال قوام الجهاد!!

وقد أعجبت بكلام **السعدي** في ذلك بقوله:

إنَّ النفقةَ جِهادٌ مَالِي، وَهُوَ فرضٌ كَالجِهادِ البدني، بل إنَّ الجِهَاد لا يقوم إلا على سَاقِ

---

(١) الماوردى/ النكت والعيون (١/ ٢٥٣).

وهي أن التهلكة ترك النفقة في سبيل الله، وهو لابن عباس وحذيفة رضي الله عنهما، أو اليأس من المغفرة عند ارتكاب المعاصي أو ترك الجهاد، أو أنه محمول على ذلك كله، وهو قول الطبري.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النَّفَقة، فَهِيَ رُوحُه، وفي تركها إبطالٌ له، فَكَان الفتورُ فيها تهلكة[١]!!

أخي..

نهى الله عَزَّوَجَلَّ أن نسمي الشهداء أمواتًا؛ لئلا يفتر الناس عن الجهاد، فقال جل شأنه: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، فَكَيفَ بمن يسمي جرأة الشهداء في اقتحام صف العدو تهلكة؟! فإنه قد ضَلَّ وَزَلَّ، بل افترى على الله زورًا وبهتانًا عظيمًا!!

٣- والشهداءُ أحياءٌ عند ربهم يرزقون:

دخل شهداء أُحُد الجَنَّة، فَحَصَلُوا على أعظم مِنَّة، حياةٌ خالدةٌ وَرِزقٌ طَيِّب!! ثم تمنوا: يا ليت بيننا وبين إخواننا مَنْ يبلغهم أنا لقينا ربنا، فرضي عنا وأرضانا، سمع الله أمنيتهم، فخاطبهم: أنا رسولكم إلى نبيكم وإخوانكم، ثم أنزل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩][٢]!!

رسالة الآية:

بَشِّرِ الشهداء يا محمد بأنهم أحياءٌ بأرواحهم كَسَائِرِ المؤمنين، بل فُضِّلُوا بالرزقِ من مَآكِلِ الجنة في بَرزخهم قبل مَبعثهم، حتى لَكَأَنَّ الحياة الدنيا دائمة لهم، بل لا بكاء عليها؛ فالجنة أَهَمُّ، ولا كَدَر فيها ولا هَم، ولا فتنة ولا حزن، فثبت أن حياتهم حقٌّ لا ظَن[٣].

برهن **سيد قطب** لكل من داهمه شك بقوله:

ألا ترى أنهم لا يُغَسَّلُونَ كما يُغَسَّل الموتى؟!؛ فإن الغسل تطهير لميت أما هم فأطهار!! ألا ترى أنهم يُكَفَّنُونَ في ثيابهم التي استشهدوا فيها؟!، فثوبُ محياهم هو ثوب برزخهم؛

---

(١) تفسير السعدي ص (٩٠).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٢١٥).

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٢١٥)، القرطبي/ الجامع لأحكام (٤/ ٢٦٩)، الرازي/ مفاتح الغيب (١/ ٦٦٥)، البقاعي/ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢/ ١٨٠).

فإنهم بعدُ أحياء[١]!!

قال **ابن القيم**: ورتبة الشهداء هنا أكمل من حياتهم معنا، وأتم وأطيب، وإن كانت أجسادهم متلاشية، ولحومهم متمزقة، وأوصالهم متفرقة، وعظامهم نخرة، وقد أحسن من قال:

فالعيش نوم، والمنية يقظة والمرء بينهما خيال ساري[٢]

وقد مر بنا النهي الإلهي عن تسمية الشهداء أمواتًا بقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]

أفاد **الطاهر بن عاشور** أننا نُهينَا عن القول الناشئ عن اعتقاد؛ فإن الإنسان لا يقول إلا ما يعتقد، والمراد: ولا تعتقدوا ولو في سرائركم[٣]، وهو الحسبان المنهي عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]!!

كما أفاد **ابنُ تيمية** أنَّ الحياةَ ثابتةٌ للنبيين والصديقين، لكنه خَصَّ الشهداء؛ لئلا يُظَن موتُهم فَيَفْتُرَ الناس في الجهاد[٤]!!

٤ـ إلا تنفروا تموتوا:

إذا تقرر أن الجهاد حياة، والشهادة ميلاد؛ فإن من آثَرَ النوم والرقاد فِرارًا منهما؛ عليه أن يَتَيَقَّظَ أن النُّوَّام في الميزان الإلهي أموات قد توفاهم الله، اقرأوا في ذلك قرآنًا بالحق نزل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠] أي: ينيمكم[٥]!!

---

(١) سيد قطب/ في ظلال القرآن (١/ ١١٤).

(٢) ابن القيم/ مدارج السالكين (٣/ ٢٨٢).

(٣) ابن عاشور/ التحرير والتنوير (٢/ ٥٣).

(٤) جامع المسائل لابن تيمية (٥/ ٣٢٨).

(٥) قال الحسن: الوفاة في كتاب الله ﷻ على ثلاثة أوجه: وفاة الموت؛ وذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، يعني وقت انقضاء أجلها. ووفاة النوم؛ قال الله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠] يعني الذي ينيمكم، ووفاة الرفع؛ قال الله تعالى: ﴿يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: ٥٥].

وفي المسألة أقوال كثيرة جدًا، ومن أحب أن يبسط له في علمه فلينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٣٧٧)،(٧/ ٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يؤيد هذا قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الزمر: ٤٢].

رسالة الآية:

أفاد **الشنقيطي** أن الله ﷻ جعل النوم ميتة صغرى، فإنه يُرسِلُ روح النائم إلى بدنه، فيبقى حيًا إلى أن يقضى أجله، ويمسك روح من قضى عليه الميتة الكبرى؛ لانقضاء أجله[١]، ومفاد الرسالة بِلُغَةِ شاعر فحل:

نمـوت ونحيـا كل يوم وليلة ولابد يوماً أن نموت ولا نحيا

وما ذاك إلا أن النوم أخٌ للموت، وفي وصية لقمان لولده: يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فَتُنشَر، وفي الصحيحين من حديث **حذيفة** رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا قام من النوم قال: «**الْحَمْدُ للّه الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا وإِلَيْهِ النُّشُورُ**»[٢]،

نسائم الروح

سئل **ابن سيرين** عن رجلٍ غاب عن مجلسه، فقال للسائل: أما علمت أنه تُوُفِّيَ البارحة؟!! فجزع الرجل، وأخذ يسترجع بقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون!! فلما رآى **ابن سيرين** حَزَنَهُ قال يا أخي: إن النوم وفاة، وصاحبنا قد نام البارحة، ألم تقرأ: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾؟!!

وقد قيل في الفرق بينهما:

إِنَّ النَّومَ موتةٌ صُغْرَى، وَإِنَّ الموتَ نَومَةٌ كُبْرَى!!

---

(١) الشنقيطي/ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/ ٣٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧)، تفسير الثعلبي (٣/ ٨١).

والحديث في الصحيحين، البخاري برقم (٦٣١٢)، (٣/ ٢٠٦)، ومسلم برقم (٧٠٦٢)، (٨/ ٧٨).

ثالثًا: من غيث الرسالة

١ـ الجهاد رزق وحياة:

انهمر غيث الرسالة النبوية، وفي طياته رسالة مفادها:

إن الجهاد من أنجع وسائل الرزق الذي هو قوام الحياة، سواء كان الرزق في الحياة الدنيا، أو الحياة البرزخية، أو الدار الآخرة، وإليك بيانَ ذلك:

(أ) أما في الحياة الدنيا: فقد أورد **البخاري** في صحيحه عن **ابن عمر** رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي**»[(١)].

قال **ابن حجر**: وفي الحديث إشارة لِحِلِّ الغنائم لهذه الأمة، وأن رزقها في سلاحها لا في غيره من المكاسب، وإنه لأفضلها؛ ذلك أنه رزقٌ ممتد لأبد الآباد، فإن الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة[(٢)]!!

يتأيد هذا بما قرره عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما شُغِلَ مُجَاهِدُو بيت المقدس بالزرع، فَغَرسُوا الحنطة بأرض الحولة الشامية، فأرسل لهم رسالة نصية جاء فيها: أحرقوا زروعكم؛ فإن اشتغلتم بها عن جهادكم ضرب أهل الكتاب الجزية عليكم، إنما أقواتكم مما تأخذون من أفواه أعدائكم[(٣)]!!!

ألا تلحظ أن الله تعالى قَيَّضَ للمجاهدين من أهل العطاء والفضل من يكفل أمرهم، وقد جعل لهم سهمًا مستقلاً من الزكاة الواجبة لهم؟!!

---

(١) صحيح البخاري، رقم الباب: (٨٨)، (٢/ ٤٢).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٩٨) بتصرف يسير.

(٣) ذكر الأثر الشيخ عبد الله عزام في كتابه: بشائر النصر ص (١٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومما نحمد ربنا عليه أنه جَعَل رزقنا في السماء عنده؛ لئلا تصل إليه يدٌ ماكرة آثمة، فإنه ما حصل الفتور عن الجهاد إلا لخوف من حلول الأجل، أو فوات الرزق، فجاءك القانون الجهادي يطمئنك أن الجهاد من أهم أسباب الرزق، فإخواننا الصحابة ما نالوا كنوز كسرى وقيصر إلا من البوابة الجهادية، بل إن الله عَزَّوَجَلَّ هَيَّأَ لعوائل الشهداء من الحكومات والهيئات من ينفق عليها الآن راتبًا شهريًا؛ علَّ العقيدة أن تستقر بقلوبنا، ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [التوبة: ٢٨]!!

(ب) وأما ثبوت الرزق للشهداء في حياتهم البرزخية: فإن الله عَزَّوَجَلَّ أخبرنا أنهم أحياءٌ عنده يُرزقون، وقد أخرج مسلمٌ في صحيحه من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ أخبر أن «**أَرْوَاحَهُم فِي جَوفِ طَيْرٍ خُضرٍ لَهَا قَنَادِيل مُعَلَّقَة بِالعَرْشِ تَسْرَحُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَت**»[(١)] وفي صحيح الجامع الصغير: «**حَتَّى يَرُدَّهَا اللهُ إِلَى أَجْسَادِهَا يَوْمَ القِيَامَة**»[(٢)].

بل إن هذا الوعد ثابت لمن مات مرابطًا في سبيل الله، فقد أخرج المنذري بسند صحيح عن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**كُلُّ عَمَلٍ يَنْقَطِعُ عَنْ صَاحِبِهِ إِذَا مَاتَ، إِلا الْمُرَابِطُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ، وَيُجْرَى عَلَيْهِ رِزْقُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»[(٣)].

(ج) وأما في الدار الآخرة: فإن الله أعد لعباده الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر[(٤)]، بل أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ**

---

(١) صحيح مسلم، رقم الحديث: (٤٩٩٣)، (٦/ ٣٨).

(٢) الألباني/ صحيح وضعيف الجامع الصغير، رقم الحديث: (٩١٤)، (١/ ٩٢)، وحكم عليه بقوله: صحيح.

(٣) صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (١٩٠٠)، (٢/ ١٥٥)، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٤) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٣٢٤٤)، (٢/ ١١٨)، صحيح مسلم، رقم الحديث: (٧٣١٠)، (٨/ ١٤٣)، والحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

في سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»[١]، وقد قال تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم: ٦٢، ٦٣].

من فرائد الفوائد

قال **قتادة**: إن للمجاهد في سبيل الله ثلاثَ خصال من الخير: مَن قُتل في سبيل الله صار حيًّا مرزوقًا، ومن غُلب آتاه الله أجرًا عظيمًا، ومن مات رَزَقه الله رزقًا حسنًا!!

٢ـ الموت في درب الهدى ميلاد:

وهذه جملة نفيسة!!!

فَكَمَا أنَّ الشُهداءَ أحياءٌ غير أموات، إلا أن شهادتهم إحياءٌ لأفرادٍ وجماعات، فإن أردنا إيجاد ثلة من رجال التوحيد في بلادٍ؛ فما علينا إلا أن نزرع فيها شهيدًا!!!

وغيث الرسالة يشهد، ألا ترى أن مجمل شهداء الحقبة النبوية كان [٢٢١] شهيدًا[٢]، في قرابة [١٠٠] غزوة وسرية وموقعة، بينما وجدنا خلف النبي ﷺ في حجة الوداع [١١٤٠٠٠] من الصحابة، فمداد الشهداء كان الوسيلة الأقرب لميلاد جيل ربانيٍّ يرفع اللواء، مدافعًا عن إسلامنا بقوة وفداء، وعزة وإباء!!

وخبر أهل الأخدود شاهد عدل لصالح مسألتنا!!

فقد لبثنا بضع سنين ننتظر إسلام القوم، ساعةً بِسَاعَةٍ ويومًا بِيَومٍ، لكن كلمة السر في ميلادهم كانت في صَلْبِ الغلام على جذع شجرة، فيقتله طاغية عصره؛ ليدخل الناس بقتله في دين الله أفواجًا، ثم أعلنوا في هتاف جريء هُمَام: آمنّا بربِّ هذا الغلام!!

---

(١) صحيح البخاري، رقم الحديث: (٢٧٩٠)، (٢/ ١٧).

(٢) استشهد بغزوة بدر [١٤] وبأحد [٧٠] وبالسويق [٢] وبالرجيع [٧] وببئر معونة [٦٧] وبالخندق [٦] وبذي قرد [٢] وبالمصطلق [١] وبخيبر [٢٠] وبوادي القرى [١] وبمؤتة [١١] وبفتح مكة [٣] وبحنين [٤] وبالطائف [١٣] ولم يستشهد أحد في غزوتي بني قريظة، وحمراء الأسد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإن قتل المجـاهد فـي الجهاد ... وإن فرحت بمقتله الأعـادي
وإن جمع العدو لنا جيـوشًا ... وإن جـاءوا بأنـواع العتاد
سيبقى الـديـن منـتـصـرًا ... ويبقى جنود الله دومًا في ازدياد

أخي..

ألا تلحظ أن الغلام حيٌ عند ربه مرزوقٌ بِشَهادَتِه، إلا أنه أحيا بها أمة راقدة بائدة، فأضحت موحدة ثابتة راشدة، فكلما أردت أخي جيلاً فريدًا؛ فما عليك إلا أن تغرس في بلده شهيدًا!!

هذي بساتيـن الجنـان تزينت ... للخاطبيـن فأين من يرتـادُ
دعنا نَسِـرْ في دروب إبائنـا ... فلـنـا من الهمم العظيمة زادُ
دعنا نَمُتْ حتى ننـال شهـادة ... فالموت في درب الهدى ميلادُ

وسر ذلك أسطره إليك بلغة **سيد قطب**:

«وما ذاك إلا لأنهم أحياء ابتداءً بشهادة الله لهم، ثم إنهم يعطون بشهادتهم فعالية مؤثرة للفكرة التي من أجلها قُتِلُوا، فلا يزالون عُنصُرًا فاعلاً في تكييف الحياة عندنا[1]!!

وإني لأعرف قرًى كانت خاملةً ميتةً، حتى مَنَّ الله على أهلها بِشَهيدٍ، وإذا بهم يَحْيَونَ كأنَّهم خَلْقٌ جَديد، وإذا بتاركي الصلاة من عُمَّارِ المساجد وحِلَقِ الذكر ودُروسِ التَّوحيد، ومَا هِيَ إلا أشهر معدودات، أو بضع سنين؛ إلا والقرية عامرة بالعُبَّادِ، وطلبة العلم، والمجاهدين في سبيل الله!!

ولقد حدثني من أثق بدينه أن أسرته التي تربو على عشرة أشخاص ما عرفت قيام الأسحار، ولا صيام الاثنين والخميس، إلا بعدما علموا بِشَهادةِ ابنهم على إِثْرِ قصفٍ

(١) سيد قطب/ في ظلال القرآن (١/ ١١٤).

صُهيونيٍ خَسيس!!

فسبحان الذي أحيا البيوت بالجهاد، والقرى والمدن بالشهداء، والحمد لله رب العالمين!!

رابعًا: مآثر الأيام

١ـ أحياهم الله بالجهاد:

يعلم العارف بالتاريخ أن التتار بدأوا حربهم بالصين، ومروا بكازاخستان وأوزبكستان والتركمنستان وأفغانستان وإيران وأذربيجان وأرمينيا وجورجيا ثم العراق، وكل هذا في سنة واحدة فقط، وهي سنة ٦١٧ هـ، حتى ألفيتُ ابن الأثير يَذكُرُ هذا، ويقول:

إن هذا لم يُسمع بِمثلِهِ من قديمِ الزمان وحديثِهِ، وقد يأتي من بعدنا، ويرى الحادثة مسطورة فَيُنكِرُهَا، لكن العالم والجاهل عندنا يستوي في معرفتها لشهرتها!!

وكان التتار عندما يدخلون البلاد التي ذكرنا يَضَعُونَ السيف في أهلها، ولا يُبقُون أَحدًا صَغيرًا ولا كبيرًا، حتى إن المرأة منهم كانت تدخل الدار، فتقتل جماعة من الرجال، بل إن تَتَرِيًا واحدًا دخل ساحة فيها مائة مسلم، فما زال يقتلهم واحدًا واحدًا، ولم يَمُدَّ أحدٌ يده إليه بسوء، فإذا انتهوا حملوا ثروات البلد معهم، وما عجزوا عن حمله كالحرير الثمين؛ فإنهم يجعلونه كأمثال التلال، ويُضْرِمُون فيه النار!!

ثم توجه التتار إلى مدينة تبريز، وعلموا في طريقهم أن رجلاً مجاهدًا تولى إمارتها، وهو شمس الدين الطغرائي، فقد كان فقيهًا في دينه ودنياه، فأعلن راية الجهاد، واستفزَّ الناس للتدريب والإعداد، وحذرهم من عاقبة الخذلان، وخطب فيهم أن الجهاد يحيي العباد ولا يميتهم، وأن النفس لا تموت إلا أن تستكمل أجلها، ولا مخرج من الموت الذي ينتظروه إلا بالاحتماء خلف سيوفهم!! فسمع الناس له وأطاعوا، فقاموا وأصلحوا الأسوار،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وحفروا الخنادق، ووضعوا المتاريس، وأعلنوا الجهاد في زمن الركام!!

فلما علم التتار بأمرهم، ألقى الله الرعب في قلوبهم، واتخذوا قرارًا عجبًا، مفاده: لن ندخل في قتال مع قومٍ رفعوا راية الجهاد في سبيل الله، وتوجهوا إلى بيلقان سنة ٦١٨هـ، فقتلوا كل من فيها، وشقوا بطون الحبالى، وقتلوا الأجنة، فلما فرغوا نهبوا، وحرقوا كعادتهم، ثم توجهوا إلى مدينة كنجة، فعلموا أن أهلها رفعوا راية الجهاد، كما فعل أهل تبريز، فاتخذوا نفس القرار: لن ندخل في قتالٍ مع قومٍ رفعوا راية الجهاد في سبيل الله!!

يقول د. **راغب السرجاني**:

وليس من قبيلِ الصُّدفة أن البلاد التي أعلنت الجهاد هي التي لم يجرؤ التتر على دخولها، ولكنها سنة الله تعالى، ولو فعلت كل المدن ذلك ما استطاع التتر دخولها[1]، فثبت عند العقلاء أن الأنفس تُحفَظ بجهادٍ صادقٍ، ودماءٍ زكيةٍ، وقُلُوبٍ رُوحيةٍ فَتِيَّةٍ!!

٢ـ أنجاهم الله باتفاق على الشهادة:

سمع **أَلْبْ أَرْسَلان** أن الروم حشدوا له ستمائة ألف، قد غطوا الأودية والسهول والجبال، ولم يكن معه سوى عشرين ألفًا، فخطب فيهم: اخرجوا في سبيل الله، إما أن نموت بكرامتنا، وإما ننتظر أن نموت بِذُلِّنَا!!

فأجابوا: نحن من خلفك أيها الإمام!! فسار بهم، وإذا بهم خمسة عشر ألفًا، فلما عاينوا الكفار لم يبق إلا اثنا عشر ألفًا كلهم مستعد للشهادة ولقاء الله!!، أمام ستمائة ألف، الواحد يقابله خمسون كافرًا، فقال ألب أرسلان: عزمت ألا أقاتلهم إلا بعد الزوال!! فقالوا: ولم؟ قال: إن اليوم جمعة، وفي هذه الساعة يقف كل المسلمين يدعون أن يعز الله دينه، وينصر أولياءه، فأحببت أن تصيبني دعوة المسلمين!!

فصلى ودعا ثم اقترب الصفان، وقال لجنده: إن حملت فاحملوا معي دفعة واحدة، ولا

(١) د. راغب السرجاني/ قصة التتار.

ترموا بسهم حتى أكون أَوَّلَكم رميًا، فكبر ثم حمل عليهم، فاخترقوا الصف الأول والثاني، وعشرين صفًا؛ حتى وصلوا لملكهم، فقتلوا من حوله، ثم أسروه، وعادوا والهتاف يملأ صفوف الجانبين: أُسِرَ المَلِك، أُسِرَ المَلِك!!

فاضطرب الكفار وهربوا، وقد أوقعوا بهم القتل بأعداد لا تحصى كثرة، وأتي بالملك مربوطًا إلى ألب أرسلان وهو جالس على سريره، فقال للملك: لو كنت مكاني ماذا كنت تفعل؟ قال: أقتلك!!

فردَّ **ألب أرسلان**: أنت أذل عندي من أن أقتلك، اذهبوه فبيعوه في المسلمين!!

فذهب الباعة، وكلما مروا على ملأ لم يشترِه بأبخس الأثمان، حتى وجدوا في آخر الجيش رجلاً معه كلب، فقال صاحبه: لو بعتموه لي بهذا الكلب أشتريه!! فعاد الباعة لألب أرسلان وأخبروه ألا مشتريًا إلا صاحب كلب، فقال: للكلب أشرف من هذا الرجل، فإنه ينفع، وهذا رجل لا ينفع، أعطوه الرجل، وأبقوا الكلب له!!!

٣ـ بين الدفاع والهجوم:

سيق بديع الزمان **النورسي** [ت.١٩٦٠م] إلى المحكمة، عقب صدحه بوجوب إقامة الشريعة في البلاد التركية، فضلاً عن حادثة أخرى اتُّهِمَ فيها، فلما دخل ساحة المحكمة رأى خمسة عشر رجلاً مُعَلَّقِينَ على أعواد المشانق، ظنًا من القاضي أن هذا المشهد سَيُرهِبُه!!

وبينما النورسي ينظر للمشنوقين بادره الحاكم العسكري خورشيد باشا قائلاً: وأنت تدعو إلى إعلان الشريعة، إن من يطالب بذلك يُشنق، ويُعَلَّق بجانب إخوانه الخمسة عشر!!

وما إن سمع **النورسي** نبأ تهديده بالشنق، حتى قام يصدح بأقوى خطبة في تاريخ المحكمة التركية، فذُهِلَ القضاة ودُهِشَ الجُمهور، فمن عادة أي متهم أن يجلب كل وسيلة لإنقاذ نفسه، لكن **النورسي** أذهلهم بقوله:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لو أن لي ألف روح لما ترددت أن أجعلها فداءً لِحَقيقةٍ واحدةٍ من حقائق الإسلام، فإني طالبُ علم، وأزن كل شيء بِمِيزانِ الشَّريعةِ، إنني لا أعترف إلا بملة الإسلام!!

إنني أُعلِنُ فيكم وأنا أقفُ أمام البرزخ الذي تسمونه السجن، في انتظار قطار الوصول للآخرة، آن للسرائر أن تنكشف، فأقول لكم:

إنني مُتَهيأ بشوق لقدومي الآخرة.. حتى لو كنت مع هؤلاء الذين عُلِّقُوا في المشانق!!، تصورا ذلك البدوي الذي سمع عن غرائب استانبول، فاشتاق إليها، إني مثله مشتاق للآخرة، ثم إن نفيكم لي إليها لا يعد عقوبة، بل إنه غاية ما أتمنى، لكني أتحداكم أن تعاقبوني المعاقبة العقلية الوجدانية، ولن تفلحوا!!

وعقب الخطبة الجهادية، وفي جلسةٍ واحدة، قام القاضي يعلن براءة بديع الزمان **سعيد النورسي**، ونجاته من المحاكمة الرهيبة التي شنقت العشرات، وهكذا كان هجومه وجهاده؛ قوامًا لنجاته وحياته[1]!!!

خامسًا: ذخيرة الأسرار

١ـ المظلوم الظالم:

قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة البقرة:٢٤٣-٢٤٥]

(١) قصة بديع الزمان النورسي لعلي الطنطاوي.

سكبت قريحةُ **محمد الغزالي** تأملاتٍ ذهبية فقال معقبًا على الآيات:

درس من السماء يقص علينا حكاية أمة!!

إن الأمة التي تقبل الخنوع، وتقبل الدنِيَّةَ من نفسها، وتهجر دروب الجهاد في سبيل الله، فإنها لن تُحرمَ من مكانٍ تعيش فيه؛ ذلك أن سادة العالم لن يرفضوا الاستكثار من الخَدَمِ والأتباع، ثم يَصفوها بالحياة كما يصفون كلاب الصيد التي تلهث بين أيديهم، أو أبقار الحرث التي تعمل في حقولهم، أما هم من الناحية الإنسانية المحضة فأمواتٌ أموات!!

فَكُلُّ أُمَّةٍ تنكص عن الإقدام في ساحات الجهاد، وتخشى عواقب المخاطرة، فلابد أن تُصدِرَ عليها محكمة التاريخ حكمها بالإعدام!!

وهكذا بدأ القرآن يقص أنباء الأمة التي فَرَّت من تكاليف الحياة فأدركها الموت لما تركت الجهاد، فحقت عليها كلمة العذاب، فقد ﴿خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾ فماتوا في الديار التي عجزوا عن الدفاع عنها، وربما ارتبطت الأمة مع محتليها وقاهريها بمعاهدات، ولما أراد الله أن يعلمها كيف تحيا؛ أشعرها أن دون ذلك بذلٌ للنفسِ والنفيس، ودفعٌ لضريبةٍ مفروضةٍ على الدم والمال، فقال لأبنائها: ﴿وَقَـٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وكذا ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾!!

وإذا بالأنفس تصيح عقب الدرس: نريد القتال.. الويل للغاصبين!!

فقال زعيمهم في تثبت المرتاب ولهجة الحائر ﴿هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَـٰتِلُواْ﴾ [البقرة: ٢٤٦]، فازدادت هتافاتهم حدة: سندافع عن بلدنا حتى آخر رمق، فإما استقلالٌ تام، وإما موتٌ زؤام!!، فلما حانت الساعة الفاصلة ﴿تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦] فَسَمَّاهُم القرآنُ ظالمين مع أنهم مظلومون، فكيف جازت هذه التسمية؟!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إجابةٌ تذهل العقول!!

إن الظلم نوعان: ظُلْمُ الإنسان لنفسه، وظلمٌ من غيره، ويكثر أن يكون الأول مُمَهِّدًا للآخر، فالذي يقبل الذل والانحناء؛ فإنه يغري الآخرين بالبغي والاعتداء، فَقَلَّمَا وقع العدوان علي صاحب قوة وجهاد وإباء، وسياق الآية يُحَمِّلُ الشعوب التي تركت الجهاد وِزْرَ ما تُقَاسِي، وَإثم ما تُعَانِي، من مَذَلةٍ وضيم وهوانٍ، وصدق القائل:

أنصفتَ مظلومًا؛ فأنصفتَ ظالمًا ... في ذِلــةِ المَظلـوم عُــذر الظالـم

من يَرْضَ عدوانًا عليــه يضيره ... شَرٌّ من العادي عليـه الغاشم[1]

٢ـ حياةٌ من الحي القيوم:

إن المجاهد في سبيل الله يتحصل له بجهاده تزكية كريمة لنفسه، تُدخِلُهُ على رَبِّهِ، وتُدنِيه منه، وتُقَرِّبُه إليه، وتُصَيِّرُه مَحبوبًا له، فيمنحه الله ﷻ كمالاً بشريًا مشتقًا من مقتضى الكَمال الإلهي، فإذا كانت مقومات الإبداع الجهادي القُدرة والقوةُ، والعزة والمال، والحياة والقيام بتكاليف الجهاد، فإن الله بفضله ومَنِّهِ يُسربِل المجاهد بما أراد، فيُكسبه قدرة من قدرته؛ فإنه القادر، وقوة من قوته؛ فإنه القوي، وعزة من عزته؛ فإنه العزيز، ورزقًا من خزائنه؛ فإنه الغني، وحياة جليلة؛ فإنه الحي، وقيامًا جريئًا بأمر الله دون خشية لائم وذلك من قيومته؛ فإنه القيوم!!

وأَنَّى للجبان المُتثاقلِ إلى الأرض ذلك، فإنه يعيش في الناس عاجزًا فقيرًا، ميتًا ضعيفًا ذليلاً، ولو كان أكثرَ الناس مالاً؛ فإن الجبان يموت في اليوم مرات عديدة، بخلاف المجاهد الذي لا يموت إلا مرة واحدة في عمره كله، وإن مات فإنه يموت مختارًا، ويسمى شهيدًا حيًا لا ميتًا، أما الجبان فيموت إجبارًا، ثم تنتشر العقوبة لِمُجمَلِ أجزاء حياته، فَجُرثومة الجُبنِ والذل كَجُرثُومة الوباء، تنتشر عدواها انتشار النار في الهشيم، فثبت عند العقلاء أن

(١) محمد الغزالي/ الإسلام المفترى عليه ص (١٦٤-١٦٥).

الحياة كل الحياة في الجهاد في سبيل الله!!

واهتفْ بنـا؛ إن الجهاد سبيلنـا بالقول والأفعـال والمجهـود
فالموت خيرٌ مـن حيـاة مذلـة قد بـدلت غـزلانهـا بقـرود
واحصد برشـاش الـفـداء حثالة كفرت بِأَنْعُمِ ربها المعبود

سادسًا: بشائر العافية

١ـ ورد من رباط أو جهاد:

أفاد الشيخ **عبد الله عزام** رحمه الله أنَّ الجهاد مَنازِل وَرُتبٌ أربعة: الهجرةُ ثم الإعداد ثم الرباط ثم القتال، ولا جهاد بدونها، فإنها أعمدة أربعة يتأسس عليها بنيان الجهاد في سبيل الله[١]..

وعلى هذا فثمةَ فرقٌ بين الرباط والجهاد، فالرباط إنما هو حراسة تَحقِنُ دماء المسلمين، أما الجهاد فَقِتَالٌ يَسفِكُ دماء الكفرة والمشركين، فالرباط من مقدمات الجهاد، وقد يَمُنُّ الله على عبدٍ بِجِهَادٍ ورباطٍ معًا، فعينٌ تحرس إخوانه، وأخرى ترقب أعداءه، فهذا مرابطٌ مُجاهدٌ، والله ذو الفضل العظيم!!

وعليـــه:

فلابد من حرق وسوسة إبليس؛ التي تُعلن عن فهمٍ خسيس، مَفادُهُ:

إنَّ الرباطَ عبادةٌ حصريَّةٌ لأناسٍ دون آخرين، بل يتقرر في الأنفس أن الرباط قُربةٌ لله كالصلاة والصيام، يفعلها كل مسلم، فلو تقلد أحدنا عصاه، واستقر بأرضِ خَوفٍ يرقب كل معتد أثيم، فيصده لنالَ أَجرَ المُرابط، وإن لم تتيسر له أرض خوف سار في أزقة

(١) عبد الله عزام/ الهجرة والإعداد ص (٧٩)، وقد يرتفع سبب إحداها فلا يجب، كالهجرة، فإن تطلبتها المرحلة قد تجب، وإلا فلا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قريته يحرسها من كيد عابثٍ، أو مكر لِصٍّ، ليستحق ثواب المرابط غيرَ منقوص بحول الله تعالى!!

أخي..

إن لم تقم الليل فليس أقل من حضور نيته، إن لم تكن شمس هداية فليس أقل من قمر اهتداء، إذا لم تكن أبا عبيدة فلا تكن أباه، إذا لم تشبه مصعبًا فلا تشبه أخاه[1]!!

أخي..

إن لم تجاهد فَلَيْسَ أقل من ساعةِ رباطٍ، إن لم تسفك دماء المشركين فَلَيْسَ أقل من حقن دماء المسلمين، فكيف تُفهَمُ آياتُ الرباط لِمُسلم أَدمَنَ التقلب عَلَى فراشه؟!، وكيف تُفقَهُ آياتُ الجهاد لِمُؤمن في غير ساحة المعركة؟!، أما إن منَّ الله عليك بِسهمٍ جهاديٍّ فهذه أولى بشائر العافية، وإلا فأمامك مَراقي الصعود؛ فتأملها علَّك تجد شفاك فيها..

٢ـ ثقافة الجهاد حاضرة:

من كان الجهاد همه، رأيته يُغردُ بذكره، ويُحَدِّث بأمره، مُكثِرًا من تلاوة آياته، وقصص أبطاله، وألوان القوة، وأنواع الأسلحة، قلبه مشغول دومًا بنصرة دينه، كلما سمع فزعة طار إليها مُسترخصًا روحه في سبيل ربه، لا يهدأ له بال، ولا يقر له قرار، ما دام للكُفْرِ هيمنة في أرض الله!!

دينا خنجر يمـزق وجه الليل ... إن قـام للظـلام وجـود

مسلم يا صعـاب لن تقهريني ... صـارمي قاطع وعزمي أكيـد

من دمائي في مقفرات البراري ... يطلع الزهر والمحيا والـورود

(١) خالد أبو شادي/ صفقات رابحة ص (٦٥).

سابعًا: مراقي الصعود

١ـ من عرف الأجر هان عليه العمل:

من عرف أجور الأعمال، هانت عليه في كل الأحوال!!

وقد أحصى العلماء قرابة [٨٠٠] حديثٍ يتناول فضائل الرباط والجهاد والشهادة في سبيل الله، إليك ثلاثة منها:

١- أخرج مسلمٌ في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانًا بِي، وَتَصْدِيقًا بِرُسُلِي، فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، نَائِلاً مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ... وَالَّذِي نَفْسُ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُغْزَو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلُ ثُمَّ أُغْزَو فَأُقْتَلُ ثُمَّ أُغْزَو فَأُقْتَلُ**»(١).

٢- أخرج المنذري بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ لَيْلَةً أَفْضَلَ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ حَارِسٌ حَرَسَ فِي أَرْضِ خَوْفٍ لَعَلَّهُ أَنْ لَا يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ**»(٢).

٣- أخرج النسائي بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عز وجل وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي مَنْخَرَيْ مُسْلِمٍ أَبَدًا**»(٣).

سمع عبد الله بن المبارك بهذه الأحاديث وغيرها؛ فهان عليه المسير إلى ثغور البلاد الشامية قرابة [٣٠٠٠ كم]، فلما آنس المجاهدين يشاغلون الأعداء فيَقتُلُونَ ويُقتَلُون،

---

(١) صحيح مسلم، رقم الحديث: (٤٩٦٧)، (٦/ ٣٣).

(٢) صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (١٩٢٤)، (٢/ ١٥٩)، وقال الألباني: صحيح.

(٣) سنن النسائي، رقم الحديث: (٣١١٣)، ص (٤٨٠)، وقال الألباني: صحيح.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال لرفيقه **حبان السلمي**: إنا لله وإنا إليه راجعون.. آهٍ على آيام قضيناها، وأعوام قطعناها في علم الخَلِيَّةِ والبَرِيَّة[١]، وتركنا أبواب الجنة مفتوحة، وأنشأ يكتب لأخيه الفضيل بن عياض:

يا عابد الحرمين لو أبصـــرتنا لعلمت أنك بالعبادة تلعـب

وقد ألفيتُ **البهيَّ الخولي الأزهري** يذكر ذلك ويقول:

إنَّ **عبد الله بن المبارك** سمى العبادة لعبًا، وقد كان الجهاد فرض كفاية، **والفضيل** أعبد الأمة، وفي خير الأمكنة، فَبِمَ يُسمِّيهَا والجهاد الآن فرض عينٍ، ومن سوى **الفضيل**، وفي غيرِ الحرمين؟!!

٢ـ يا خيل الله اركبي :

هكذا أعلنها المنادي، هاتفًا بها في أسماع الحواضر والبوادي، إنَّ المأثمةَ حَالَّةٌ بكل متخلفٍ، فاترًا كان أو قاعدًا، فَجِهَادُ الدفع فرضُ عينٍ، والمسألة غير خلافية قولاً واحدًا، وإليك أهدى فُتْيَا فقيه مجاهد كتب الله له الشهادة باغتيال تفجيري، طار على إثره في السماء أمتارًا لكنه هوى على الأرض ساجدًا، إنه الشيخ **عبد الله عزام/** ، ونص فتواه:

إنَّ الجهاد فرضُ عينٍ منذ أن سقطت أول مدينة بالأندلس قبل ستة قرون، ولا يسقط الإثم من رَقبةِ الأمة المسلمة حتى نَسترد كُلَّ بقعة رفرفت راية التوحيد في سمائها يومًا من الأيام[٢]!!

فـإذا داهـم العدو أرضـك، فلا تستأذن أحدًا، لا أبًا ولا أمًا، ولا دائنـًا، إلا إن كنت أعمى أو أعرجَ أو مريضًا؛ إذ ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [الفتح: ١٧]، أما سوى ذلك فلا، فالجهاد كالصلاة والصيام، فأخبرني بالله

(١) أي كنايات الطلاق.

(٢) عبد الله عزام/ تفسير سورة التوبة (٢/ ٢٤٣).

عليك: هل تستأذن والديك في أداء صلاة الظهر أو صيام رمضان[١]؟!!

وقد أعجبت بِمَذمةِ الشيخ **حسن أيوب** لأهل الجدال والقوال لا الفعال فقال:

ما زلنا في اختلافٍ: هل الجهادُ فرض عينٍ أم فرض كفاية؟

حتى مَسَّنَا من الذلَّةِ وَالمَهَانَةِ ما فيه كفاية!!

ولذلك أَطمئِنُ للقول بأن المقتدر على الجهاد المتخلف عنه آثم صاحب كبيرة، لا يُتاب منها إلا بالجهاد؛ ذلك أن توبة مانع الزكاة أداؤها، فلا يجزئه عنها ألف ركعة في ظلام الليل يحييها، والجهاد كذلك، والله أعلم،،

من فرائد الفوائد

قال **سيد قطب**: يحدث أن يُمنَع المُسلمُ من الجهاد، وإن كانت حياته فيه، فقد مُنِعَ الصحابة بمكة وقيل لهم: ﴿كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ٧٧] رغم ما يحصل لهم من أذى؛ ذلك أنهم كانوا ذوي حماسةٍ باهرة، وشجاعةٍ نادرة، لا يصبرون على الأذى، فأرادت الشريعة ضبط الصفات النفسية عندهم؛ ليكونوا طوع قيادتهم، لذلك وجدنا رجالاً من طراز **عمر** رضي الله عنه في حميته، **وحمزة** رضي الله عنه في فتوته يُعلنون الطاعة ولو على حساب أعصابهم، ينتظرون أوامر النبي ﷺ؛ ذلك أن نفوسهم كانت تُعَدُّ لأمر عظيم[٢]!!

ثامنًا: إشارة حمراء

١ـ إخلاصٌ منقوص:

أنباء تتحدث عن هجوم قتالي شرس.. هذا الموجز وإليك الخبر بالتفصيل:

---

(١) عبد الله عزام/ الجهاد فقه واجتهاد ص (٥).

(٢) في ظلال القرآن (١/ ١٥٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العدو: الشيطان الرجيم!!

المستهدف: المجاهدون في سبيل الله..

سبب المعركة: غيظ الشيطان من المجاهدين؛ ذلك أنهم حراس الدين في الأرض، كما الملائكة حراس الدين في السماء!!

مكان المعركة: قلب المجاهد، من نافذة الرياء وبوابة حب الشهرة!!

هدف المعركة: أن يكون المجاهد من أول المعذبين يوم القيامة، بعد الفشل من ثَنيِهِ عن أصل الجهاد!!

أمارة النجاح: أن يقاتل المجاهد ليقال عنه مجاهد!!

وقد أشارت سورة الغاشية على أحد التأويلين إلى تفاصيل المعركة، فقد حدثتنا عن وجوهٍ خاشعة، عاملة ناصبة، قد علا الإسلام بعملها، وانتصرت الدعوة بفعالها، حتى مسها التعب والنصب فكانت عاملةً ناصبة، أما جزاؤها: فإنها تُسقَى من عينٍ آنية، لها طعام من ضريع، لا يسمن ولا يغني من جوع، وما ذلك إلا أن جهادهم تَعَكَّرَ بجرثومةِ الرياء، فكانوا حطبًا لِجَهنَّم، اللهم سَلِّم سلِّم!!

٢ـ لا تغلق بابًا فتحه الله لك:

إذا اصطفاك الله لثغرٍ جهادي فلا تُغلِقه ما دمت حيًا، فمن الواجبات الشرعية أن يتقرر في قلبك أن قضية الجهاد ليست أمرًا عاطفيًا، نحتكم فيه إلى الأهواء، أو يقبل النقاش والآراء، فنلزم الثغر ما رضينا، ونفر منه إن سخطنا، فالمسألة قضية عقدية، فكيف يتنازل عنها مجاهد لأجل قضيةٍ صغيرةٍ دَنِيَّة!!

أما تخشى أيها التارك أن يسخط الله عليك؟! فقد أخرج مسلمٌ في صحيحه من حديث **عقبة بن عامر** رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ عُلِّمَ الرَّمْيَ، ثُمَّ تَرَكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا، أَوْ قَدْ**

عَصَى»[1]!!

أما تخشى أن تكون محرومًا ممن ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦]؟!

أما تخشى أن تكون كَالْمُنَافِقِين الذينَ عاهَدُوا ربهم ثم أخلفوا ﴿فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥ - ٧٧]!!

تاسعًا: سحائب المنن الإلهية

١ـ مغفرةٌ أكيدةٌ، وجنة مضمونة:

مر بنا طرفٌ من سحائب المنن في مراقي الصعود، وعقب جولة قرآنية بان لي أن المجاهدين الصادقين ﴿أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [التوبة: ٢٠]؛ ذلك أن الله عَزَّوَجَلَّ فضلهم على القاعدين بعذر درجة، وعلى المُتَخلفين دون عذر أجرًا عظيمًا {النساء: ٩٥}، بل وعدكم أيها المجاهدون بقوله: ﴿يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصف:١٢، ١٣]، ﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [التوبة: ١١١]

فإنِ اتخذهم الله شهداء فإنهم ﴿أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠] ولن يضل أعمالهم، بل ﴿سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ٥ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ﴾ [محمد: ٤ - ٦]، فثبت عند أولي الألباب أن السعادة كل السعادة في الرباط والجهاد والشهادة و ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [المائدة: ٥٤]!!

---

(١) صحيح مسلم، رقم الحديث: (٥٠٥٨)، (٦/ ٥٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رسالة الآيات:

بشر المجاهد بمغفرةٍ ربانية، ورتبةٍ في الجَنَّةِ عَلِيَّة، أما الشهيد فبشره بحياةٍ دائمة، وأرزاقٍ قائمة، وجناتٍ عالية، والله ذو الفضل العظيم!!

أخرج الترمذي بسند صحيح عن أبي عبس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مَنِ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فَهُمَا حَرَامٌ عَلَى النَّارِ**»(١)!!

وأخرج أيضًا والنسائي بسند صحيح من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ**»(٢)..

بل أخرج مسلم من حديث سلمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ**»(٣).

رسالة الأحاديث الثلاثة:

إذا مس الغبار قدمي المجاهد فالنار عليهما حرام، ثم عليه استشعار كل لحظة في رباطه وجهاده، فدقيقته بألف دقيقة، وساعته بألف ساعة، ويومه بِأَلفِ يَوم، وإن مات مرابطًا لم ينقطع عمله، وبقيت حسناته جارية إلى يوم القيامة، بل يأمن فتنة القبر، ولا يسأل في قبره كالشهيد كرامة من الله تعالى(٤)!!

٢ـ حياةٌ سعيدةٌ عزيزةٌ شجاعة:

من ألمع مقومات السعادة النفسية والروحية الجهاد في سبيل الله؛ فقد أخرج المنذري

(١) سنن الترمذي، رقم الحديث: (١٦٣٢)، ص (٣٨٣)، وقال الألباني: صحيح.
(٢) سنن الترمذي، رقم الحديث: (١٦٦٧)، ص (٣٩٠)، سنن النسائي، رقم الحديث: (٣١٦٩)، ص (٤٩٠)، وقال الألباني: حسن.
(٣) صحيح مسلم، رقم الحديث: (٥٠٤٧)، (٦/ ٥٠).
(٤) شرح السيوطي على مسلم (٤/ ٥٠٧).

بسند صحيح عن **عبادة بن الصامت** رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**جَاهِدُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّ الْجِهَادَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يُنَجِّى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ مِنَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ**»[١]!!

ذلك أن الله يشرح صدر المجاهد بإقدامه، فيرقص قلبه طربًا كلما تقلد سيفه ونباله، أما الجبان فَالذِّلَّةُ معه، والجَزَعُ بِصُحبَتِه، ولو جلس على لَيِّنِ الفراش، وعاش أحسن المعاش، فثمةَ فرقٌ بين مجاهد وقاعد!!

ينام النـــاس في دعــة ولين ونومهم على الصـم الصخور
وعطر الناس من فـــل وورد تطيب منــه أنســـام الأثير
ورائحة الدخـان لهم عطــور فَأَطْيِبْ بالدخان شذى عطور
وللبارود فــي الهيجــا عبير أرقُّ من النسيم على الزهــور

ألا تلحظ أن أرباب المواقع الرسمية في الدول لا يجرؤون على التفوه بكلمةٍ عزيزة تسيء للصليبية أو اليهودية؟!!

وقد أخرج **أبو داود** بسند صحيح من حديث **ابن عمر** رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ؛ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**»[٢]!!

أما المجاهدون فيتكلمون بما شاءوا، وفي الوقت الذي شاءوا، فالعزة باديةٌ على محياهم، لا يخشون في الله لومة لائم!!

لهذا وجدنا **عبدَ الله بن حذافة السهمي** رضي الله عنه لما حبسه طاغية الروم، وجعل معه خمرًا ولحم خنزير مشويًا ثلاثة أيام، فلم يشرب، ولم يأكل، حتى مال رأسه من الجوع والعطش،

(١) المنذري/ الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (٢٠٥٩)، (٢/ ١٩٠)، وقال الألباني: صحيح لغيره.
(٢) سنن أبي داود، رقم الحديث: (٣٤٦٢)، ص (٥٢٧)، وقال الألباني: صحيح.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وخافوا موته، فأخرجوه ليُنْزِلَ عليهم صاعقة عِزِّهِ، فقال للطاغية:

أعلم أن الله أحله لي؛ فإني مضطر، لكن لم أكن لِأُشْمِتَكَ بِدِينِ الإسلام، فما هي إلا لحظات حتى أَفْرَجَ عنه الطاغية، وكلُّ أسرى المسلمين بصحبته[1]!!

فلما أعلن الجهاد أحياه الله وإخوانه، لتمضي سنة الله تعالى في خلقه، ولكن أكثر الناس لا يفقهون!!

وفي ذات يوم قَدِمَ وزيرٌ يهودي إلى الشيخ **أحمد ياسين** في سجنه يتوسله دقيقتين يتحدث معه، فأبى الشيخ وقال للسجان: قل لصاحبكم إن الشيخ في ورده القرآني الآن، ولا يأذن لك بالكلام!! فعندما يفشل قادة العدو الصهيوني في بثِّ كلماتٍ لِسَجينٍ عندهم؛ أخبرني بالله عليك: من السجين مِنَ الحر: الشيخ أم الوزير؟!!

ولقد وفق الله **الشافعي** أن يقول:

أنا إنْ عشتُ فلستُ أَعْدَمُ قُوتًا ... ولا إنْ متُّ فلستُ أعـدمُ قبرًا

همتي هـمــة الملوك، ونفسـي ... نفس حرٍّ تـــرى المذلةَ كفـرا

٣ـ مرحبًا بالموت كل ساعة:

إذا تقررت حياة المجاهدين والشهداء كانت فضيحة الخانعين والجبناء، وقد أحسن الشيخ **عائض القرني** قولاً بقوله: إن الجبان يموت في اليوم مرات، بخلاف الشجاع فلا يموت في عمره كلِّه إلا مرة؛ ذلك أن الجبان يتوهم كل شيء ضِدَّهُ، أما الشجاع فإنه ضِدُّ كل شيء، إلا كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله ﷺ وما والاهما!!

فتــارك الجهاد إذا سمع رصاصة قُربَ بيته لم ينم، وإن لاحظ حركة في محيط قريته لم يقم، أما المجاهد فهذا ما ينشده، وربما قام ورغيف الخبز بيده يأكله، في عقيدته مقالة

(١) الشنقيطي/ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ٦٦).

علي رضي الله عنه: الأجل جُنَّةٌ حصينةٌ، والجهاد لا يقدم أجلاً، والدعة في البيت لا تؤخر عمرًا، يخاطب نفسه دومًا هاتفًا:

فإنكِ لو سألتِ بقاء يومٍ ... عن الأجلِ الذي لكِ لم تُطاعي
فصبرًا في مجالِ الموتِ صبْرًا ... فما نيلُ الخلودِ بمستطاعِ
ولا ثوبُ الحياة بثوبِ عِزٍّ ... فيطوى عن أخِي الخنعِ اليراعِ
وما للمرء خيرٌ في حياة ... إذا ما عُدَّ من سقط المتاع

ذكر الشيخ **عبد الله عزام** خبر مجاهد اسمه **تميم العدناني**، فقال: هجم علينا [٣٠٠٠٠ روسي] صبيحة [٣٠ رمضان]، وبصحبتهم راجمات صواريخ إذا ضربت ضربة سقط في المكان المستهدف [٤١] صاروخًا دفعة واحدة، وَأُقْسِمُ بالله أني رأيت الماء يخرج من الأرض الصخرية عقب سقوط قذيفة روسية!!

فتقدم صاحبنا **تميم العدناني**، وجلس تحت شجرة يقاتل، ويسأل الله الشهادة قبل ختام رمضان، فَمَرَّ الرصاص أمام عينيه، وجوار أذنيه، وبقي من الصباح حتى المغرب دون أن يستشهد، والقذائف لا تتوقف، فلما حان المغرب وآذن رمضان بالرحيل قال: اللهم إن لم تكن شهادة فلا أقل من جريح، لكن لم يحصل هذا ولا هذا، فكان بعدها لو حدثته بألف طائرة وألف جندي عند رأسه لا يخشى الموت أبدًا، ويقول: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]!!

أنا أعي أن **تميم العدناني** ما قرأ هذه العقيدة في فتاوى ابن تيمية، ولا في حاشية ابن عابدين، ولا المجموع للنووي، إنما عاينها من خلال أعصابٍ تُحرَق، ونفسٍ تُطحَن تحت القذائف، ولقد سألت أحد المجاهدين يومًا: كم معركة دخلت؟ قال: ألف معركة تقريبًا، والموت لم يأت بعد[١]!!

(١) عبد الله عزام/ التربية الجهادية ص (٥٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أيّ يـومَـيّ مِنَ المـوت أفرّ يَومٌ لا قُـدّر أم يَـومٌ قُـدِر
يـــوم لا قُـــدّر لا أرهبــه ومن المقدور لا ينجو الحَذِر

٤ـ وسيلة تربوية وإيمانية ناجعة:

أجمع المرابطون والمجاهدون أن ساعات رباطهم وجهادهم ترفع منسوب الإيمان من الصفر إلى القمة!!، بل وتمثل في حياتهم جرعات الهمم والعزائم، والتفكر في خلق السماوات والأرض!!

وإليك أنموذجين يوضحان المقال:

شاب اسمه **حبيب الرحمن انجنير**، ممن فجر بذرة الجهاد الأفغاني ضد الروس، وبعد جهادٍ دام سنوات عاد يكمل دراسته بِكُلِيَّةِ الهندسة، وكانت الجامعة مختلطة، فقال لإخوانه: أشعر بقسوةٍ تجتاح قلبي، فسألوه عن أمارة ذلك، فقال:

والله إنني قبل دخولي الجامعة، وطيلة فترة الجهاد كنت أسمع تسبيح الشجر والحجر، أما اليوم فلا أسمع شيئًا[١]!!!

وآخرٌ مِصْرِي قام من خندقه يقضي حاجته، فلاحظته طائرةٌ روسية وأسقطت قذيفتين عليه، فدعا ربه قائلاً: اللهم لا تمتني على هذه الحال!! فاستجاب الله دعاه في أقل من ثانية، فوقعت القذيفتان ولم تنفجرا، كل واحدةٍ طن كامل، فلو انفجرت واحدة لقُتِلَ من هوائها فضلاً عن شظاياها[٢]!!

٥ـ ومحبةٌ في قلوب الخلق:

وهذه عاجل بشرى المؤمن!!

معلومٌ أن من آمن بالله وعمل صالحًا سيجعل الله له وُدًّا، ولما كان الجهاد ذروة سنام

(١) عبد الله عزام/ التربية الجهادية ص (١٩٤)، وقد كتب الله الشهادة له بعد ذلك.
(٢) المرجع السابق ص (٣٤٦).

الأعمال في الإسلام، رأيت الود في ازدياد، والثناء ما له من نفاد، فالألسن تلهج بذكر المجاهد أو الشهيد على أنه من الأعلام، ذوي الأيادي العظام، والمنن الجسام، بل تعبت بسيرته الأقلام، ولم لا وقد حرس الدينَ والأرضَ والناس نيام؟!!

ليس في موطني الكبيرِ عظيمٌ ... يستحقُّ الثناءَ غيـــرُ الشهيـد

أو إمامٍ يقودنـا لجهـــادٍ فـي ... رحاب الأقصى لدحر اليهود

ولك أخـــي القارئ في شعب فلسطيـــن أنموذجـًا حيـًا، فلما رفع أبنـاؤه راية الجهاد أكسبهم الله في العالميـــن ذكرًا حسنًا، وإذا كان اليهود قد قتلوا منه الآلاف، فإن سنة الله التي قررت أن الحياة في الجهاد، والميلاد في الاستشهاد، قد نقلت عدد مجاهدي غزة من بضع عشرات قبل عدة سنوات لِيَضْحَى عددهم مقدرًا بعشرات الآلاف، فما كانت سنة الله لتكذب قط، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٢] ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧]

يـــا شهيـــدًا رفـع اللـه بـه ... جبهةَ الحقِّ على طول المـــدى

سوف تبقى في الحنايا عَلَمـــًا ... حاديًا للركب رمـزًا للفـدى

عاشرًا: البيان الختامي

أخي..

امتشق حسامك، وَأَعْلُ صهوة جوادك؛ لِتَمْسَحَ العارَ عن أُمَّتِكَ، فَقَدْ طال رُقادنا، وَاسْتَنْسَر البُغاث[1] في أرضنا، فَمنْذُ وُلدتَ وأنت تفخر بِالإسلام، فيا ترى متى سيفخر الإسلام بك؟!

(١) البغاث طائر أبغث اللون صغير الحجم، ضعيف الطيران، والمقصود أنه ضعيف يزعم القوة.
انظر: المعجم الوسيط مادة {نسر} (٢/ ٩١٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

طال المنـــام على الهوان فأين زمجـرةُ الأســـود
واستنسرت فئة البغاث ونحن فـــي ذل العبيـد
ذل العبيد من الخنـــوع وليس من زرد الحديـد
فمتى نثـــور على المذلة متى نثور على القيود[1]

أخي..

أيرضيك أن تلقى الله وثُلمةٌ جَاثمةٌ في بُنيان إيمانك؟! فَدِينُنَا شعبٌ ومراتب، ولا تنوب شعبة عن أُخْتِهَا، فقم صادحًا في أسماع الدنيا، تسمعهم نجواك مع ربك..

خذ يا إلهي من روحـــي ومن بدنـي خذ يا إلهي من جرحي ومن شَجَني
خذ من حياتي ما يرضيك مرخصـــةً ففي رضـــاك إلهـــي أعظـم المنـن
إن العقيـــدة أغلـى مـن جماجمنـا وكـل أمـــرٍ نفيـــسٍ دونهـا يَهُـنِ

(١) عبد الله عزام/ الوصية ص (٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مَن أَرْضَى اللهَ بِسَخَطِ النَّاسِ
ارْتَضَاهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاس

أولاً: بطاقة تعريف

من أَرضَى الله بِسَخطِ الناس، رَضِيَ اللهُ عنه، وأَرضَى عنهُ الساخطينَ عليهِ، فَعَادَ ذَامُّهُ منهم لَهُ حَامِدًا، راضيًا مُسَاندًا، ومن أَرضى الناس بِسَخَطِ الله تعالَى، سخط الله عليه، وأَسخطَ عليهِ مُحِبِّيه، الرَّاغِبين فيه، بل عَادَ حَامِدُه مِنهم يَذُمُّهُ بِمَا فيه، ويَكشفُ عَن مَسَاويه!!!

ثانيًا: نصوص الوحي تناديك

* أرضيتنا فكفيناك:

قال تعالى:

﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٥]

رسالة الآيات:

قَدِمَ أئمة الكفر إلى النبي ﷺ يَفتِنُونَهُ عمَّا أوحاه الله إليهِ تنزيلاً، فجعلوا القبيحَ جميلاً، وقالوا أنت سيدنا؛ بل نرتضيك صاحبًا وخليلاً، فَثَبَّتَهُ ربُّه، وقد كاد يركن إليهم شيئًا قليلاً، ولو فعل لأذاقه الله ضعف عذاب الحياة، وَضِعْفَ عذاب المات، ولن تجد له نصيرًا!!

فلما فشلت هذه المحاولة؛ بدأوا في إيذائه وسبه، وتعذيب صحبه، وجاء خمسةٌ منهم يسخرون ويستهزئون: **الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وأبو زمعة، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن الطلاطلة**، فجاء الفرج الإلهي ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٥]، فكان الخمسة يوم بدر من المهلَكين[١]!!!

فَسُبحَان رَبِّي!! لما أسخط النبي ﷺ قرابته، وَثَبَتَ على عقيدته؛ إرضاءً لِرَبِّه؛ رضي الله عنه، وأرضى عنه عدوه وصاحبه!!

فينبغي للعَبدِ أن يفخر بِعَقِيدَتِهِ وَلَو سَخِطَ النَّاسُ أجمعين، فَإِنَّهم يعودون بَعدَ ذَمِّهِم راضين حامدين!!

وقد أعجبت بصنيع داعية مع سلطان دمشق «أَتَابِكَ طُغْتِكِينَ»..

فَإِنَّ السلطان طلب له واعظًا محتسبًا، فذكروا له رجلاً من أهل العلم، فلما أُحضِرَ قال له: إني وليتك أمر الحسبة على الناس، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، فقال:

بك سَأَبْدأ!! قم عن هذه السجادة، وارفع هذه الوسادة؛ فإنهما من حريرٍ، واخلع هذا الخاتم؛ فإنه من ذهبٍ، وقد قال النبي ﷺ فيهما: «**إنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي، حِلٌّ لِإِنَاثِهَا**» فما كان من السلطان إلا أن نهض عن سجادته، وأمر برفع وسادته، وخلع الخاتم من أصبعه، وقال: قد ضممتُ إليك قيادة الشرطة، فما رأى الناس محتسبًا أَهْيَبَ منه!!

ولله دَرُّ **ابن تيمية** قائلاً:

وهذا من أعظم الفقه في الدين؛ فإنه الله يتولى من سعى في رضاه، وهو كافٍ عبده، ومن يتقِ الله يجعلْ له مخرجًا، ويرزقْه من حيث لا يحتسب، بل ويكفيه مؤنة الناس بلا شك أو ريب!!

وفي هذا درسٌ لكلِّ داعية!!

فإن الفخور بدينه، المعتز بإسلامه، لا يخشى الناس في ربه، وإنما يخشى ربَّه في الناس ولو سخطوا، ولذا؛ كانت الدعوة صنعةٌ لا يتقنها إلا صادق، أما الساعي في رضا الناس

(١) الملا علي القاري/ مرقاة المفاتيح (٨/ ٨٥٥).

فَكَاذب، وسعيه خائب!!

وقد قرأت يومًا أن لجنة الشئون الدينية بإِحدَى الدول العربية حاولت استصدار قرار يمنع دور السينما من بثِّ أفلامِ الرَّذِيلة، ورصدت جريدة الأخبار هذا الخبر وأَثْبَتَتْهُ، فاستنكر القَيِّمُ على الأخبار هذا القرار، ويبدو أن استنكاره كان مصوبًا لرئيس لجنة الشئون الدينية، وهو يحمل درجة الدكتوراة، فما إن سمع صاحبنا بالنكير حتى هرع ينفي التهمة عن نفسه، وعن لَجْنَتِه، وأمسك قلمه وكتب:

عزيزي مُحَرِّر صفحة الأخبار!! بخصوص مقالتك الخاصة بإلغاء مهرجانات السينما، إن الأمر لم يَتَعَدَّ رأيًا من الضيوف الذين يحضرون اجتماعات اللجنة، ولم يَحْظَ بِتَأييدِ أيٍّ من الأعضاء، وبالتالي لم يَصْدُر به قرار!!!

ثالثًا: من غيث الرسالة

أخرج ابن حبان في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاس، وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاس**»(١)!!

وقد كتبت عائشة رضي الله عنها إلى معاوية رضي الله عنه: سلام عليك؛ أما بعد: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ**»(٢)!!

وفي رواية: «**وَمَن أَرضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ عَادَ حَامِدُهُ مِنَ النَّاسِ لَهُ ذَامًا**»!!

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، وصححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب برقم: (٢٢٥٠).

(٢) سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٤١٤)، ص (٥٤٤)، وقال الألباني: صحيح.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رسالة الحديث بمجموع رواياته وطرقه:

إنَّ من طلب بِعَمَلِهِ إرضاء الله ولو سَخِطَ الناس، كَأن يُنْكِرَ على مديره أمرًا فيه مأثمة، عالمًا بحلول سخطه عليه وغياب المحمدة، فإنه يحصل على مصلحتين: رضى الله تعالى ورضى الناس، فيعود ذامُّهُ من الناس حامدًا!!!

أما من سعى في رضا الناس ولو غَضِبَ الله، كأن يمدح آخر طمعًا في دنياه، ونيل رضاه، ويتغافل عن تبصيره بعيوبه فرارًا من سيوف سخطه وعِدَاه، فإن مضرتين تنتظرانه: سَخَطُ الله عَزَّوَجَلَّ وسَخَطُ الناس، ويعود حامده من الناس ذامًا، فثبت عند العُقَلاءِ أن جماع الخير كلِّه في إرضاء الله ولو سخط العبد، وأن جماع الشر كلِّه في إرضاء الناس بما يُسخِط الرب[1]!!

وهاك أنموذجًا عمليًا:

يُذكر أن طفلةً صغيرة عادت من المدرسة وسحابةُ كَآبَةٍ بادية على مُحَيَّاهَا، فسألتها أمها عن السبب، فقالت: إن معلمتي هددتني بالضرب إن أتيت المدرسة ثانية وأنا بهذه الثياب الطويلة!!

قالت الأم: لكنها يا ابنتي الملابس التي أمرك الله بها، فَكَانَ الرد: لكن المعلمة تنهاني عنها!!!

قالت الأم: الله يأمر والمعلمة تنهى فَلِمَن الطاعة إذًا؟!! أتطيعين الذي خَلَقَكِ وصوَّرَكِ وأَنعَمَ عليكِ، أم مَخلُوقًا لا يملك ضرًا ولا نفعًا؟!! فقالت الطفلةُ بفطرتها السليمة: بل أُطِيعُ ربِّي، وليكن ما يكون!!

وذهبت الطفلة في اليوم التالي للمدرسة، فلما رأتها المعلمة انفجرت غاضبة، كأنها تطلق النار، وراحت تُؤَنِّبُ الفتاة التي تتحدى إرادتها، ولا تخاف من وعيدها، فلما زادت في

(١) الفوزان/ الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد ص (٥٩).

التأنيب انفجرت الطفلة في بكاءٍ أَذهلَ المعلمة، وخرجت قذيفةُ حقٍّ منها، وكلمة صدقٍ قالت فيها: واللهِ لا أَدْرِي مَن أُطِيع.. أَنْتِ أَم هُو؟!!!

قالت المعلمة: ومن هو؟

قالت: الله!! من خلقني وخلقك، وصورني وصورك، أأطيعك وألبس ما تريدين ويغضب، أم أطيعه وتغضبي أنت، والله لأطيعنَّه، وَلْيَكُن ما يكون!!!

إذا لم يكنْ إلا الأسنةُ مركبًا فما حيلة المضطرِّ إلا ركوبُها

دُهِشَت المعلمة وأصابها الذهول، أتتكلم مع طفلةٍ أم مع راشدةٍ؟!! وعادت فورًا راضيةً شاكرةً حامدةً، وقالت لتلميذتها: لا، بل أطيعيه هو!! وراحت تستدعي أمها لتقول لها في فاتحة لقائها:

لقد جعلت نفسي ندًا لله، حتى عَرَّفَتْنِي ابنتُكِ مَن أَنَا، وعظتني بكلام يطرقُ سَمعِي أول مرة، وكانت توبتي على يدها، فَجَزَاكَ الله من أمٍّ مُرَبِّيَةٍ خَيرًا!!!

فلما سعت ترضي ربها، أكسبها الله رضاه، وَعَادت المعلمةُ السَّاخطةُ الذَّامَّةُ؛ راضية حامدة؛ وهذه سنة الله في عباده، ولكن أكثر الناس لا يفقهون!!

رابعًا: مآثر الأيام

١ـ أراد الحسن فيما قال وجه الله:

استدعى **عمرُ بن هبيرة** والي العراق **الحسنَ البصري والإمام الشعبي** ليسألهما عما يبعثه إليه الخليفة من أوامرَ فيها ظُلم للرعيَّةِ، أَيُنْفِذُهَا أم لا؟ فسأل عمر الشعبي أولاً، فأجاب بما يرضي الوالي والخليفة، **والحسن البصري** ساكت، ثم انتقل الوالي بِالسُّؤَالِ إلى الحسن وقال: وما تقول أنت يا أبا سعيد؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقرع **الحسن** سمع الوالي بنار وعظه، بلا مداراة ولا مجاراة، وانطلق يقول:

«يا **ابن هبيرة** خَفِ اللهَ في يزيد، ولا تخفْ يزيد في الله، واعلم أن الله عَزَّوَجَلَّ يمنعك من يزيد، وأن يزيد لا يمنعك من الله!!

يا **ابن هبيرة** إنه يُوشِكُ أن يَنْزِلَ بك مَلَكٌ غليظٌ شديدٌ لا يعصي الله ما أمره؛ فيزيلك عن سريرك هذا، وينقلك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، حيث لا تجد هناك يزيد، وإنما تجد عملك!!

يا **ابن هبيرة** إنك إنْ تَكُ مع الله تعالى، وفي طاعته، يَكْفِكَ بائقة يزيد في الدنيا والآخرة، وإن تَكُ مع يزيد في معصيته؛ فإن الله يكلك إلى يزيد!!

واعلم يا **ابن هبيرة** أنه لا طاعة لمخلوق كائنًا من كان في معصية الخالق عَزَّوَجَلَّ!!

فبكى **عمر بن هبيرة** حتى بَلَّلَتْ دموعُهُ لحيته، وأكرم **الحسن البصري** إكرامًا شديدًا، ولم يلتفت إلى الشعبي، فلما خرج **الحسنُ والشعبيُّ**، وذهبا للمسجد، واجتمع الناس ليعرفوا خبرهما؛ التفت **الشعبي** للناس وقد تَعَلَّمَ الدرس جيدًا، فقال:

يا أيها الناس من استطاع منكم أن يُؤثِرَ الله عَزَّوَجَلَّ على خلقه في كل مقام فَلْيَفْعَل، فو الذي نفسي بيده ما قال الحسن لابن هبيرة قولاً لا أجهله، ولكِنِّي أَردتُّ فيمَا قلتُ وجهَ ابن هبيرة، وأراد الحَسَنُ فِيمَا قَال وَجهَ الله!!!

٢ـ أرجو منك المعذرة:

قُدِّمَ بديع الزمان **سعيد النورسي** العالم التركي المجاهد [ت.١٩٦٠م] إلى المحكمة الحربية بتهمة إهانة القيصر الروسي، وبعد تلاوة لائحة الاتهام، حكموا عليه بالإعدام.. هذا هو المُوجَز، وإليكَ التفصيل:

كان القائد العام للجبهة الروسية القيصر «نيكولافيج» في زيارة لمعسكر الأسرى، فلما دخل امتثل الأسرى قيامًا إلا **سعيد النورسي**، فلاحظ القيصر عدم قيامه، فرجع ومَرَّ ثانيةً

أمامه، فبقي جالسًا إظهارًا لإسلامه، فَدَارَ حوارٌ بينهما من خلال وسيطٍ يترجم لهما:

القائد: يبدو أنك لا تعرفني!!

النورسيّ: أعرفك تمامًا.. ألست القائد العام القيصر نيكولافيج؟!!

القائد: إذن فلِمَ تستهين بي؟

النورسيّ: كلا، إنني لم أستهن بأحد، لكنها عقيدتي التي تأمرني بما رأيت مني!!!

القائد: وماذا تأمرك عقيدتك؟

النورسيّ: إنني عَالِمٌ مسلم، أحمل في قلبي إيمانًا، والذي يحمل في قلبه إيمانًا أفضل ممن لا إيمان له، ولو أنني قمت لك لكنت قليل الاحترام لعقيدتي ومقدساتي، فكان الذي رأيت!!

القائد: هذه إهانةٌ لي، وإهانةٌ لِجَيشِي وَأُمَّتِي، أَتُطْلِق عليَّ صفة عدم الإيمان!! في انتظارك محكمة عسكرية تنظر في أمرك!

وشُكِّلَت المحكمةُ، وكُتِبَت لائحة الاتهام، وفيها: إهانة القيصر والأمة الروسية والجيش الروسي، وساد الحزن في معسكر الأسرى، وأقبل إليه الضُّباط الأسرى من الأتراك والألمان والنمساويين يُلِحُّونَ عليه تقديم اعتذار للقائد الروسي؛ علَّه يعفو عنه، فأبى النورسي، وقال في ثبات وسعادة:

رغبتي في الرحيل إلى الآخرة يا إخواني؛ لأسعد بالمثول بين يدي رسول الله ﷺ، وجواز السفر المطلوب هو الإعدام، أما أن أخالف عقيدتي فَلَا وَأَلْفُ لَا!!

فَتَقَدَّمَ للمحكمة بِثَباتٍ، وقرع إعلان حكم الإعدام قلوب مُحِبِّيهِ جميعًا، وأقبلت ثلة من الجنود تحمله لِسَاحَةِ الإعدام، وبين يدي التنفيذ قام **النورسي** مبتهجًا، واستأذن القائد في أداء واجبه الأخير: وضوءٍ وصلاةِ ركعتين!!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فما إن فرغ من صلاته وإذا بالقائد العام يتقدم إليه قائلاً:

أرجو منك المعذرة!! ظننتك تَقصِدُ إهانتي، لكن الثقةَ الآن تملأ قلبي أنك ما فعلت ذلك إلا إنفاذًا لأمر عقيدتك وإيمانك، لذا؛ فقد أبطلت قرار المحكمة، وإني أهنئك على صلابتك في عقيدتك، وأعتذر منك مرة أخرى[1]!!!

يا الله!!

لو تكلم منطق البشر لقال: إن **النورسي** أسخط القائد العام، ولا مناص عن إنفاذ الإعدام، لكن سنة رب البشر حكمت بنجاته، ورضا القائد عليه، بل تقدم معتذرًا إليه!!! فصدق حبيبي ﷺ لما قال:

«مَنْ الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاس»[2]!!!

٣ـ دكتور المستقبل:

أفادنا بخبره الدكتور **عبد الله مبارك** الخاطر فقال:

عرفته في بريطانيا شابًا طموحًا، جُلُّ هَمِّهِ الحصول على شهادة الدكتوراة، ثم يعود إلى بلده؛ ليتبوأ إمامة وزارة، أو إدارة جامعة!!

وكان دومًا يحدثنا عن ثقته بنفسه، وأسلوبه الجاذب في استمالة ذوي المناصب إليه، فقد أقنع هذا المسئول بِوِجهَةِ نَظَرِه، وذاك المدير بِصَوَابِيَّةِ رأيه، حتى أقام معه أعقد العلاقات وأمتنها!

وبنفس المنهج تَقَرَّبَ لِمُشرِفِهِ في الدكتوراة، وراح يسترضيه بِمُختَلَفِ الوسائل، وأنه غادر سيرته الدينية الأولى، فما عاد رجعيًا ولا متدينًا، بل إنه فخورٌ بالانكليز، مُعجَبٌ بِتَقدمِهِم العلمي!!

---

(١) قصة بديع الزمان النورسي لعلي الطنطاوي.

(٢) صحيح: تقدم تخريجه في محور: من غيث الرسالة.

فأراد المشرف التَثَبُّتَ من مصداقية تلميذه، فدعاه لِوَكْرٍ من أوكار الخمور، فسارع دكتورُ المستقبل في تلبية الدعوة؛ علَّه يختصر وقت إنجاز الرسالة، وقُدِّمَ الخمرُ وشرب حتى الثمالة، فلم يعد قادرًا على ضبط أقواله وأفعاله، أما المشرف فكان يشرب قليلاً، ويتمتع برؤية تلميذه الذي يشرب لأول مرة!!

فسأله عن رأيه في الانكليز فَرَاحَ دكتورُ المستقبل يلصق بهم أبشع الصفات، وأخسَّ الكلمات، والمشرف يبتسم له، ويخفي في نفسه ما لا يبديه، ومضت الأيام، وكلما أنجز التلميذ فصلاً أَخَّرَهُ المشرف لِفَتْرَةٍ طويلةٍ، بِحُجَّةِ حذف بعض الأمور، وإضافة أخرى، ثم إن اللغة ركيكة ولابد من إعادة الصياغة، وكان المشرف يُغَلِّفُ حقده بقوله: أريدك دكتورًا ناجحًا، فلا تبتئس بِطُولِ المدة التي تمكثها بيننا، فجامعتنا لا يتخرج منها إلا الأفذاذ من الرجال!!!

وأخيرًا بقي الطالب ضِعفَي المُدَّةِ المحددة، وذاق الويلات، وشكَّ في قدراته ومواهبه، فَلَمَّا نال الشهادة راح بين يدي عودته لأهله يحدث مشرفه بِإِعجابه بالانكليز، وتقديره لكل ما رآه عندهم، فقال المشرف بخبث ودهاء:

إن حقيقة رأيك سمعته منك في الخمارة قبل سنواتٍ ثلاثة!!

فَتَلَعْثَمَ الدكتور الجديد، وحاول الاعتذار، وإقناعه بغير ما سمع، ولكن هيهات!! فأدرك رجل المستقبل لم ضوعفت مدة الدراسة، إلا أنه لم يُدرك مِنَ اليومِ الأول أن من طلب رضا الناس بسخط الله، سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس، وليت أمثاله يتعظون[1]!!

(١) مجلة البيان (٣/ ٩٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خامسًا: ذخيرة الأسرار

١ـ الجزاء من جنس العمل:

إن الله تعالى أمر العبد أن يبلغ رسالة ربه، وهو يقدر على هذا، إلا أنه يَعْجَزُ عن قذفِ محبته في قلوب الناس؛ ذلك أنه يأمرهم وينهاهم، وهم لا يحبون إلا من يوافقهم أو يسكت عنهم، فَكَأَنَّ الجزاء: لَمَّا قُمتَ بِأَمْرِنَا الذي تَقْدِرُ عليه، كَفَينَاكَ مَا لَمْ تَقدر عليه، وَكَتَبْنَا لك القبول وَلَوْ بَعدَ حِينٍ!!!

وقد تيقظ **ابن القيم** لهذا المأخذ فراح يؤصل لمنشأِ غضبهم على من أمرهم أو نهاهم فقال:

الإنسان مدنيٌّ بِالطَّبعِ، ولابد أن يعيش مع الناس، وَللنَّاسِ أعمالٌ يطلبون منه أن يوافقهم عليها، وإلا عذَّبوه، كَتَقِيٍّ حَلَّ بين قومٍ فجار، ولا يتمكنون من فجورهم إلا بموافقته لهم، أو سكوته عنهم، فإن فعل سَلِمَ من شرهم، ثم يتسلطون عليه أضعاف ما كان يخشاه ابتداءً، فالحزم كل الحزم بما قالته عائشة رضي الله عنها لمعاوية رضي الله عنه: «**مَنْ أَرْضَى اللّه بِسَخَطِ النَّاسِ، كَفَاهُ اللّه مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللّه لم يُغْنُوا عَنْهُ مِنَ اللّه شَيْئَاً**»[(١)]!!!

وفي جلسة هادئة تكلم **ابن القيم** بمنهج الإقناع لكل خليفة لله في أرضه فقال:

فمن كان ظهيرًا للظلمة فِرَارًا من أَلَمِ أَذاهُم، أصابه من الألم عاجلاً وآجلاً أضعاف ما فَرَّ منه، أما إن صبر أعقبه الله بِلَذَّةٍ عاجلةٍ وآجلة تزيد عن لذة الموافقة بأضعاف مضاعفة، بل يُذِلُّهُم له، ويرفعه عليهم، وإن كان لابد من الألم فليكن في مرضاة الله؛ فإنه أولى[(٢)]!!

---

(١) ابن القيم/ زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ١٤).

(٢) ابن القيم/ شفاء العليل ص (٢٤٥).

وقديمًا قالوا: إن مصانعة وجه واحد أيسر عليك من مصانعة وجوه كثيرة، فإنك إذا صانعت ذلك الوجه الواحد كفاك الوجوه كلها!!

٢ـ والله ورسوله أحق أن يرضوه:

أمرنا الله تعالى أن نتحرى خشيته ورضاه، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤]، أما الخوف من البشر فَلا يجوز، خاصةً إنْ تَضَمَّنَ اقتراف معصيةٍ، أو تركَ وَاجِبٍ[١]!!

وفي تحقيقٍ مُرَصَّعٍ بالذهب أطلَّ علينا كاشفُ الأسرار **ابن القيم** من جديد، وراح يقول:

إن الله لا غالبَ له، فَإِن كَانَ مع العبد فَمِمَّن يخاف العبد، فإن قام لله نصره الله ولو كادته السماوات والأرض والجبال، أما إن قام في باطلٍ فلا يُنْصَر، وإن نُصِرَ كان نَصرًا عَارِضًا، وبقي مذمومًا مخذولاً!!

أمَّا إن قام لِغَرضٍ دنيوي، أو بقصد المحمدة؛ فلا تُضْمَنُ له النصرة، وكذا إن قام مستعينًا بِقُوَّتِه لا بالله، فهذا له من الخذلان بِحَسَبِ مَا عنده، أمَّا من جَرَّدَ التوحيد، وَكان قَصْدُهُ إعلاء كلمة الله، فهذا مؤيدٌ مَنصورٌ، ولو تَوالت عليه زُمَرُ الأعداءِ[٢]!!

أما من آثر رضا الناس فكان موضع عجب **ابن رجب الحنبلي**، الذي أعلن عن عجبه بقوله:

فإذا تحقق أن كُلَّ مَخْلُوقٍ فوق الترابِ ترابُ، فَكَيْفَ يقدم طاعة من هو تراب على طاعة

---

(١) الخوف أقسام ثلاثة:

الأول: الخوف من الله: وهو أعظمها وأوجبها.

الثاني: الخوف من المخلوق: وهذا إن كان في سلوكيات البشر كخوف الإنسان من قطاع الطرق، واللصوص فإنه جائز، أما إن حمل صاحبَه على فعل معصية أو ترك واجب، فإنه يأثم، وإذا خافه معتقدًا نفعه ومضرته، فهذا مشرك شركًا أصغر.

الثالث: الخوف الطبيعي: كالخوف من العقارب والحيوانات المفترسة، فهذا لا محذور فيه، وهو مما جُبِل عليه الإنسان.

راجع: التعليقات البازية على كتاب التوحيد (١/ ٥٢).

(٢) ابن القيم/ إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ١٧٩).

www.alukah.net

رب الأرباب؟! أم كيف يرضي التراب بِسَخَطِ الوَهَّاب؟! إن هذا حقًا لشيءٌ عجاب؛ ومعلومٌ أن المصيبة في الأديان أعظم منها في الأموال والأبدان!!!

سادسًا: بشائر العافية

١ـ الصدح بالحق ولو سخط الخلق:

من المفردات البدهيَّة في قاموس الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أن الصادح بالحق مُتَصَدٍ لمعاداة الخلق، ولهذا ألفيت **ابن القيم** يُهَدِّئُ من روعك، ويرغبك بقوله:

معلومٌ أن من آثر رضا الله عليه فَلابد أن يعاديه رذالة الناس، وإلا فَمَا ذنبُ الرسل والآمرين بالقسط من الناس؟! ولذلك لا يتصدى لهذه الأجر إلا طَالِبُ الرجوع لِرَبِّه، بِنَفْسٍ مُطمئنةٍ، رَاضِيَةٍ مَرضية، بل يَنعُمُ بإسلامٍ صَلْبٍ لا تزعزعه الرجال، ولا تُقْلِقُهُ الجبال، ولا تَهُزُّهُ المِحَنُ والأهوال(١).

وقد علم **أويسُ القرنيُّ** بِهَذِه المفردة سلفًا، بل رآها عيانًا، فاجتمع له العلم والمشاهدة، بَانَ ذلك لما جاءه رجلٌ من قبيلة مراد يسأله عن أحواله، فكانت إجابته:

يا أخي.. إنَّ عرفَانَ المُؤمِن بِحُقُوقِ الله لَمْ تبْق لَنَا فِضَّةً وَلا ذَهَبًا!!

يا أخي.. إن قيام المؤمن بِأَمرِ الله لَمْ يُبقِ لَنَا صَدِيقًا وَلا مُحِبًّا!!

والله يا أخي إنا لنأمرهم بالمعروف، وننهاهم عن المنكر، فيتخذوننا أعداءً، بل ويقذفوننا في أعراضنا بالعَظَائِم، وَوَاللهِ لا يمنعني ذلك أن أقول الحق(٢)!!!

فكن يا أخي في أمر الله كَأَنَّكَ قتلت الناس جميعًا، ووالله إنه ليأتي على الناس زمانٌ؛ لأن

(١) ابن القيم/ مدارج السالكين (٢/ ٣٠٢).

(٢) الإمام الحاكم/ المستدرك على الصحيحين (٣/ ٤٠٦) بتصرف يسير.

تكون فيهم جيفةُ حِمَارٍ أحب إليهم من رجلٍ يأمرهم بِالمَعرُوفِ، وَينهاهم عن المنكر!!!

وإن عجبت أخي القارئ من كلام أويس، فأطلب رأيك في كلام **سفيان الثوري**:

إذا رأيتَ الرجل يُثْنِي عليه جميعُ جيرانه فاعلم أنه مُداهنٌ، وإنه لَرَجُلُ سوء؛ ذلك أنه لو كان آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر ما رَضِيَ عنه أحدٌ منهم، وربما رآهم يعصون فَيَلْقَاهُم بِبِشْرٍ ولا ينكر عليهم فَيُحِبُّوه[١]!!!

لكنها سنة عجيبة، إي وربي، فإن الله رضي عن أويس، وأرضى عنه الخلق، ويكفي أنا نذكره الآن، فضلاً عن التزكية النبوية أنه خيرُ رَجُلٍ في التابعين، وما كانت سنة الله لِتَكْذِبَ قط!!

٢ـ غض الطرف عن رضا الناس فإنه غاية لا تدرك:

من سعى يرضي الناس جميعًا فَإِنَّهُ مجنُونٌ بِشَهادةِ أطباءِ الألباب الإيمانية!!

فكيف يكون ذلك وعلمهم متباين، وتفكيرهم مختلف، وعقولهم مراتب، وأفهامهم منازل، فأخبرني بالله عليك: من ترضي إذن؟!

لهذا ندرك علائم البصيرة الدعوية عند **الشافعي** لما قرر قاعدة تُحفَظ:

رِضَا الله غَايةٌ لا تُتْرَك، وَرِضَا النَّاس غايةٌ لا تُدرك!!

فَعليكَ بِمَا فيه صَلاح نفسك فَالزَمْه[٢]!!

فلو ظللت عازبًا لجاءك الناصحون: استدن وتزوج، وخيرُ الله كثير!! فإن استجاب لهم وتزوج فتاة دَيْنًا قالوا: لعله وجد كنزًا فَأَدرِكُوه!! فإن كان الدَّيْنُ من أحدهم قال: يا أخي لو صبرت لكان أولى لك من الدَّين، ثم عليك بالصوم؛ فإنه وصية المختار، وفلاح الأبرار!!!

---

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٧٨).

(٢) ابن القيم/ مدارج السالكين (٢/ ٣٠١)، الشطر الأول من الجملة ليس من كلام الشافعي، وإنما ذكرته لإتمام الفائدة، فتنبه!

www.alukah.net

وقد حدثتنا كُتُبُ المدارس عن حال الرجل وولده وحمارهما، ركباه ومَشِيَا، فقال قوم: إنهما لَفُجَّار، طاقة الحمار أدنى من ذلك!! فأنزل الرجل ولده، ومشيا، فقال قوم: أُفٍّ لهذا وشفَقَتِهِ، يركب ويترك ولده الصغير ماشيًا!! فنزل وَأَرْكَبَ ولده، فقال قومٌ: إنه لولدٌ عاق، يركب وأبوه شيخ كبير ويمشي!! فنزل وولده ومشيا، فقال قوم: إنهما لحمقاوان، سَخَّرَ اللهُ لهم دابةً فتركوها وراحوا يمشون! فلم يبق إلا أن يحملا الحمار على عاتقهما!!!

فثبت عند أولي العقول والألباب ألَّا مناص من معاداةِ الخلق، فينبغي للمسلم أن يلتزم بما أمره الله به، فإن فعل طَوَّعَ اللهُ له الناس راضين عنه في خواتيم الجولات، ورحم الله من فقه عن الله آياته وسننه!!!

سابعًا: مراقي الصعود

١ـ استشعر عظمة الإله:

إنَّ من عَظُمَ حُبُّ الله في قلبه، كان لعظمة الله سبيلاً إلى لُبِّهِ، فإذا عاين العبد أثرها تَقَوَّى بربه، وكيف لا والله سخر له السماوات والأرض والبر والبحر، ثم إنه ينتمي لنبي نُصِرَ بالرعب مسيرة شهر!! ومن صحابته من إن سلك فجًا هرب الشيطان لفجٍ غيره، ومن كان هذه حاله انطلق لسانه آمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر، وفي عقيدته: إن ذلك لا يقرب أجلاً، ولا يؤخر رزقًا أبدًا!!

ولك في **العِز بن عبد السلام** أسوة حسنة، فقد ذكر **السبكي** في طبقاته أنه مَرَّ يوم عيد بموكب السلطان نجم الدين أيوب، وشاهد الجند تحتشد بين يديه، فناداه والجموع من حوله:

يا أيوب!! ما حجتك عند الله إذا قال لك: ألم أُبَوِّئْ لك ملك مصر، ثم تبيح الخمور؟!

فقال: هل جرى هذا؟ فقال الشيخ: نعم، بالحانة الفلانية، فقال السلطان: يا شيخنا هذا من أيام أبي، فصعقه بقوله: أنت من الذين يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢]، فأمر السلطان بإقفالها على الفور، فَعِجَب الناسُ من صنيع **العز**، حتى قال له تلميذه: أما خِفْتَهُ يَا إِمَام؟! فقال:

«والله يَا بُنَي اسْتَحْضَرْتُ هَيْبَةَ الله تَعَالَى؛ فَصَارَ السُّلطَانُ أَمَامِي كَالقِط»[١]!!!

٢ـ الزهد في الحياة والثناء:

أَنَّ العبد يصدح بالحق إن غض طرفه عن أمرين: خَشْيَتَهُ على حياتِه، وَذم الناس له، وإلا عجز عن الإنكار، وتباطأ عن الإنذار، وهذا ما عناه **ابن القيم** بقوله:

«فما ضَعُفَ من ضَعُف، وتأخر من تأخر، إلا بِحُبِّهِ للحياة والبقاء، وثناء الناس عليه، ونفرته من ذمهم له»[٢]!!

والسعيد من ذَبَحَ بسكين الزهد حُبَّ الحياة والثناء من قلبه!!

وانظر إلى الخليفة **أبي جعفر المنصور** الذي قتل ثلاثين رجلاً من ذوي الهيئات، فضلاً عن قتل منافسيه وأعمامه، حتى قال الإمام **أحمد**: من يقول كلمةَ حَقٍّ عندَ هذَا الجَبَّار؟!

فَطِنَ الواعظُ **ابن السماك** لمقالة الإمام **أحمد** فدخل على **المنصور**، فألفاه جالسًا على كُرسِيِّ الخلافة، ورجال الدولة من حوله، وإذ بالذباب يقع على أنفه، وكلما طرده عاد في ازدياد، فشعر **المنصور** بِوَرْطَةٍ مَا لَهَا مِنْ بِعَاد، فَهَرَعَ يسأل **ابن السماك**: لماذا خلق الله الذباب؟!

فاغتنم الواعظ سؤاله، وجاد بحياته، وأجاب بجرأة نادرة في أقوى إجابة أثبتها التاريخ فقال: خَلَقَ اللهُ الذُّباب لِيُذِلَّ به أُنوف الطُّغَاة!!

فإنه ذباب لا يقع إلا على أنفِ طاغية!! فخجل **المنصور**، واحمر وجهه، ولم يُبْدِ جوابًا[٣]!!

---

(١) السبكي/ طبقات الشافعية (٨/ ٢١٢).

(٢) ابن القيم/ مدارج السالكين (٢/ ٣٠٢).

(٣) من دروس الشيخ عائض القرني.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣ـ التصدق بالأعراض شرط هام:

قابلت أحد الدعاة وإذا به غضبان أَسِفًا، فقلت ما شأنك؟ قال: أَدُلُّ الناسَ على طاعة الله ليلاً ونهارًا، وأحذرهم من معصيته سرًا وجهارًا، إلا إنهم يسلقونني بألسنةٍ حداد، فما العمل؟! فَمِمَّا قُلْتُهُ له: آن لي أن أصارحك أخي، من ظن أنه يسلم من طَعْنِ الناس فإنه مجنون حقًا، بل قال الشيخ **عائض القرني**: توقع أنك تهدي إنسانًا قلمًا فاخرًا، وأول ما يكتب به قصيدة يهجوك فيها!!!

ولست بنـــاجٍ من مقـــالـة طاعـنٍ ولو كنتَ في غـــارٍ على جبـــل وعر
ومَنْ ذا الذي ينجو من الناس سالماً ولو غاب عنهـم بين خافِيَتَـــي نسرِ

لذلك أهداك **ابن حزم** نصحًا مركبًا قال فيه:

الرَّاحَةُ فِي طَرحِ المُبالاةِ بِكَلامِ النَّاسِ، واستعمَال المبالاة بِكَلامِ رَبِّ النَّاس!!

مواجهة:

أخي الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر:

إن أَلْسُنَ السخط الآدمية إنما تحصل لِذَوِي النفوس الزكية، والعزائم القوية، الذين اصطفاهم الله من بين خلقه لحمل راية دعوته، أَفَيَلِيقُ بمن هذا شأنه عند الله أن ترتفع حرارته كلما سمع شاتمًا، أو نُقِلَ إليه مقالةُ لائمٍ أو راجِمٍ، ولذا فإن السلامة في التصدق بِعِرضِكَ، وقديمًا قالوا:

إذا طُعِنتَ مِنَ الخَلفِ؛ فاعلم أَنَّكَ فِي المُقدمة!!!

ومن أنفس ما جادت به قريحة **ابن القيم** قوله:

وإن الله عَزَّوَجَلَّ يُحِبُّ أن يكرم أولياءه بهذه الكمالات؛ ليثني بها عليهم هو وملائكته؛ لِيَصِلُوا

بها غاية الكرامة والسرور، فإنها وإن كانت مرة المبادئ؛ لكن لا أحلى من عواقبها[١]!!

ثامنًا: إشارة حمراء

١ـ إرضاء الناس إيثارًا للراحة:

من أرضى الناس طلبًا لِرَاحةِ البَال، وسكون الحال، فَبَشِّرْهُ بِسَخَطِ الله ثم الناس عليه، أما عن الراحة التي طلب، فإليه إجماعًا لا ريب فيه ولا كذب، نقله إبراهيم الحربي جاء فيه:

أجمعَ عقلاءُ كل أُمَّة: أَنَّ مَن آثر الرَّاحةَ فَاتتْهُ الرَّاحةُ!!

فَأيْنَ صَاحب اللَّذات مِن مقَام وَرَثَةِ الأَنْبِيَاء[٢]؟!!

فقه رسالة الإجماع المحقق الفقيه **ابن القيم**، فراح يقول:

إذا رُزِقَ المرء عقلاً نفاقيًا همه أن يرضي الناس على مختلف طبقاتهم؛ جَلْبًا لمحبتهم ووادهم، فإنه وإن كان أسلم له اليوم، لكنه يُمنَح الهلكة غدًا، فالعقلُ كلّ العقل ما أوصَل إلى رضا الله ﷻ ورسوله ﷺ[٣]!!

٢ـ السيئة الجارية:

قال ابن عقيل: لَو سكت أتباعُ الحَقِّ، ونطق أربابُ الباطل؛ لَتَعَوَّدَ النَّشْءُ على ما شاهدوا، وأنكروا ما لم يشاهدوا، فإذا أحيا الساعي في رضا الله سُنَّةً أنكرها عليه الناس وظنوها بدعة، ثم يرصد هذا كله في ميزان سيئات الساكتين من أول يوم!!!

ألم يكن ينبغي للمحقين أن يتكلموا وإن غضب المبطلون؟! ألم يقل

(١) ابن القيم/ شفاء العليل ص (٢٤٤).
(٢) حكاه ابن القيم في مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٢).
(٣) ابن القيم/ مفتاح دار السعادة (١/ ١١٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ربنا عَزَّوَجَلَّ: ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة: ٦٣]!!

تلا الآية **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقرر: ما في القرآن آية أشد توبيخًا منها!!

ثم تلاها **الضحاك** فَضَمَّ صوتَهُ لِصَوتِ **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال: ما في القرآن آية أقوى عندي منها[١]!!

ولعلك تدرك الآن سر غضب **ابن القيم** على من سكت عن إعلان الحق، فقال:

وأي دين لمن يرى محارم الله تُنتهك، وحدوده تُضَاع، ودينه يُترَك، وسنة الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرغَبُ عنها، ثم تجده بارد القلب، ساكت اللسان، إنَّهُ شيطانٌ أخرس، كما أن المتكلم بِبَاطلٍ شيطانٌ ناطقٌ!! وهل بَلِيَّةُ الدِّينِ إلا من هؤلاء الذين إذا سَلِمت مَآكِلُهُم ومناصِبُهم فلا مبالاة بما يجري للدين؟!! فإنهم مع سقوطهم من عين الحق، بُلوا بِمَوتِ القلب!! عياذًا بالله من هذا وهذا[٢]!!

فتوى:

هل يجوز إرضاء الناس في مقام الدعوة لكسب قلوبهم؟

أفاد الشيخ المنجد بالجواز إن لم يقدح بأصول الشريعة وكلياتها، وكان المراد كسبَ القلوب لله تعالى، لا لمصلحة الداعي قط!!

٣ـ بين رضا الله ورضا الأهل والأرحام:

حدثني من أثق بِدِينِهِ أن أهلَهُ أجبروه أن يفتتح ليلة زواجه بِمُنكراتٍ وآثام، وحدثني آخر أن أباه أَمَرهُ أن يَهجُرَ فُلانًا مع أن الحق يَنصُرُه، وثالثٌ يشاهدُ إخوتُهُ مشاهدَ الرذيلة والحرام، وإن نطق أيٌّ منهم بكلمة فإن قذائف السخط الآدمي تنصب عليه!! وأياديَ

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٤٤٩).
(٢) ابن القيم/ إعلام الموقعين (٢/ ١٧٧).

الأذى تصل إليه!!

وهنا يقف الأخ حائرًا.. أيرضي الخالق أم المخلوق؟!

والناس في ذلك قسمان:

(أ) فأما من آثر الآخرة على الأولى، وقدم رضا الرب على المربوب، فله أجلُّ بشرى من كاشف الكروب، وميسر الخطوب، ومقدر المكتوب، مفادها: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦]، وهذا من عناه ابن القيم بقوله:

فمن هداه الله وألهمه رشده، ووقاه شَرَّ نفسه؛ امتنع عن الموافقة على فعل الحرام، وصبر على عداوة الأنام، ثم إن العاقبة في الدارين للمتقين، كما كانت للأنبياء وصالحي المؤمنين[١]!!

(ب) وأما من تخاذل عزمه، وضعفت نفسه، وآثر رضا الناس على رضا ربه؛ فإنه عاصٍ عنيد، محروم من الجَوَلان في فضاء التوحيد، فكل نفس لا تنتصر على هواها فهي نفس مسجونة، يخشى موت صاحبها وهي مخذولة ملعونة، ثم إن سخط الله مُنصَبٌ عَليهَا، واحتقار الناس وَاصِلٌ إليهَا، وهذا وعدُ ربِّي غير مكذوب، رُفِعَت الأقلامُ وجَفَّتِ الصحف!!

نسائم الروح

اصدحْ بالحق، واجهرْ به بين الخلق، وما عليك إلا البلاغ، حتى وإنْ لم تكن النتائج الدعوية مُرضِيَة، فالدعاة في نهاية المطاف أُجَرَاء عند الله تعالى، أينما وحيثما وكيفما أراد منهم أن يعملوا، ولا عليهم أن تتجه الدعوة بعد ذلك إلى أي مصير، فَذَلِكَ شَأْنُ صَاحبِ الأمر لا شأن الأجير!!

---

(١) ابن القيم/ زاد المعاد (٣/ ١٦-١٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تاسعًا: سحائب المنن الإلهية

١ـ يرضي الله عنه:

أيُّ لُبٍّ يعقل هذا الشرف!! إنه ضمان إلهي لمن آثر رضا ربه بأن الله راضٍ عنه!!

إنه مرتقىً سنيُّ الرتبة، فَخِيمُ الشأن والذروة، إن لصاحبه شرفًا صاعدًا، ومجدًا باسقًا، وما أنفس ما أتحفنا به سيد قطب بقوله:

وَرِضَا الله أندى من كُلِّ نَعيم!! يغمر النفس بِأَمَانٍ وَيَقِين، إنه تعبير يلقي ظلاله بِذَاتِه، ويعجز أي تعبير عن محاكاته[١]!!

ومن كان هذه شأنه أكرمه الله بحياة طيبة، ونِعَمٍ صَيِّبَةٍ، وجعل مخاوفه أمنًا، وتعبه راحة، وبليته عافية، ومحنته منحة، وسخطه رضا، فضلاً عن رفعة الدرجات، ومضاعفة الحسنات، وتكفير السيئات، وكذا ما يفتح الله له من أبواب رحمته، وحلاوة طاعته، ولذة مناجاته، ما هو خير وأبقى من ذلك المتاع الذي فاته بهذا البلاء، فيا خيبة المتخلفين، ويا ذلة المتهيبين[٢]!!

وقد أجاد **أبو فراس** بقوله:

فليتك تحلو والحياةُ مريرةٌ ... وليتك ترضى والأنامُ غِضابُ

وليتَ الذي بيني وبينَك عامرٌ ... وبيني وبين العالمين خرابُ

إذا صحَّ منك الودُّ فالكل هَيِّنٌ ... وكلُّ الذي فوق الترابِ ترابُ

٢ـ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاس:

فَإِنَّ من أَرْضَى الحَقَّ بِسَخَطِ الخلق، حصل من الربِّ على القُرب، وَمِنَ النَّاسِ عَلَى

(١) في ظلال القرآن (٦/) ط دار الشروق.

(٢) ابن القيم/ مدارج السالكين (٢/ ٣٠٠).

الحُب[١]؛ ذلك أن أَنْفُسَ الخلائق كلِّها بيد الله، فإذا أحبَّ عبدًا أشاع في الأرض والسماء أمره، ألم تقرأ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]!!!

أرأيت **جعفرًا** وصحبه؟! ارتحلوا لأهل الحبشة؛ طلبًا لحرية العبادة، مع أنهم نصارى، كفار حيارى، ولما أرسلت قريش في طلبهم، وذكروا للملك اختلاف عقيدتهم، آثر جعفرُ رضي الله عنه رضا ربه، فأعلن عقيدته بلا مداهنةٍ وَلا مُوَارَبَةٍ، رغم أنه بينهم، والحاجة ماسة إليهم، فَكَانَت الثمرةُ العجيبة: رضي الله عنهم، وأرضى الخلق عليهم، بل أسلم النجاشي بفضل الله، ثم بفضلهم!!

وفي الاتجاه المعاكس:

فإن أختًا لحاكم دولةٍ مسلمةٍ تزوجت نصرانيًا، ولم تُبَالِ بِغَضَبِ الله عليها، واضطر أخوها أن يتبرأ منها؛ لئلا يُكَفِّرَهُ فقهاءُ الأزهر، أما هِيَ فَسَافرت ومعها زوجُهَا بثروتها لأمريكا، وأَنْفَقَتهَا بجلساتِ الموائد المحرمة، فلما نَفِدَت عملت الأميرةُ السابقة خادمة في بيتٍ أمريكي؛ لِتَجِدَ ما تأكله، وفي حادثة غضبٍ مع زوجها، أطلق من مسدسه رصاصاتٍ استقرتْ في قلبها، وماتت على كفرها، فَسَخَطُ الشريعة عليها قائم، واحتقار الخَلْق لها دائم، وما كذبت سنة الله قط[٢]!!

٣ـ حفظه الله وآواه:

أجمع العُبَّاد على أن من آثر رضا ربه على خلقه، أن الله يرعاه ويعينه، ويصنَعُهُ على عينه، ولن يصل مُوَحِّدٌ إلى الله بغير هذا، ولهذا جادت قريحة عَابد بجوهرة نفيسة، فأقسم قائلاً:

والله لَنْ يَصِلَ أَحَدٌ إِلَى الدُّنْيَا إلا بِاللهِ

(١) فكرة المقولة مستفادة من مقامات القرني/ المقامة البازية ص (٨٨).
(٢) عبد الله عزام/ نظرات في سورة التوبة ص (٢١٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَكَيْفَ يَصِلُ أَحَدٌ إِلَى اللَّـهِ بِغَيْـرِ اللَّـه؟!!

أما من طغى، وآثر الحياة الدنيا، فأهديه هذا الحديث لعله يتذكر أو يخشى، وهاكه:

أخرج الترمذي في سننه من حديث **عائشةَ** رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ**»[1]!!

ولا يرتاب أولو الألباب أن من وكله الله للناس، عاش معيشةً ضنكًا، وكان من الهَلْكَى، وَمَسَّهُ الخذلان، بل تَجَرَّأَ عليه كلُّ إنسان، ثم ينقلب أصدقاؤه أعداءً، ومحبوه أَلِدَّاء، وقد تيقظ الخليفة المأمون لحقيقةِ المعادلة، فَنَصَحَ وَزِيرًا من وزرائه، فقال له:

«لا تَعْصِ اللهَ بِطَاعَتِي فَيُسَلِّطَنِي عَلَيك»!!!

عاشرًا: البيان الختامي

أخي..

هب أنك تَمْلِكُ كيلو جرامًا من ذهبٍ خالصٍ، وَتَحَدَّثَ النَّاسُ أنه من نُحاسٍ، فهل يَسْلُبُ كلامُهم من قيمة الذهب شيئًا؟! ثم هب أنك تملك كيلو جرامًا من نُحاس، وظنَّه الناس ذهبًا خالصًا، فهل ينفعك ظَنهم شيئًا؟!!

رسالة المثل:

إذا كان إيمانك القلبي ذهبيًا صادقًا، فلا ضيرَ من حديث ناعقٍ فاسقٍ، بِأَنَّك كاذبٌ منافق، أما إن كان قلبك فاسدًا عليلاً، وتحدث الناس أنك أصدق العباد قِيلاً، وأهداهم سبيلاً، ثم إنك بركةُ الزمان، وَوَلِي الرحمن، فماذا عساه ينفعك كلامهم!! فهذا مَثَلٌ يُطمئِنُ أهل الأمانة، أما من لم يعقله فَلا أسفَ على ذوي الجهالة والمهانة!!

(١) سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٤١٤)، ص (٥٤٤)، وقال الألباني: صحيح.

أخي الغريب بإيمانك!!

لا تحزن إن لم تجد على الحق أعوانًا، فهذا شأن الغرباء فلا تبقَ حيرانًا، ألا تُحِبُّ أن تكون بقيةَ السلف، وبركةَ الخلف، وأنك المقصود في آية هود ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [هود: ١١٦]؟!!!

وأخيرًا وَبعْدَ أن عَرَفْتَ علائم الطَريق، وأدركت طرائق التوفيق، وَتَمَيَّزَ عَدُوَّكَ مِنَ الصَّدِيق، أَصْدحُ فِي سَمعِكَ شَفقةَ الرَّفِيقِ عَلَى الرَّفِيق:

أَلم يَأْنِ لكَ أن تَتَّخِذَ لِنَفسِكَ من وَسَطِ رُكَامِ الدنيا سَبيلاً إِلَى رَبِّكَ؛ لِتَلتَحِقَ بِرَكبِ الغُرباء؟!!

أَلم يَأْنِ لَك أن تُطلِقَ عَهدًا بينَكَ وَبينَ رَبِّكَ عَلَى ألا يَكونَ للشَّيطَانِ فِيهِ نَصيبٌ؟!!

علَّك أَن تَكونَ مِن عِبادِ اللهِ المُخلَصِين الذين لَيسَ للشَّيطَانِ عَليهِم سُلطانٌ!!

أَلم تُعلنها بَعْدُ:

لَن يَسبِقَنِي إِلَى الله أَحَدٌ!!

كَيف بِكَ إذا فَاز الأبرارُ وَخِبْتَ؟!! وَحَضَرَ المتَّقُونَ وَغِبْتَ[1]؟!!

وَتقَدَّمَ الغُرباءُ وَأُخِّرْتَ؟!!

لَو صَدَقَتْ مَحَبَّتُكَ لَتَعِبْتَ، لَقَد طَال عَهْدُكَ بِرَبِّكَ، أَما استَحْيَيْتَ؟!!

وَلِذَا؛ قَبلَ أَن تَبْلُغَ الرُّوحُ إلى التَّرَاقِي، وَلَم تَعرف الرَّاقِي مِنَ السَّاقِي، ولم تَدْرِ عندَ الرَّحِيلِ مَا تُلاقِي، وَصِرت في القبــر جُذاذًا، ونادى المنادي وَحَاذى، ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ [ق: ٢٢][2]؛ أَسمِعِ الدُّنْيَا وَقُل:

---

(١) محمد شومان/ الدرر البهية في المواعظ الجوزية (١٨١).

(٢) المرجع السابق (١٥٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لَيَرَيَــنَّ اللــهُ مَــاذَا أَصْنَــعُ!!!

فَإِلَى مَتى سَنبقَى نُقَاسِي الذنوب؟!! وَنُعانِي مِن السيئات؟!!

إلى متى نَنشغل بِدُنْيَانَا عَن دِيننا؟!! و

بِأَمْوالِنَا وَأهلِينا عَن رَبِّنَا، مُتعلِّلين بِقَولِنَا: سَيُغْفَرُ لَنَا!!

أخي:

إنَّ المحرومَ مَن عَرفَ مَسلكَ الوُصول، وَحَصلَ عَليهِ أَتَمَّ حُصُول، ثُمَّ أَدبَر وَتَولَّى، وَجَمعَ فَأَوعَى!!

ولَقَد كَتبتُ إليك كِتابي هَذا، وَجعلته كَدَعوةٍ عَامَّة، وَاستغاثةٍ هَامَّة؛ لِتُسَيِّرَ الميزان الدنيوي، فِي فَلكِ الميزانِ الإلهي؛ فَتَنْسَجِمَ مَعَ فِطرتِكَ، وَتَتَنَاغَمَ مع الكونِ مِن حَولِكَ، فَلا تَشِذَّ عَن الكون بِمُخالَفَةِ السُّنَن، فَيَمَسَّك الهَمُّ، وَيصِيبُكَ الحَزَن!!

ثُمَّ إنَّ الكتابَ كلماتٌ مَيِّتَات، مَا لم تُسْكِب فِيهَا رُوحك؛ لِيَعيها عقلُك؛ فِيرسِلُهَا لِقَلبك؛ لِتفيض دَعوة على لِسَانِك، وعملاً على جَوَارِحِكَ، فَتَعيش حيةً كَريمةً بين الغُرباء الأَصفِيَاء الأولِيَاء!!

فَاقرأ الكتابَ علَى مَهَلٍ، بمُكثٍ دُون عَجَلٍ؛ لِتَأخذ خَيرهُ وَافيًا، وَيتَيسر لكَ كَاملاً، وَإِنَّ أي كتابٍ وَفِي الإمامةِ كتاب الله:

لا تَتَفَتَّق مَعَانيه، إلا لمن يُعَانِيه!!

وَاجعل لك رَفيقَ خَيرٍ يُعينك؛ فَإِن سَقَطت في بِئرِ غَفلَةٍ فَنَادِ بَأَعلى صَوتك: وَاغوثَاهُ.. واغَوثَاه، فَرُبما جَاءت سَيَّارةٌ فَأرسَلُوا واردَهُم فَأدلَى دَلوَهُ، فَإِذَا وَجدته تَعَلَّقْ به تَنْجُ، فَكَمْ غَرِقَ مَنْ أَبَى النَّجْدةَ كَمْ[1]؟!!

(١) خالد أبو شادي/ صفقات رابحة ص (١٠١).

وَلا بَأسَ بِتَصفحِ سِيَرِ الغُربَاء، وَأحْوَال الأصفِيَاء، تجد كَثيرًا مِنهَا فِي كِتَابَيْ: سِيَر أَعلامِ النُّبَلاء، وَحِليَةِ الأولياء، فَهِيَ زادٌ يُرِقِّقُ الفؤادَ غَالبًا وَلَو أَعلَن الإِبَاء!!

إِخْوتَاه.. أُناديكُم بِلِسانِ ابنِ الجَوزيِّ قائلاً:

العمرُ فِي إِمحَاقٍ، وَقد سَبقَ الرِّفاقُ، وَصَعُبَ اللَّحَاقُ، وَسَاعِي الأجل مُجِدٌّ كَأَنَّهُ في سِبَاقٍ، فَانْبَر فِي المقَدِّمَةِ لِتَلحَقَ بِالرَّكب، فالوقتُ قَد ضَاق، وَيحك لو أنَّ هِمَّتَكَ فَترت، أَما تَشْتَاق؟!!

فَطُوبَى لمن تَنَبَّهَ مِن رقَادِه، وَبَكَى علَى مِاضي فَسَاده، وَفَرَّ مِن بَحرِ الهَمِّ إلى محُيطِ سَدادِه، فَهَذَا من أُولِي الرِّيَادةِ، وَذَوِي السِّيَادَةِ[1]!!

تَمَّ الكتابُ بِحَمْدِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَمَنِّهِ وَكَرَمِهِ

سَائِلاً اللهَ عَزَّوَجَلَّ أنْ يُكْرِمَنِي بِسِرٍّ يَفُوْقُ العَلانِيَةَ عُبُودِيَّةً وَإِخْلَاصًا وَجُودًا

وَأَنْ يَجْعَلَ ثَمرةَ كتابي هَذَا.. عَمَلاً مَقْبُولاً، وَأَثَرًا مَحْمُوْدًا

هَذَا، وَصَلِّ اللهُم وَسَلِّم عَلَى سَيِّدِنَا الْمُصْطَفَى مُحَمَّدٍ، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين

(١) الدرر البهية في المواعظ الجوزية ص (٢٦).

المَرَاجِع

اسم الكتاب	المؤلف
أولًا: القرآن الكريم وعلومه	
تفسير ابن كثير	الإمام ابن كثير
تفسير القرطبي	الإمام القرطبي
تفسير الطبري	الإمام الطبري
في ظلال القرآن	سيد قطب
الدر المنثور	عبد الرحمن السيوطي
زاد المسير	ابن الجوزي
روح المعاني	الألوسي
تفسير البغوي	الإمام البغوي
تفسير السعدي	الشيخ عبد الرحمن السعدي
تفسير السراج المنير	الخطيب الشربيني
تفسير البحر المحيط	أبو حيان الأندلسي
فتح القدير	الشوكاني
تنوير المقباس من تفسير ابن عباس م	ابن عباس م
تفسير أبي السعود	أبو السعود
تفسير الجلالين	جلال الدين السيوطي جلال الدين المحلي
أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	الشنقيطي

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تفسير المنار	محمد رشيد رضا
النكت والعيون	الماوردى
التحرير والتنوير	الطاهر بن عاشور
نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور	البقاعي
تفسير الشعراوي	الشيخ الشعراوي
تفسير الوسيط	الشيخ سيد طنطاوي
تفسير روح البيان	إسماعيل حقي
التفسير القرآني للقرآن	عبد الكريم الخطيب
تفسير الكشف والبيان	الإمام الثعلبي
التفسير الواضح	محمد حجازي
مفاتيح الغيب «تفسير الرازي»	فخر الدين الرازي
تفسير سورة التوبة	الشيخ عبد الله عزام
أسباب النزول	السيوطي
التبيان في أقسام القرآن	ابن قيم الجوزية
الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم	علي بن نايف الشحود
الأمثال في القرآن الكريم	ابن قيم الجوزية
ثانيًا: السنة النبوية وعلومها	
صحيح البخاري، مكتبة الصفا، ط.١، سنة ١٤٢٣	الإمام البخاري
صحيح مسلم، ط. دار الجيل، ودار الآفاق الجديدة	الإمام مسلم
سنن أبي داود طبعة مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، ط.١ .	الإمام أبي داود

وقد حكم على أحاديثها العلامة الألباني رحمه الله	الإمام أبي داود
سنن الترمذي	الإمام الترمذي
سنن النسائي	الإمام النسائي
سنن ابن ماجه	الإمام ابن ماجه
مسند أحمد	الإمام أحمد
مسند أبي حنيفة	الإمام أبي حنيفة
مسند الطيالسي	الإمام الطيالسي
المستدرك على الصحيحين	الحاكم
شعب الإيمان	البيهقي
مصنف ابن أبي شيبة	ابن أبي شيبة
جامع الأحاديث	السيوطي
الأدب المفرد	الإمام البخاري
صحيح ابن حبان	ابن حبان
المعجم الكبير	الطبراني
مسند البزار «البحر الزخار»	البزار
السنن الكبرى	البيهقي
السلسلة الصحيحة	الألباني
الترغيب والترهيب	الإمام المنذري
صحيح الترغيب والترهيب	الشيخ الألباني
صحيح الجامع	الشيخ الألباني
فتح الباري	ابن حجر العسقلاني

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شرح صحيح مسلم	الإمام النووي
شرح السيوطي على مسلم	الإمام السيوطي
شرح سنن أبي داود	الإمام العيني
شرح سنن أبي داود	عبد المحسن عباد
شرح رياض الصالحين	ابن عثيمين
حاشية السندى على صحيح البخاري	السندي
العزلة	الخطابي
قضاء الحوائج	ابن أبي الدنيا
الأولياء	ابن أبي الدنيا
إيقاظ الأفهام في شرح عمدة الأحكام	اللهيميد
كشف المشكل من حديث الصحيحين	ابن الجوزي
سبل السلام	الصنعاني
شرح السنة	الإمام البغوي
جامع العلوم والحكم	ابن رجب الحنبلي
بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخيار	الكلاباذي
مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح	الملا علي القاري
فيض القدير	المناوي
تهذيب الكمال	أبو الحجاج المزي
شذرات الذهب	ابن العماد
ميزان الاعتدال	الذهبي

ثالثـًا: الفقه الإسلامي وأصوله	
إعلام الموقعين عن رب العالمين	ابن قيم الجوزية
شرح زاد المستقنع	الشنقيطي
مجموع الفتاوى	ابن تيمية
المستدرك على مجموع الفتاوى	محمد بن قاسم
جامع المسائل لابن تيمية	ابن تيمية
مختصر الفتاوى المصرية	ابن تيمية
ميزان الترجيح في المصالح والمفاسد المتعارضة	د. يونس الأسطل
رابعـًا: العقيدة الإسلامية	
شفاء العليل	ابن قيم الجوزية
حقيقة التوحيد	الشيخ محمد حسان
الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد	د. صالح الفوزان
الإيمان بالقضاء والقدر	د. عمر الأشقر
المولاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية	محمد الجلعود
إقامة الدليل على إبطال التحليل	ابن تيمية
الرد على البكري	ابن تيمية
قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة	ابن تيمية
التعليقات البازية على كتاب التوحيد	علي فقيهي
تلخيص كتاب الاستغاثة	ابن كثير
جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية	ابن قيصر الأفغاني

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خامسًا: الأخلاق والرقائق	
مدارج السالكين	ابن قيم الجوزية
عدة الصابرين	ابن قيم الجوزية
مفتاح دار السعادة	ابن قيم الجوزية
الفوائد	ابن قيم الجوزية
الوابل الصيب	ابن قيم الجوزية
بدائع الفوائد	ابن قيم الجوزية
حادي الأرواح	ابن قيم الجوزية
طريق الهجرتين	ابن قيم الجوزية
الجواب الكافي	ابن قيم الجوزية
الروح	ابن قيم الجوزية
إغاثة اللهفان	ابن قيم الجوزية
الزهد	ابن المبارك
صيد الخاطر	ابن الجوزي
صفة الصفوة	ابن الجوزي
الدرر البهية في المواعظ الجوزية	محمد شومان
مختصر صفة الصفوة	معتز عبد الفتاح
أهوال القبور	ابن رجب الحنبلي
شرح الحكم العطائية	
لطائف الإشارات	القشيري
أدب الدنيا والدين	الماوردي

صلاح الأمة في علو الهمة	د. سيد عفاني
إحياء علوم الدين	الغزالي
المدخل	ابن الحاج العبدري
رحلة البحث عن اليقين	د. خالد أبو شادي
صفقات رابحة	د. خالد أبو شادي
حدائق ذات بهجة	عائض القرني

سادسًا: السير والتراجم والطبقات

زاد المعاد في هدي خير العباد	ابن قيم الجوزية
السيرة النبوية	ابن هشام
الرحيق المختوم	المباركفوري
سير أعلام النبلاء	الذهبي
حلية الأولياء	أبو نعيم الأصبهاني
طبقات الأولياء	ابن الملقن
البداية والنهاية	ابن كثير
التاريخ الكبير	البخاري
الإصابة في تمييز الصحابة	ابن حجر
تاريخ بغداد	الخطيب البغدادي
تاريخ دمشق	ابن عساكر
مختصر تاريخ دمشق	ابن منظور
قصص الأنبياء	ابن كثير
قصص القرآن	سعد يوسف أبو عزيز

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرياض النضرة في مناقب العشرة	المحب الطبري
أبو بكر الصديق	محمد رضا
أبو بكر الصديق رضي الله عنه شخصيته وعصره	الصلابي
عمر بن الخطاب	الصلابي
عمر بن عبد العزيز	علي الصلابي
الثلاثون المبشرون بالجنة	مصطفى مراد
طبقات الشافعية الكبرى	السبكي
ترتيب المدارك وتقريب المسالك	القاضي عياض
الثقات	ابن حبان
الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي	راغب السرجاني
المعرفة والتاريخ	يعقوب البسوي
أخبار المُنفقين	خالد الزهراني
من ترك شيئًا لله عوضه خيرًا منه	إبراهيم الحازمي
تراجم شعراء الموسوعة الشعرية	
سيرة أحمد بن حنبل	صالح بن أحمد بن حنبل
بديع الزمان النورسي	علي الطنطاوي
سابعًا: اللغة والأدب والشعر	
التذكرة الحمدونية	ابن حمدون
بهجة المجالس وأنس المجالس	ابن عبد البر
روضة العقلاء ونزهة الفضلاء	ابن حبان
المستطرف	الأبشيهي

وحي القلم	الرافعي
مقامات القرني	الدكتور عائض القرني
غذاء الألباب شرح منظومة الآداب	محمد السفاريني
المعجم الوسيط	إبراهيم مصطفى، وآخرين
ملحة الإعراب	الحريري
ديوان علي بن أبي طالب	علي بن أبي طالب
ديوان الشافعي	الإمام الشافعي
ديوان محمد إقبال	محمد إقبال
دواوين الشعر العربي على مر العصور	طائفة من الشعراء
الكشكول	بهاء الدين العاملي

ثامنًا: المجلات والمحاضرات والمقالات

مجلة البيان / العدد (٢٠٨)	
مقالات الشيخ محمد الغزالي	الشيخ محمد الغزالي
دروس الشيخ محمد راتب النابلسي	د. محمد راتب النابلسي
دروس الشيخ سعيد بن مسفر	الشيخ سعيد بن مسفر
محاضرات الشيخ علي القرني	الشيخ علي القرني
محاضرات الشيخ أبو إسحاق الحويني	الشيخ أبو إسحاق الحويني
قصة التتار	د. راغب السرجاني
سلسلة تأملات قرآنية	الشيخ صالح المغامسي
محاضرة : التحليل الفيزيائي ليوم القيامة	م. علي الكيالي
مقال: الأسرى من مِحْنة العذاب المهين إلى مِنْحة الحرية والتمكين	د. يونس الأسطل

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تاسعًا: كتب أخرى	
السنن الإلهية	عبد الكريم زيدان
حجة الله البالغة	الدهلوي
عشرة النساء	الإمام النسائي
حلية طالب العلم	بكر أبو زيد
هكذا ظهر جيل صلاح الدين، وهكذا عادت القدس	د. ماجد عرسان الكيلاني
موسوعة فقه الابتلاء	علي بن نايف الشحود
الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل	علي بن نايف الشحود
الإسلام المفترى عليه	محمد الغزالي
كلمات من النار	عبد الله عزام
بشائر النصر	عبد الله عزام
الهجرة والإعداد	عبد الله عزام
الجهاد فقه واجتهاد	عبد الله عزام
التربية الجهادية	عبد الله عزام
الوصية	عبد الله عزام
آثار المثل الأعلى	عيسى السعدي
حوار مع صديقي الملحد	مصطفى محمود
نشر العبير في منظومة قواعد التفسير	عمر الحدوشي

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الافتتاحية	٤
وَمن هُنا كَانت البِدَاية	٤
المخَاطبُون بهذَا الكِتَاب	٧
مَنهَجِي في الكِتَاب	٨
وَأَشرقَت شَمسُ البِدَايةِ	١١
حَقيقَةُ السُّنَنِ الربانية وَخصائُصهَا	١١
أسرارُ الحَديثِ في سنَنِ الأفرَاد	١٥
سِرُّ مَسارِ السُّنَن	٢١
ثمرةُ النِّهَاية	٢٣
حتى تخرُجَ بَعدَ الكِتَابِ خَلقًا آخَر	٢٥
كُلُّ سِرٍ تُخفِيه فَاللّهُ مُبدِيه	٣٣
جَنَابُ اللّهِ آمِنٌ	٦٣
أُمَّةُ المُختَار تَنضُجُ عَلَى النَّار	٨٧
اسْتِمْطَارُ الأَرْزَاق بِالتَّصَدُّقِ وَالإِنْفَاق	١١٧
تَحْصِيلُ الأَمْوَالِ بِتَرْكِ الشَّكْوَى وَالسُّؤَال	١٤٩
مَنْ شَغَلَتْهُ أُخْرَاه كَفَاهُ اللّهُ هُمُومَ دُنْيَاه	١٨١
أَطَايِبُ الكَلِم في بيَانِ قَانُونِ صِلَةِ الرَّحِم	٢٠٧
إِتحَافُ السَّاجِدِ الرَّاكِعِ بِذِلَّةِ المتَكَبِّرِ وَرِفْعَةِ المتَوَاضِع	٢٣٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَطَايِبُ الأَنْفَاسِ فِي عِزِّ العَافِيْنَ عَنِ النَّاس	٢٦٣
حَيَاةُ العِبَادِ فِي الجِهَادِ وَالاسْتِشْهَاد	٢٩٥
مَن أَرْضَى اللهَ بِسَخَطِ النَّاسِ ارْتَضَاهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاس	٣٢٧
عَبَقُ الخِتَام	٣٥٢
المراجع	٣٥٦
الفهرس	٣٦٦

تم بحمد الله

هذا الكتاب منشور في